رمان عَلم

اترك العالم خلفك

رواية

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/t_pdf

«تحفة ساحرة ومُقلقة للغاية»

- موقع «شِلف أويرنِس»

قالوا عن هذه الرواية

اترك العالم خلفك

«إن قرأت هذا الكتاب فسيقشعر جلدك، بالضبط كما يحدث عندما تخوض في بِركة عميقة ومظلمة من مخاوف الزمن الحاضر» ـ «النيويوركر»

«مثل رواية «الضباب» لستيفن كينج المنشورة في العام ١٩٨٠، تصف رواية «اترك العالم خلفك» رعب المجهول، والإنسانية التي نشعر بآلامها عندما نواجه النهاية، وبالطبع، الطبيعة البشرية عند وقوعها تحت التهديد. خلال حقبة الوباء، والعنصرية، والكراهية، والانقسام، هذه حكاية عن إجازة انحرفت عن مسارها، حكاية متبصرة على نحو مرعب» ـ مجلة «رولينج ستون»

«يتوقف التشويق الأدبي لرواية «اترك العالم خلفك» على ذلك التوق المألوف المشوب بالذنب لقضاء عطلة لا تنتهي أبدًا، عَلم موهوب بالذكاء اللاذع، يستخدمه لتحطيم الحياة المعاصرة على أدق المستويات. قد تستمر ملاحظاته الساخرة عن الفوضى المنظمة لحياة الإجازة إلى أجل غير مسمى، ثم تأتي طرقة على الباب. إنها رواية مؤرقة على نحو لا يمكن إنكاره» ـ «نيويورك بوك ريفيو»

««اترك العالم خلفك» نوع شائق من أنواع استقراء نهاية العالم، لأنها تهتم بما يحدث لأولئك الذين استُبعدوا من الحدث بدلًا من فحص تداعيات هذا العالم الجديد الغريب بالكامل، إنها تنظر إلى الندوب الباقية من العالم القديم ـ العِرق والطبقة ـ التي يجب مواجهتها حتى

تتمكن هذه الشخصيات من البقاء على قيد الحياة في العالم الجديد. إنَّ ترك العالم خلفك وَهْم، تمامًا مثل أن الإجازة وهم، ففي كل الأحوال سيلحق الواقع بك. تفحص رواية عَلم ما يفعله الناس بشكل مختلف عندما يحدث ذلك» ـ «لوس آنجلوس ريفيو أوف بوكس»

«أفضل كتاب يمكنك قراءته الآن. رحلة مثيرة صُممت بشكل مثالي. إنها أيضًا رواية تحوي أفكارًا عدة. تجمع رواية «اترك العالم خلفك» بين النثر الماهر، والنظرة القاسية لثقافة المستهلك، وبعض اللحظات الصادمة حقًّا. قراءة استثنائية ستظل تشغل القارئ لفترة طويلة، بعد أن يمضي سريعًا خلال صفحاتها الأخيرة» ـ «يو إس إيه توداي»

««اترك العالم خلفك» رواية حية وذكية ويقظة للعالم الذي بنيناه لأنفسنا، والذي نعتقد خطأً أننا نسيطر عليه، لدرجة أنها تشعرك بأنها أشبه بإحدى الروايات التي تعرِّف عصرنا» ـ مجلة «إنترفيو»

«أعجوبة مراوغة ومخادعة في شكل رواية. «اترك العالم خلفك» رواية محيطة ومتبصرة؛ تحاكي إيقاعاتها المكونة من الكوميديا والصدمات واليأس كثيرًا من إيقاعات الحياة في الوقت الحالي. إن هذا أكثر من كافٍ لجعلها رواية مميزة لهذا العام اللعين» ـ برنامج «فرِش إير» على إذاعة «إن بي آر»

«ذكية جدًّا وماكرة جدًّا لدرجة جذب القراء إلى شعور زائف بالأمان والفهم. في البداية، يبدو أن الرواية تدور حول الزواج والأسرة العصريين، والأولويات والاختيارات، وكيف يقيس المرء النجاح في القرن الحادي والعشرين، وهذا بالتأكيد جزء من الرواية، لكنها أيضًا أكثر من ذلك بكثير. توقيتها مثالي لعالم اليوم الذي يعوزه اليقين» ـ «لايبريري جورنال»

«من المستحيل أن يُترك الكتاب، أو أن يُغض الطرف عنه. في بعض الأحيان يتطلب الأمر قاصًا موهوبًا ليجعلنا نرى ما تعجز مخيلتنا عن فهمه. تخبرنا رواية «اترك العالم خلفك» بإصرار مثير أن الوقت قد حان الآن لإصلاح ما تم إفساده» ـ «لوس آنجلوس تايمز»

رمان عَلم

اترك العالم خلفك

رواية

ترجمتها عن الإنجليزية
سها السباعي

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/t_pdf

الكرمة

الكرمة

alkarmabooks.com

facebook.com/alkarmabooks

twitter.com/alkarmabooks

instagram.com/alkarmabooks

الطبعة الأولى ٢٠٢٢

حقوق النشر © دار الكرمة ٢٠٢٢

العنوان الأصلي: Leave the World Behind

Copyright © 2020 by Rumaan Alam

الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة

حقوق الترجمة © سها السباعي

مكتبة ٢٠٢٢١١٩
t.me/t_pdf

غلم، رمان.

اترك العالم خلفك: رواية / رمان غلم؛ ترجمتها من الإنجليزية سها السباعي - القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠٢٢.

٣١٢ ص؛ ٢٢ سم.

تدمك: 9789776743854

١- القصص الإنجليزية.

أ- السباعي، سها (مترجمة).

ب- العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٨٥٣٣ / ٢٠٢١

٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ٩ ٧ ٥ ٣ ١

تصميم الغلاف: أحمد عاطف مجاهد

صورة الغلاف: جسيكا بريلي

© Jessica Brilli

إلى سايمون وإلى زافيير

يمضي الحب مثل تغريد الطيور،
في أقرب وقت ممكن بعد قنبلة.
بيل كالاهان، «آنجيلا»

مكتبة
t.me/t_pdf

١

حسنًا، كانت الشمس مشرقة. شعروا أن ذلك يبشر بالخير. يُحوِّل الناس كل شيء عتيق إلى فأل. كان يكفي تمامًا القول إنه ليست هناك غيوم يمكن رؤيتها. الشمس في مكانها حيث كانت دائمًا. الشمس الدؤوبة وغير المبالية.

اندمجت الطرق أحدها في الآخر. تجمدت حركة السير. كانت سيارتهم الرمادية عبارة عن ناقوس زجاجي، مناخ محلي مصغر: تكييف هواء، رائحة البلوغ الكريهة (عرق، أقدام، إفرازات غدد دهنية)، شامبو أماندا الفرنسي، حفيف المخلفات، لأنها كانت دائمًا هناك. كانت السيارة المجال الخاص بكلاي، وكان متساهلًا بما يكفي إلى درجة أن المخلفات تراكمت، ركام الشوفان المنحدر من ألواح «الجرانولا» التي اشتُريت بكميات كبيرة، والجورب الرياضي الطويل الذي لا تفسير لوجوده، بطاقة اشتراك من مجلة «نيويوركر»، منديل مبروم متحجر بالمخاط، شريط رفيع من البلاستيك الأبيض من يعلم متى أُزيل من ظهر ضمادة طبية لاصقة. كان الأطفال دائمًا يحتاجون إلى ضمادة طبية لاصقة؛ بشرتهم الوردية معرضة للتشقق مثل فاكهة الصيف.

كان ضوء الشمس على أذرعتهم مطمئنًا. ظُللت النوافذ بمادة واقية لتفادي السرطان. وردت أخبار عن اشتداد موسم الأعاصير، عواصف

بأسماء أسطورية من قائمة اعتُمدت سابقًا. خفضت أماندا صوت الراديو. هل كان من قبيل التمييز الجنسي، على نحو ما، أن كلاي قاد السيارة، وأنه دائمًا ما فعل ذلك؟ حسنًا، لم يكن لدى أماندا صبر على الأسرار المقدسة المصاحبة لقانون التبادل اليومي لاصطفاف السيارات على جانبَي الطريق والفحص كل اثني عشر ألف ميل. إلى جانب ذلك، افتخر كلاي عادة بهذا النوع من الأمور. كان أستاذًا جامعيًّا، وبدا أن هذا مرتبط باستمتاعه بأداء المهام المفيدة للحياة؛ حزم الصحف القديمة لإعادة التدوير، ونثر الحبيبات الكيميائية على الرصيف حين يصبح الطقس جليديًّا، واستبدال المصابيح الكهربائية، وتصريف الأحواض المسدودة باستخدام مكبس مصغر.

لم تكن السيارة جديدة إلى درجة اعتبارها مترفة ولا قديمة إلى درجة اعتبارها بوهيمية. شيء من طبقة وسطى لجمهور الطبقة الوسطى، مصمَّمة هندسيًّا كي لا تزعج، أكثر من أن تغري، اشتُريت في صالة عرض ذات جدران عاكسة، بها بعض البالونات المتراخية، وبعض من رجال المبيعات يفوق عددهم عدد الزبائن، يتسكعون في مجموعات من اثنين أو ثلاثة، ويجلجلون بالعملات المعدنية في جيوب سراويلهم الرسمية من «مينز ويرهاوس». أحيانًا، في ساحة انتظار السيارات، قد يقترب كلاي من سيارة أخرى مماثلة (كانت من طراز شائع، «جرافيت»)، ويصاب بالإحباط حين يفشل نظام فتح الأبواب عن بُعد في العمل.

كان آرتشي في الخامسة عشرة من عمره. ارتدى حذاءً رياضيًّا مشوهًا بحجم رغيف الخبز. كانت تفوح منه رائحة الحليب، مثل الأطفال الرضع، وأسفل ذلك عرق وهرمون. ولتخفيف كل هذا كان آرتشي يرش مادة كيميائية في القش أسفل ذراعيه، رائحة لا مثيل لها في الطبيعة، توافق آراء مجموعة تركيز على النموذج الذكوري. أبدت روز اهتمامًا أكبر. ظِل فتاة شابة داخل زهرة، قد يجد كلب بوليسي المعدن أسفل نفحة

من مستحضرات تجميل المبتدئين، وولع المقبل على البلوغ بالروائح الاصطناعية للتفاح والكرز. فاحت منهما رائحة كريهة، كذلك فاحت من الجميع، لكن لا يمكنك القيادة على الطريق السريع بنوافذ مفتوحة، فهو أمر صاخب للغاية. رفعت أماندا الهاتف عاليًا، محذرة إياهم، مع أنه لم يقل أي أحد شيئًا ما:

ـ يجب أن أتلقى هذه المكالمة.

نظر آرتشي في هاتفه الخاص، وروز في هاتفها، كلٌّ منهما مع الألعاب ووسائل التواصل الاجتماعي التي اعتمدها الوالدان سابقًا. كان آرتشي يتبادل الرسائل النصية مع صديقه ديلون، الذي كفَّر والداه عن طلاقهما الجاري بالسماح له بقضاء الصيف في تدخين الماريجوانا بالطابق العلوي في منزلهما المشيد بالحجر الأسمر الرملي، الواقع في شارع «برجن». وكانت روز قد نشرت بالفعل صورًا متعددة للرحلة، مع أنهم عبروا حدود المقاطعة للتوِّ.

ـ أهلًا جوسلين.

عرفت تلك الهواتف من المتصل مما جعل من الممكن تفادي التكلف. كانت أماندا مديرة حسابات، وجوسلين مراقِبة حسابات وواحدة من الثلاثة الذين يرفعون تقاريرهم إليها مباشرة بلغة المكتب الحديث. وُلدت جوسلين لأبوين كوريين، في ساوث كارولينا، وشعرت أماندا دائمًا بأن لهجة المرأة المعسولة متنافرة مع الجو المحيط. كان هذا عنصريًّا إلى درجة أنها لم تستطِع الاعتراف به لأي شخص.

قالت جوسلين بأنفاسها القصيرة:

ـ أنا آسفة جدًّا لإزعاجك.

لم تكن أماندا مخيفة بقدر تلك السلطة. بدأت أماندا حياتها المهنية في الاستوديو الخاص بدنماركي ذي مزاج متقلب وقصة شعر شبيهة بقصة شعر راهب. صادفت الرجل في أحد المطاعم في الشتاء السابق وشعرتْ بالغثيان.

ـ إنها ليست مشكلة.

لم تكن أماندا رحبة الصدر بتلك الإجابة، لكن أشعرتها المكالمة بارتياح. كانت تريد أن يحتاج زملاؤها إليها كما يريد الإله أن يستمر الناس في الصلاة.

نقر كلاي بأصابعه على عجلة القيادة الجلدية، فنال نظرة جانبية من زوجته. تطلع في المرآة ليتأكد أن طفليه ما زالا هناك، وهو أمر اعتاد عليه منذ طفولتهما المبكرة. كان إيقاع أنفاسهما ثابتًا. أثرت الهواتف المحمولة عليهما مثلما فعلت تلك المزامير المنتفخة بأفاعي الكوبرا.

لم يرَ أحد منهم حقًّا منظر الطبيعة على الطريق السريع. يحرِّض الدماغ العين، وفي النهاية تحل توقعاتك عن شيء ما محل الشيء نفسه. صور رمزية بالأصفر والأسود، روابٍ تتلاشى خلف جدران أسمنتية سابقة التجهيز، لمحة عرضية لمنازل ذات مستويين، عبور السكة الحديدية، ملعب البيسبول، حوض سباحة فوق الأرض. تومئ أماندا برأسها عندما تتلقى المكالمات، ليس لصالح الشخص الموجود على الطرف الآخر من المكالمة ولكن لتثبت لنفسها أنها منهمكة. أحيانًا، تنسى أن تسمع أثناء إيماءة الرأس.

ـ جوسلين...

حاولت أماندا التحلي ببعض الحكمة. لم تكن جوسلين بحاجة إلى مساهمة معلوماتية من أماندا بقدر ما احتاجت إلى موافقتها. كان التسلسل الهرمي للمكتب تعسفيًّا، مثل كل شيء آخر.

ـ لا بأس بذلك. أعتقد أن ذلك تصرف حكيم. كل ما هناك أننا على الطريق السريع. بإمكانكِ الاتصال، لا تقلقي بشأن ذلك. لكن تغطية الهاتف تصبح متقطعة بمجرد أن نبتعد. عانيت من هذه المشكلة الصيف الماضي، هل تذكرين؟

سكتت، وشعرت بالحرج، لماذا ستتذكر مرؤوستها خطط أماندا لعطلة الصيف الماضي؟

- سنذهب أبعد من ذلك هذا العام!

حولت الأمر إلى مزحة.

- لكن اتصلي، أو أرسلي رسالة إلكترونية، لا بأس بذلك بالطبع. حظًّا سعيدًا.

سأل كلاي:

- كل شيء على ما يرام في المكتب؟

لم يستطِع كلاي قَطُّ أن يقاوم نطق «المكتب» بالتواء من نوع ما. كان ذلك بمثابة مجاز لمهنتها، التي فهمها إلى حد كبير، لكن ليس تمامًا. يجب أن تكون للزوجة حياتها الخاصة، وكانت حياة أماندا بعيدة تمامًا عن حياته. ربما ساعد ذلك في تفسير سعادتهما. نصف الأزواج الذين يعرفانهم على الأقل كانوا مطلقين.

- لا بأس.

كانت إحدى أكثر الحقائق البديهية التي توصلت إليها أن نسبة مئوية ما من الوظائف لا يمكن تمييز بعضها عن بعض، بما أن جميعها تضمنت إرسال رسائل إلكترونية لتقييم الوظيفة في حد ذاتها. كان يوم العمل عبارة عن عدة بيانات عن يوم العمل الجاري حينذاك، وبعض التهذيب البيروقراطي، وسبعين دقيقة للغداء، وعشرين دقيقة من الأخذ والرد في أرجاء مساحة العمل المفتوحة، وخمس وعشرين دقيقة لشرب القهوة. أحيانًا بدا دورها في التمثيلية سخيفًا وأحيانًا أخرى بدا أن له ضرورة ملحة.

لم تكن حركة المرور شديدة السوء، وبعد ذلك، حين ضاقت الطرق السريعة وتحولت إلى شوارع، أصبح الأمر سيئًا. أقرب ما يكون إلى المرحلة الأخيرة المضنية من رحلة السلمون عائدًا إلى الوطن، فقط مع مساحات خضراء مورقة تتوسط اتجاهَي الطريق، ومراكز تجارية صغيرة من الجص الملطخ بالمطر. كانت المدن إمَّا مدنًا عمالية أو ممتلئة بأبناء أمريكا الوسطى أو مزدهرة ومأهولة بعالم سفلي من السباكين ومصممي الديكور وسماسرة

العقارات. عاش الأثرياء الحقيقيون في عالم آخر، يشبه «نارنيا». كان عليك أن تصادفه، وأن تتبع الطرق المزودة بمطبات السرعة إلى نهايتها الحتمية: طريق مسدود، قصر ذو سقف مكسو بالألواح الخشبية، إطلالة على بركة. كان الهواء عبارة عن ذلك المزيج الحلو من نسيم المحيط والمصادفة، جيد من أجل الطماطم والذرة، لكنك تعتقد أن بإمكانك أيضًا الانتشاء بفعل السيارات الفارهة، والفنون الجميلة، وتلك المنسوجات الناعمة التي يتركها الأثرياء مكومة على أرائكهم.

قال كلاي، بصوت متقطع، متثائبًا في نهاية هذه الجملة:

ـ هل علينا التوقف لتناول وجبة سريعة؟

قال آرتشي مبالغًا:

ـ أنا أتضور جوعًا.

قالت روز وقد لمحت المطعم:

ـ لنذهب إلى «برجر كينج»!

استطاع كلاي الشعور بتوتر زوجته. تفضل أن يأكلوا طعامًا صحيًا (خاصة روز). استطاع أن يلتقط رفضها مثل جهاز السونار. كان الأمر مثل الانتفاخ الذي يؤذن بانتصاب. لقد تزوجا منذ ست عشرة سنة.

تناولت أماندا البطاطس المقلية. طلب آرتشي عددًا غريبًا من قطع الدجاج المقلي الصغيرة. ألقى بها في كيس ورقي، وخلطها ببعض البطاطس المقلية، وقطَّر عليها محتويات وعاء صغير له غطاء من ورق القصدير من صوص بُني حلو ولزج، ومضغ راضيًا.

قالت روز:

ـ يا للقرف.

لم تستحسن روز شقيقها لأنه كان شقيقها. تناولت، بشكل أقل أناقة مما كانت تعتقد، همبرجر، ومايونيز يحيط بشفتيها الورديتين. قالت:

ـ أمي، أضافت هازل موضع منزلها على تطبيق الخرائط... هل يمكنكِ إلقاء نظرة عليه ومعرفة كم يبعد؟

تذكرت أماندا صدمتها بمدى صخب الأطفال حين كانوا رضعًا على صدرها. صوت الاستنزاف والرضاعة مثل صوت السباكة، التجشؤ بلامبالاة وغازات البطن المكتومة مثل مفرقعة نارية فشلت في الانفجار، بشكل حيواني وبلا خجل. مدت يدها خلفها للحصول على هاتف الفتاة، دهني بفعل الطعام ولمس الأصابع، ساخن بسبب فرط الاستخدام. قالت:

ـ عزيزتي، لن يكون ذلك في أي مكان قريب منا.

لم تكن هازل صديقة بقدر ما كانت أحد الأمور التي تمثل هوسًا بالنسبة إلى روز. كانت روز صغيرة للغاية كي تفهم، لكن والد هازل كان مديرًا في «لازارد»، لن تتشابه أماكن قضاء إجازتَي العائلتين كثيرًا.

ـ انظري وحسب. قلت إنه ربما بوسعنا القيادة إلى هناك.

كان هذا نوع الأشياء التي كانت لتقترحها حين لا تكون منتبهة تمامًا، وتندم ـ فيما بعد ـ لأن الطفلين يتذكران وعودها. نظرت أماندا إلى الهاتف. قالت:

ـ إنها هامبتون الشرقية، يا عزيزتي. تبعد ساعة على الأقل. وربما أكثر من ذلك، على حسب أي أيام الأسبوع.

تراجعت روز في مقعدها، متبرمة بصوت مسموع:

ـ هل يمكنني استعادة هاتفي، من فضلكِ؟

التفتت أماندا ونظرت إلى ابنتها، محبطة ومتوردة:

ـ أنا آسفة، لكنني لا أريد أن أجلس لمدة ساعتين وسط زحام السيارات صيفًا من أجل موعد للعب. ليس حين أكون في إجازة.

عقدت الفتاة ذراعيها على صدرها، زمت شفتيها استياء مثل سلاح. موعد للعب! لقد تعرضت للإهانة.

مضغ آرتشي ناظرًا إلى انعكاس صورته في النافذة.

أكل كلاي أثناء القيادة. ستتميز أماندا غيظًا إذا لقوا مصرعهم في حادث تصادم لأنه كان مشتتًا بفعل شطيرة تحتوي على سبعمائة سعر حراري.

ضاقت الطرق أكثر. أكشاك عرض منتجات المزارع بلا بائعين، بنظام الشرف: أوعية بسعة نصف لتر مغلفة باللباد الأخضر، تحوي ثمار توت العليق، مفتتة في عصارتها، وصندوق خشبي لورقتك المالية فئة خمسة دولارات، على بعض الدروب التي تخرج عن الطريق الرئيسي. كان كل شيء شديد الخضرة إلى درجة أن الأمر كان جنونيًّا بعض الشيء حقًّا. إلى درجة أنك ستريد التهام ذلك: تخرج من السيارة، تهبط على جميع الأطراف الأربعة، وتقضم في الأرض نفسها.

ـ دعونا نستنشق بعض الهواء.

فتح كلاي جميع النوافذ، لتبديد الرائحة الكريهة لطفليه الضارطَين. أبطأ السيارة لأن الطريق كان منحنيًا، ومغويًا، مثل ورك يبدل وضعه جيئة وذهابًا. مروا بجوار صناديق بريد مصممة مثل علامة متشرد رحَّال: ذوق رفيع وثروة ضخمة. لم تتمكن من رؤية أي شيء، كانت الأشجار كثيفة إلى تلك الدرجة. علامات تحذر من وجود غزال، أحمق ومعتاد على وجود البشر. تهادت الغزلان في الشوارع بثقة، بعيون حولاء وبالتالي عمياء. ترى جثثها في كل مكان، بُنية بلون البندق ومنتفخة بفعل الموت.

داروا حول منحنى وواجهوا مركبة. في الرابعة من عمره، كان آرتشي ليعرف الكلمة المناسبة لذلك: مقطورة على شكل عنق إوزة، عربة نقل ضخمة وفارغة يسحبها جرار عاقد العزم. تجاهل السائق السيارة التي خلفه، بلامبالاة السكان المحليين تجاه أجناس غازية مألوفة، بينما كانت المقطورة تطلق هبَّات فوق نتوءات الطريق. بقي أكثر من ميل حتى تنعطف باتجاه مأواها في مباني المزرعة الخاصة بها، وعند تلك النقطة

انقطع خيط أريادني، أو أيًّا كان ما يربطهم بالأقمار الصناعية بالأعلى. لم يكن لدى نظام تحديد المواقع أي فكرة عن موقعهم، وكان عليهم اتباع الإرشادات التي فكرت أماندا، المخططة البارعة، في نسخها في مفكرتها. يسارًا ثم يمينًا ثم يسارًا ثم يسارًا ثم ميلًا آخر أو نحو ذلك، ثم يسارًا مرة أخرى، ثم ميلين آخرين، ثم يمينًا، ليسوا تائهين تمامًا لكنهم غير مهتدين إلى طريقهم تمامًا.

٢

كان المنزل مبنيًّا بالقرميد، ومطليًّا باللون الأبيض. كان هناك شيء جذاب بشأن ذلك اللون الأحمر المتحول بشدة. بدا المنزل قديمًا لكنه جديد. بدا متينًا لكنه لطيف. ربما كانت هذه بالأساس رغبة أمريكية، أو مجرد دافع عصري، أن تريد منزلًا، وسيارة، وكتابًا، وحذاء، لتجسيد هذه التناقضات.

وجدت أماندا المنزل على موقع «إير بي إن بي» الإلكتروني لتأجير أماكن قضاء العطلات. «الفرار المطلق»، كما صرح الإعلان. احترمت الكلام الإعلاني الودود عن الوصف:

«ادخل إلى منزلنا الجميل واترك العالم خلفك»

ناولت الكمبيوتر المحمول، الساخن بما يكفي لتفريخ الأورام في بطنها، إلى كلاي. أومأ، وقال شيئًا مبهمًا.

لكن أماندا أصرت على هذه الإجازة. أتت الترقية ومعها زيادة في المرتب. قريبًا جدًّا، ستختفي روز في سلوك الازدراء المميز لمرحلة المدرسة الثانوية. لأنه في هذه اللحظة العابرة، ما زال الطفلان طفلين في الغالب، حتى إذا قارب آرتشي الست أقدام طولًا. بوسع أماندا ـ إذا لم تستحضره وكأنه روح ـ على الأقل أن تتذكر صوت آرتشي الرفيع كالفتيات، وكتلة روز على وركها. قول مأثور، لكن على فراش الموت هل ستتذكرين الليلة التي أخذتِ فيها العملاء إلى مطعم شرائح اللحم المشوي في الشارع السادس والثلاثين وسألتِ عن

زوجاتهم، أم ستتذكرين حركتكِ صعودًا وهبوطًا في أنحاء حمَّام السباحة مع أطفالكِ، برموش داكنة مزينة بلآلئ الماء المعالج بالكلور؟

أطفأ كلاي محرك السيارة، وقال:

ـ يبدو هذا لطيفًا.

فك الطفلان أحزمة الأمان ودفعا الأبواب لفتحها وقفزا على الحصى، متحمسين مثل ستاسي.

قالت أماندا:

ـ لا تبتعدا.

مع أن ذلك كان قولًا لا معنى له. لم يكن هناك مكان للذهاب إليه. ربما الغابة. كانت قلقة بالفعل بشأن مرض لايم. كانت هذه ممارستها الأمومية وحسب، لإقحام السلطة. كف الطفلان منذ وقت طويل عن الاستماع إلى شكاواها اليومية.

أصدر الحصى صوته الغليظ أسفل حذاء كلاي الجلدي الخاص بالقيادة.

ـ كيف ندخل؟

ـ يوجد صندوق أمانات.

استشارت أماندا هاتفها. لم تكن هناك تغطية. لم يكونوا حتى على الطريق. رفعت الشيء فوق رأسها، لكن الشرطات الصغيرة رفضت أن تمتلئ. كانت قد حفظت هذه المعلومات. «صندوق الأمانات... على السياج بجوار سخان حمَّام السباحة. الرمز ستة اثنان تسعة اثنان. المفتاح بداخله يفتح الباب الجانبي».

كان المنزل محجوبًا بسياج منحوت من الأشجار، معبرًا عن تباهي شخص ما، مثل ركام الثلج، مثل جدار. كان الفناء الأمامي محاطًا بسياج خشبي، أبيض، لا أثر فيه للسخرية. كان هناك سياج آخر، هذه المرة من الخشب والأسلاك، حول حمَّام السباحة، ما جعل قيمة التأمين أقل، وأيضًا عرف أصحاب المنزل أن الغزلان أحيانًا ما تضل طريقها لتصبح مصادر

ضرر فاتنة، وإذا كنت بعيدًا لبضعة أسابيع، فإن تلك الكائنات الغبية ستغرق، وتنتفخ، وتنفجر، مسببة فوضى مرعبة. أحضر كلاي المفتاح، وقفت أماندا في فترة ما بعد الظهيرة المبهرة، الرطبة، تنصت إلى ذلك الصوت الغريب لما يشبه الهدوء الذي افتقدته، أو زعمت أنها افتقدته، لأنهم كانوا يعيشون في المدينة. كان بوسعك أن تسمع طنين حشرة ما أو ضفدع أو ربما كليهما، الريح تتخلل أوراق الشجر، الإحساس بطائرة أو بآلة جز العشب أو ربما كان ذلك صوت حركة السيارات على الطريق السريع في مكان ما بعيد، يصل إليك تمامًا مثلما يصل إليك إيقاع المحيط المستمر حين تكون قرب المحيط. لم يكونوا قرب المحيط. لا، ليس بوسعهم تحمل تكلفة ذلك، لكن بوسعهم أن يسمعوه بالكاد، فعل ناتج عن إرادة، عن تعويض.

فتح كلاي الباب، وهو يعلِّق بلا داعٍ:

ـ ها نحن هنا.

يفعل ذلك أحيانًا، ويضبط نفسه وهو يفعل ذلك، شاعرًا بالخجل. كان للمنزل ذلك الهدوء الذي تتسم به المنازل باهظة الثمن. يعني الصمت أن المنزل كان راسخًا، ومتينًا، وتعمل أجهزته في تناغم سعيد. تنفُّس مكيف الهواء المركزي، ونباهة الثلاجة الغالية، والذكاء الموثوق لكل تلك الشاشات الرقمية التي تحدد الوقت فيما يقارب التزامن. في ساعة مبرمجة سابقًا، ستضيء الأنوار الخارجية، منزل يكاد لا يحتاج إلى الناس. كانت الأرضيات ألواحًا خشبية عريضة جُمعت من محلج قطن قديم في مدينة يوتيكا، مصقولة للغاية إلى درجة أنه لم يكن هناك صرير أو أنين. النوافذ شديدة النظافة إلى درجة أن يخطئ طائر محلي ما التقدير كل شهر أو نحو ذلك، ويهلك في العشب بعنق مكسور. كانت بعض الأيدي الماهرة هنا، رفعت الستائر، خفضت منظم الحرارة، لمَّعت جميع الأسطح بـ«ويندكس»، شغلت مكنسة «دايسون» داخل شقوق الأريكة، التقطت فتات رقائق «التورتيا» المصنوعة من الذرة العضوية الزرقاء وأيضًا العملة المعدنية الشاردة.

ـ هذا لطيف.

خلعت أماندا حذاءها عند الباب، شعرت بضرورة خلع الحذاء عند الباب.

ـ هذا جميل.

كانت الصور على الموقع الإلكتروني وعدًا، ووُفي به. المصابيح المعلقة متدلية فوق الطاولة المصنوعة من خشب البلوط، في حال أردت حل «بازل» في الليل، وحدة المطبخ الوسطى الرخامية رمادية اللون حيث يمكنك تخيل صنع العجين، الحوض المزدوج أسفل النافذة مطل على حمَّام السباحة، الموقد بصنبوره النحاسي حتى تتمكن من ملء القدر من دون حاجة إلى نقله. كان مُلاك هذا البيت أغنياء بما يكفي كي يراعوا كل شيء. ستقف أماندا عند ذلك الحوض وتغطي الأطباق بالصابون، بينما يقف كلاي في الخارج تمامًا يشوي، ويشرب البيرة، عينًا ساهرة على الطفلين وهما يلعبان «ماركو بولو» في حمَّام السباحة.

ـ سأحضر الأغراض.

كان المعنى الضمني واضحًا، كان كلاي ذاهبًا لتدخين سيجارة، رذيلة كان ينبغي أن تكون سرية لكنها لم تكن كذلك.

تجولت أماندا في أنحاء المكان. كانت هناك غرفة ضخمة بها تلفزيون، وأبواب شفافة مؤدية إلى شرفة غير مسقوفة. كانت هناك غرفتا نوم صغيرتان بعض الشيء، بنُسق لونية مكونة من الأخضر الفاتح المائل للزرقة والأزرق الداكن، وحمَّام على طراز «جاك آند جيل» بينهما. كانت هناك خزانة مزودة بمناشف للشاطئ وغسالة ملابس ومجفف موضوعان في مكانيهما بترتيب الاستخدام، ورواق طويل مؤدٍّ لغرفة النوم الرئيسية، تصطف على جانبيه مشاهد مسالمة للشاطئ بالأبيض والأسود. إذا نحينا حسن الذوق جانبًا، كان كل شيء مدروسًا: صندوق خشبي يخفي زجاجة صابون الغسيل البلاستيكية، صدفة ضخمة تحتضن قطعة من صابون، ما زالت في غلافها الورقي. كان الفراش الرئيسي ضخمًا، شديد الضخامة إلى درجة

أنه لن يلتف أبدًا حول بئر السلم ليصل إلى شقتهم في الطابق الثالث. كان الحمَّام الداخلي كله أبيض (بلاط، حوض، مناشف، صابون، طبق أبيض من الصدف الأبيض)، ذلك النقاء الخيالي الخاص للهرب من واقع فضلاتك. رائع، وفقط بمقابل ٣٤٠ دولارًا في اليوم إضافة إلى نفقات التنظيف ومبلغ التأمين القابل للاسترداد. من غرفة النوم، تمكنت أماندا من مشاهدة طفليها، المهتزين بالفعل في ملابسهما المصنوعة من «الليكرا» سريع الجفاف، وهما يندفعان سريعًا نحو الأزرق الهادئ. آرتشي، بأطراف طويلة وزوايا حادة، وصدر محدب ينبت بالكاد تعاريج بنية عند الحلمات الوردية، روز ممتلئة القوام ومترجرجة، مزغبة بشعر طفل، ثوب السباحة المنقط ذو القطعة الواحدة مشدود تمامًا عند الساقين، مما جعل الفرج منحوتًا. صرخة استباقية، ثم التقيا بالماء بتلك الفرقعة اللذيذة. في الغابة بالخلف، بدا شيء ما عند ارتفاع الصوت، رفرف صاعدًا في إطلالة البني المخيم على المشهد: اثنان من الديوك الرومية السمينة، غبية وبرية ومنزعجة من التطفل. ابتسمت أماندا.

مكتبة
t.me/t_pdf

٣

تطوعت أماندا للذهاب إلى متجر البقالة. لقد مروا على متجر، وأعادت تتبُّع ذلك المسار. قادت السيارة ببطء، النوافذ مفتوحة.

كان المتجر شديد البرودة، ساطع الإضاءة، عريض الممرات. اشترت زبادي وثمار التوت. اشترت شرائح الديك الرومي، وخبز الحبوب الكاملة، وتلك المستردة الحبيبية طينية اللون، ومايونيز. اشترت رقائق البطاطس ورقائق «التورتيا» وصلصة معبأة مشبعة بالكزبرة، مع أن آرتشي يرفض أكل الكزبرة. اشترت نقانق عضوية وأرغفة خبز كيزر صغيرة غير مكلفة والكاتشب نفسه الذي يشتريه الجميع. اشترت علب مشروب الليمون الفوَّار، باردة وقاسية، وفودكا «تيتو» وزجاجتَي نبيذ أحمر من فئة التسعة دولارات. اشترت سباجيتي يابسة وزبدة مملحة ورأس ثوم. اشترت لحم خنزير سميك التقطيع وكيس دقيق وزنه رطلان وباثني عشر دولارًا من شراب القيقب المعبأ في قارورة زجاجية لها وجه منحوت مثل زجاجة عطر رخيص. اشترت رطلًا من القهوة المطحونة، شديدة القوة إلى درجة أنها تمكنت من شم رائحتها من خلال عبوتها المغلقة مفرغة الهواء، ومرشحات قهوة من المقاس ٤ مصنوعة من الورق المعاد تدويره. لو أنك تهتم؟ هي اهتمت! اشترت ثلاث عبوات من مناديل الحمَّام، وبخاخًا واقيًا من الشمس وخلاصة الصبَّار، لأن الطفلين ورثا بشرة أبيهما الشاحبة. اشترت تلك

المكسرات الفاخرة التي تخرجها حين يكون لديك ضيوف، ومقرمشات «ريتز»، التي أحبها الجميع أكثر، وجبن شيدر أبيض هشًّا وحمصًا مخلوطًا بثوم كثير، وكتلة من السلامي القاسي غير المقطع وتلك الجزرات التي قُلِّبت فصُقلت حتى صارت في حجم أصابع طفل. اشترت عبوات من الكعك من منتجات «بيبيردج فارم» وثلاث عبوات سعة نصف لتر من مثلجات شركة «بين آند جيري» المناصرة للقضايا الفاضلة سياسيًّا، وخليط «دنكان هاينز» المعلب لإعداد الكيك الأصفر، ووعاء شوكولاتة تزيين الكيك من إنتاج «دنكان هاينز» له غطاء بلاستيكي أحمر، لأن الأمومة علمتها أنه في يوم إجازة ممطر لا مفر منه بإمكانك تمضية ساعة في خبز كعكة معلبة. اشترت اثنتين من ثمار الكوسة المنتفخة، وكيسًا من البازلاء المنتزعة من قشورها، وباقة من الكرنب المجعد شديد الخضرة إلى درجة أنه اقترب من السواد. اشترت قارورة من زيت الزيتون وعلبة من «الدونت» المغطاة بالفتات من إنتاج «إنتنمان»، وحفنة من الموز وكيسًا من النكتارين الأبيض وعبوتين بلاستيكيتين من الفراولة، ودستة من البيض البني، وعلبة بلاستيكية من السبانخ المغسولة، وعبوة بلاستيكية من الزيتون، وبعض الطماطم غير المهجنة المغلفة بالسيلوفان المتجعد، خضراء رخامية وبرتقالية صارخة. اشترت ثلاثة أرطال من اللحم البقري المفروم وعبوتين من خبز الهمبرجر، سطحها السفلي معفر بالدقيق، ووعاء من المخلل المصنوع محليًّا. اشترت أربعًا من ثمار الأفوكادو وثلاثًا من حبات الليمون وحزمة من الكزبرة الطازجة مع أن آرتشي يرفض أكل الكزبرة. كان الحساب أكثر من مائتي دولار، لكن لا يهم.

ـ سأحتاج إلى بعض المساعدة.

ربما كان الرجل الذي وضع كل صنف في كيس ورقي بني في المدرسة الثانوية وربما لم يكن كذلك. كان يرتدي «تيشيرت» أصفر وله شعر بني وسمت مربع بوجه عام، كما لو أنه قد نُحت من كتلة خشبية.

كان هناك شيء من الإثارة، بمشاهدة يديه تعملان، لكن الإجازات تفعل ذلك، أليس كذلك؟ تجعلك شبقًا، تجعل كل شيء يبدو ممكنًا، حياة مختلفة تمامًا عن تلك التي توطنت عليها عادة. ربما تكون، أماندا، أمًّا مغوية، تلعق لسانًا مثيرًا لمراهق بمتجر «ستوب آند شوب» في موقف السيارات. أو ربما تكون امرأة أخرى من المدينة تنفق كثيرًا من المال على كثير من الطعام.

وضع الفتى، أو ربما كان رجلًا، الأكياس في عربة وتبع أماندا إلى موقف السيارات. حمَّلها في صندوق السيارة، ومنحته ورقة من فئة خمسة دولارات.

جلست، والمحرك متوقف، لترى إذا كانت لديها تغطية بهاتفها المحمول، وكانت نشوة «إندروفين» الرسائل الإلكترونية الواردة ـ جوسلين، جوسلين، جوسلين، مديرة وكالتهم، أحد العملاء، رسالتان رسميتان أرسلهما مدير المشروع إلى المكتب بأكمله ـ نشوة جنسية مثل تلك التي رفرفت فوق فتى الأكياس.

لم يكن هناك شيء مهم يحدث في العمل، لكن كان من المريح معرفة ذلك عن يقين بدلًا من القلق بشأنه. شغَّلت أماندا الراديو. تعرفت تقريبًا على الأغنية المذاعة. توقفت عند محطة الوقود واشترت لكلاي عبوة سجائر «بارلامنت». كانا في إجازة. هذه الليلة، بعد الهمبرجر والنقانق والكوسة المشوية، بعد زبديات الآيس كريم التي يعلوها فتات الكعك وربما بعض شرائح الفراولة أيضًا، ربما يتضاجعان... لا يمارسان الحب، الحب للمنزل، المضاجعة للإجازة، متعرقة ورطبة وأجنبية على نحو مثير تحت أغطية فراش من متجر «بوتري بارن» خاصة بشخص آخر، ثم يذهبان إلى الخارج، وينزلقان في حوض الاستحمام الساخن، ويتركان الماء يغسلهما ليُنظِّفا، ويدخن كل منهما سيجارة ويتكلمان عمَّا تتكلم عنه بعد أن تصبح متزوجًا لمدة طويلة مثلهما: الشؤون المالية، الأطفال، الأحلام الحميمة بالعقارات (كم سيكون

لطيفًا أن يكون لديهم منزل مثل هذا ملكهم وحدهم!). أو سيتحدثان عن لا شيء، المتعة الأخرى للزواج الطويل. سيشاهدان التلفزيون. قادت السيارة عائدة إلى منزل القرميد المطلي.

٤

عقد كلاي المنشفة حول خصره. كانت لفتة فتح الأبواب المزدوجة راقية بطبيعتها. كان الجو باردًا في الداخل، وحارًا جدًّا في الخارج. شُذبت الأشجار كي لا يصل ظلها إلى حمَّام السباحة. جعلك كل ذلك القدر من أشعة الشمس مصابًا بالدوار. تركت قدماه الرطبتان علاماتهما على الأرضيات الخشبية، وتلاشت في ثوانٍ. اختصر كلاي طريقه خلال المطبخ وخرج من الباب الأمامي. استعاد سجائره من درج السيارة، وهو يجفل ألمًا بسبب الحصى. جلس على المرجة الأمامية في ظل الأشجار ودخن. عليه أن يشعر بالسوء حيال ذلك، لكن التبغ كان أساس قيام الأمة. يقيدك التدخين بالتاريخ نفسه! كان عملًا وطنيًا، أو كان كذلك فيما مضى، على أي حال، مثل امتلاك العبيد أو قتل أفراد قبيلة «شيروكي».

كان الجلوس في الخارج ممتعًا، شبه عارٍ، الشمس والهواء على بشرتك يذكرانك بأنك مجرد حيوان آخر. كان بوسعه أن يجلس هناك عاريًا تمامًا. لم تكن هناك منازل أخرى، ولا علامات على حياة بشرية، سوى منفذ بيع منتجات المزرعة بنظام الشرف الواقع على بُعد نصف ميل في طريق العودة. هناك وقت ما كانوا فيه عراة تمامًا معًا، يتشارك آرتشي وهو حفنة من العظم والقهقهات حوض الاستحمام مع والديه، لكنك كبرت على ذلك إلا لو كنت هِيبيًا.

لم يتمكن من سماع الطفلين وهما يتصرفان بصخب في حمَّام السباحة. لم يكن المنزل بينه وبينهما كبيرًا للغاية، لكن الأشجار امتصت ضجيجهما مثلما يمكن أن يفعل القطن مع الدم. شعر كلاي بالأمان، والتدليل، والاحتضان، بالحصن المسور لمنع العالم من إيذائك. كما لو كان بوسعه رؤية الأمر، تصور أماندا، طافية على غير هدى على أريكة قابلة للنفخ، تتظاهر بالوقار (أمر يصعب فعله: حتى البط يفتقر إلى ذلك على نحو ما، تموجات الماء سخيفة دائمًا) وتقرأ رواية «إل». فك كلاي عقدة المنشفة واستلقى. كان العشب تحت ظهره يسبب الحكة. حدق في السماء. من دون التفكير بالأمر حقًّا، لكن بنوع من التفكير به أيضًا، هامت يده إلى أسفل الجزء الأمامي لبذلته من متجر «جي كرو»، وتعثرت بقضيبه، الذي أصبح باردًا وخجولًا بفعل الماء. تجعلك الإجازات شبقًا.

شعر كلاي بأنه خفيف، وغير مقيد، على الرغم من أنه لم يكن مقيدًا بالكثير. كان من المفترض أن يعد مراجعة عن كتاب لمجلة «نيويورك تايمز بوك ريفيو» وأحضر معه الكمبيوتر المحمول. احتاج فقط إلى تسعمائة كلمة. في غضون عدة ساعات، سيودع عائلته الفِراش، ويملأ قدحًا بالثلج والفودكا، يجلس بلا قميص على الشرفة غير المسقوفة خارج المنزل، الكمبيوتر المحمول يضيء الليل، يدخن السجائر، وستأتي الأفكار وستتبعها التسعمائة كلمة. كان كلاي مجتهدًا لكنه أيضًا (عرف ذلك) كان كسولًا بعض الشيء. أراد أن تُطلب منه الكتابة لـ«نيويورك تايمز بوك ريفيو» لكنه لم يرغب فعلًا في كتابة أي شيء.

كان لكلاي منصب، وكانت أماندا تحمل لقب مدير، لكن لم يكن لديهما منزل ذو أرضيات مستوية وتكييف مركزي. كان مفتاح النجاح يتمثل في أن يكون لديك والدان قد نجحا بالفعل. ومع ذلك، ما زال بإمكانهما تمثيل الملكية بصمت لمدة أسبوع. انتفض قضيبه بنفسه باتجاه الشمس، في إحدى تحايا اليوجا، قافزًا، ثم متصلبًا بسبب إغراء المنزل. مع أسطح عمل رخامية

بالمطبخ وغسالة من طراز «ميلا» حصل كلاي على انتصاب كامل. يحوم عضوه فوق بطنه مثل إبرة تدور باحثة في بوصلة.

سحق كلاي سيجارته مع شعور بالذنب. لم يكن قَطُّ خالي الوفاض من أقراص النعناع المنعشة للفم أو اللبان. ربط المنشفة حول خصره ودخل المنزل. انزلقت سلة النفايات على عجلات من أسفل سطح العمل بالمطبخ. عرض كلاي عقب السيجارة لماء الصنبور الجاري (تخيل لو أنه أحرق المنزل) ثم دفنه في القمامة. كان هناك صابون برائحة الليمون في موزع الصابون الزجاجي بجوار الحوض. بإمكانه رؤية عائلته من النافذة. كانت روز مستغرقة في لعبة خاصة بها. كان آرتشي يمارس تمارين العقلة على لوح الغطس، رافعًا جسده النحيف باتجاه السماء، وكتفاه العظميتان متوردتان بلون اللحم غير المطبوخ جيدًا.

أحيانًا، حين ينظر إلى عائلته، كانت تغمره الرغبة في القيام بالأمر من أجلهم. سأبني لك منزلًا أو أحوك لك كنزة، مهما تطلب الأمر. هل تلاحقك الذئاب؟ سأصنع جسرًا من جسدي كي تتمكن من عبور ذلك الوادي. كانوا كل ما يهم بالنسبة إليه، لكنهم بالطبع لم يفهموا ذلك حقًّا، لأن هذا كان عقدًا ملزمًا لك باعتبارك أحد الوالدين. وجد كلاي مباراة «بيسبول» على الراديو، على الرغم من أنه لم يهتم بـ«البيسبول». اعتقد أن التعليق على المباراة مريح، تغطية التفاصيل مثل قراءة قصة ما قبل النوم. ألقى كلاي عبوتين من اللحم النيئ في وعاء كبير ـ سيتناول آرتشي ثلاث قطع من الهمبرجر ـ وقطع بصلة بيضاء إلى مكعبات صغيرة، خلط ذلك معًا، ووضع عليه رشة ملح وطحن الفلفل، وأضاف صلصة «روسيسترشاير» كما يدهن العطر على معصم. شكل قطع البرجر ووضعها مصفوفة على طبق. قطع كلاي الجبن الشيدر إلى شرائح، شقَّ أرغفة خبز «كيزر» إلى أنصاف. كانت المنشفة تنزلق من حول خصره، لذا غسل يديه من اللحم النيئ وربطها بشكل أشد إحكامًا. ملأ وعاءً زجاجيًّا برقائق البطاطس ونقل الطعام إلى الخارج. شعر أن كل

خطوة مألوفة، كما لو كان يجمع وجبات الصيف بسرعة في ذلك المطبخ طوال حياته.

نادى قائلًا:

ـ العشاء بعد قليل.

لم يُسلم أحد بهذا. شغَّل كلاي الموقد الذي يعمل بغاز «البروبان»، مستخدمًا القداحة الطويلة كي يشتعل اللهب. نصف عارٍ، اعتنى باللحم النيئ، مفكرًا بأنه لا بد أن يشبه رجل الكهف، أحد الأسلاف المنسيين منذ زمن طويل. من الذي بوسعه أن يقول إنه لم يقف أحد هنا في هذه البقعة نفسها؟ منذ آلاف السنين أو حتى منذ قرون فحسب، أحد أفراد قبائل «إيروكوا» عاري الصدر يرتدي مئزرًا من جلد حيوان ما، يؤجج نارًا كي يتمكن لحم جسده من أن يتعشى على اللحم. جعلته الفكرة يبتسم.

٥

تناولوا الطعام على الشرفة غير المسقوفة خارج المنزل، مرتدين ملابس فوضوية، مجموعة من المناشف بألوان مبهرجة ومناديل ورقية ملطخة بـ«الكاتشب». قطع الهمبرجر بحجم طابة «الهوكي» داخل الخبز الهش. كانت روز حساسة بشكل خاص لسحر الطعم اللاذع لرقائق البطاطس بالخل. الفتات والدهن على ذقنها. أحبت أماندا أن روز ما زالت قادرة على الوصول إلى الصفات الطفولية الخاصة بالبنات. كان عقلها شيئًا، وجسدها شيئًا آخر: رجع الأمر إلى الهرمونات في الحليب أو السلسلة الغذائية أو إمدادات المياه أو الهواء أو من يعلم.

كان الجو حارًّا إلى درجة أن الوالدين حتى لم يأمرا الطفلين بالاستحمام، وتركاهما يسترخيان على الأريكة المنجدة بالقماش القطني المخطط بجسديهما الغضَّين، آرتشي ضامر وروز بضة: ضلوع ظاهرة وكوكبة من الشامات، مرفقان بغمازات وذقن مزغب. أرادت روز أن تشاهد فيلمًا قصيرًا للرسوم المتحركة، وكان آرتشي يرتاح سرًّا لمشاهدة أفلام الرسوم المتحركة، أمر مؤسف بالنسبة إلى شبابه. اتخذت بشرته شكل الأشواك في برودة الهواء المكيف، كانت الأريكة غير المعتادة ناعمة، وشعر بثقل وبطء في عقله وفمه بسبب حرارة اليوم أو الجهد الذي بذله. كان شديد التعب إلى درجة عدم القدرة على النهوض للحصول

على شطيرة همبرجر أخرى، أصبحت باردة، ومغمورة بالكاتشب، التي قد يأكلها واقفًا في المطبخ، والبلاط بارد تحت قدميه. بعد لحظة، فكر، لكن جسده كان يستعطف الجوع بسبب تلك الساعات في حمَّام السباحة أو ربما فقط الساعات التي قضاها محبوسًا في السيارة، هكذا شعر جسده دائمًا.

ذهبت أماندا للاستحمام. كان الشيء مثبتًا في السقف، الماء يتساقط عليك كما يفعل المطر. ضبطته ليكون ساخنًا بقدر الإمكان لإزالة بقايا مستحضر الوقاية من أشعة الشمس. شعرت دائمًا أن تلك الأشياء سامة على نحو غامض، درهم وقاية، إلخ. لم تكن تجعل شعرها قصيرًا ولا طويلًا، من دون غرة، ما جعلها تبدو شابة بطريقة ليست جيدة في بيئة العمل. هناك نوعان من الغرور على طرفي نقيض، الرغبة في أن تبدو قادرة عوضًا عن الظهور بمظهر الفتاة. عرفت أماندا أن مظهرها يعكس المرأة التي كانتها. بوسعك قراءة ذلك على محياها من مسافة بعيدة. اتزانها ووضعية جسدها، ملابسها وحسن مظهرها، جميعها قالت من تكون.

ما زال جسدها مستوعبًا لدفء الشمس غير المباشر. بالكاد كانت مياه حمَّام السباحة استجمامًا؛ فتور مياه الاستحمام. شعرت أماندا أن أطرافها ثقيلة ورائعة. أرادت أن تستلقي وتغيب بعيدًا في النوم. هامت أصابعها نحو أجزاء نفسها التي شعرت فيها بشعور أفضل، ليس بحثًا عن لذة داخلية ما لكن عن شيء له علاقة أكبر بالدماغ؛ تأكيد أنها، وكتفيها، وحلمتيها، ومرفقيها، وكل شيء، كان موجودًا. يا لها من أعجوبة، أن يكون لك جسد، شيء يحتويك. كانت الإجازة لإعادتك إلى جسدك.

لفت أماندا شعرها بمنشفة بيضاء مثل امرأة في نوع معين من الأفلام. نشرت مستحضرًا مرطبًا على بشرتها، وسحبت البنطال القطني الفضفاض الذي تفضله في الفراش، في الصيف، و«تيشيرت» قديمًا يحمل رمزًا

دعائيًّا لم يعد يعني لها أي شيء. كان من المستحيل تتبع منشأ جميع ممتلكاتهم الدنيوية. كان نسيج «التيشيرت» القطني باليًا إلى درجة أنه كان لامعًا. شعرت أنها على قيد الحياة وإن لم تكن مثيرة، فهي قادرة على ممارسة الجنس، الوعد مهم أكثر من الإجراء. ما زالت تحبه، لا شيء يعادل ذلك، وهو يعرف جسدها ـ لقد مرت ثماني عشرة سنة، بالطبع يعرفه ـ لكنها كانت بشرًا، لم تكن لتهتم بالتجديد.

أطلت خارج الباب إلى غرفة المعيشة. بدا طفلاها مصابَين بالدوار، مُسمَّنين، لهما شكل شهواني في عمل فني يمثل جاريتين على الأريكة. كان زوجها منحنيًا فوق هاتفه. قالت:

ـ إلى الفراش خلال عشرين دقيقة.

منحت أماندا زوجها نظرة موحية، ثم أغلقت الباب خلفها. تجردت من بنطالها ودخلت في بياضات الفراش الناعمة الباردة. لم تغلق الستائر ـ فليشاهدوا جميعًا، الغزال، والبوم، والديوك الرومية الغبية التي لا تطير ـ وليعجبوا بعضلة ظهر كلاي المثيرة للإعجاب حتى الآن (كان يجدف في نادي نيويورك الرياضي مرتين أسبوعيًّا)، التي تحب أن تغرز أصابعها فيها، وتلتقط الرائحة القوية المبهجة لإبطيه المشعرين، وتستحسن حركة لسانه الخفيفة على لسانها.

كان المنزل شديد البعد عن العالم إلى درجة عدم توفر خدمة الهاتف المحمول، لكن كانت هناك خدمة واي فاي، بكلمة مرور طويلة على نحو مستحيل (018HGF234WRH357XIO) لمنع مَن؟ الغزال، والبوم، والديوك الرومية الغبية التي لا تطير؟! نقرت على الزجاج، وهي تتهجى بوضوح، الكلمة العشوائية مثل حروف لوحة «ويجا» أو تسبيح على مسبحة، ثم التقط الشيء الإشارة ووصلت الرسائل الإلكترونية، متكومة إحداها فوق الأخرى. إحدى وأربعون! شعرت أنها ضرورية للغاية، مُفتقدة للغاية، محبوبة للغاية.

مكتبة ١٠٣٠

من خلال حسابها الشخصي علمت أن هناك أشياء معروضة للبيع، أن نادي الكتاب الذي كانت تنوي الانضمام إليه كان يرتب موعدًا للاجتماع في الخريف، أن مجلة «نيويوركر» كتبت عن صانع أفلام بوسني. في حسابها الخاص بالعمل، كانت هناك أسئلة، كانت هناك أمور تدعو للقلق، وأشخاص يسعون إلى الحصول على مشاركة أماندا، ورأيها، وإرشادها. لقد تلقى الجميع رسالة الرد التي تفيد أنها غير موجودة في المكتب، رد مرح وسلطوي، لكنها أخلفت الوعد بأن تكون على تواصل بعد عودتها. لا، لا تفعل س. نعم، أرسل رسالة إلكترونية إلى ص. اسأل فلانًا وعلانًا عن كذا وكذا. مجرد تذكير مع ذلك الشخص بشأن هذه المسألة.

أصبحت تشعر بمزيد من الوخز في ذراعها بسبب جهد حمل الهاتف شديد الصغر عاليًا. انقلبت على بطنها، الملاءات دافئة بسبب جسدها، لذا كان الدفء الذي على فرجها نابعًا من جسدها نفسه، وكان التقلب في الفراش فعل استمناء. شعرت أنها نظيفة، مستعدة للشعور بالاتساخ، لكنها شقت طريقها خلال الرسائل الإلكترونية، وهي تشم رائحة السجائر المختَلسة وقطع الليمون في الفودكا.

أدت حرارة الدش إلى جعل عمودها الفقري ليِّنًا كما تفعل حرارة الغرفة بقطعة من الزبد. جعلتها فصول «الفانياسا» التي تحضرها على نحو متقطع أكثر انتباهًا لعظامها. سمحت لها بالعطاء. استرخت متخلية عن قرارها المعتاد بعدم القيام بأقذر الأمور التي يمكن ممارستها كسحر أسود فيما بينهما. تركته يعجن أصابعه في شعرها ويمسك رأسها بحزم لكن بلطف على الوسادة، ليصبح حلقها مَعبرًا، فراغًا يجب ملؤه. سمحت لنفسها بأن تئن بصوت أعلى مما تفعل في المنزل، لأنه كان هناك ذلك الرواق الطويل بينهما وبين غرفتَي الطفلين. حركت وركيها إلى الخلف وإلى أعلى لتلتقي بفمه، وفيما بعد ـ شعرت أن الأمر دام للأبد ولكنه

دام لعشرين دقيقة فقط ـ أخذت قضيبه الذابل في فمها، متعجبة من طعم جسدها.

كان كلاي يلهث:

ـ يا للمسيح.

ـ عليك أن تقلع عن التدخين.

شعرت بالقلق من حدوث عارض قلبيٍّ. لم يكونا شابين إلى هذه الدرجة. فكرت كل أم في فقدان طفل، لم يتبقَّ لدى أماندا أي عواطف بشأن الموت النظري لزوجها. ستحب مرة أخرى، كما قالت لنفسها. كان رجلًا صالحًا.

ـ أفعل ذلك.

لم يعنِ كلاي ذلك. كانت هناك بالفعل متعة قليلة للغاية في الحياة العصرية.

وقفت أماندا، تمطت، لزجة بسعادة، راغبة في سيجارة لنفسها، سيجعلها تأثير الإصابة بالدوار تبتعد عمًا فعلاه توًا، وهو ما تحتاج إليه بعد ممارسة الجنس، حتى مع شخص مألوف. لم تكن تلك أنا حقًا! فتحت الباب، وكان الليل صادمًا بفعل الضوضاء. صراصير الليل أو أيًا كانت تلك الحشرة، ربما وقع أقدام متنوعة وخبيثة على الأوراق الجافة للغابة خارج المرجة، النسيم الخفي يحرك كل شيء، ربما كان النمو النباتي يصدر صوتًا حقًا، حتى، أقل صوت لحركة الخدش، خدش العشب النامي، إيقاع نبض قلب أوراق البلوط المتدفق بالكلوروفيل!

انتاب أماندا شعور وكأنها مراقَبة، لكن لم يكن هناك أحد في الخارج ليراقبها، هل كان هناك أحد؟ رعدة لا إرادية من الفكرة ذاتها، ثم تراجع إلى وهم شعور البالغين بالأمان.

تسلل الاثنان، عاريين مثل إنسان «نياندرتال»، عبر الشرفة غير المسقوفة،

الضوء الوحيد عبارة عن شريحة تنحدر خلال الباب الزجاجي. رفع كلاي غطاء حوض الاستحمام الساخن، وغاصا في رغوته، والبخار يحجب نظارته، وابتسامة حسية راضية. تكيفت عيناها مع الظلام. جسده الشاحب محدد بشكل ملحوظ. بوسعها أن تراه كما كان، لكنها أحبته.

٦

لم يشترِ أحد حبوب الإفطار. أراد آرتشي مذاقًا محددًا أقل من شعور الحبوب المصنعة التي تصبح طرية بما يكفي في الحليب. تثاءب.

ـ آسف يا بطل. سوف أعد لك بيضًا مخفوقًا.

مارس والده هذه اللعبة الغبية بأن يكون أفضل من يعد الإفطار. على الرغم من أنه كان طاهيًا ماهرًا ـ يضع الزبد دائمًا على التوست ثم يعيده إلى جهاز التحميص فيذوب الزبد في التوست حتى يصبح هلاميًا كأن شخصًا ما قد مضغه بالفعل ـ كان هناك شيء مؤسف في طريقة طلبه الاهتمام به.

كانت أماندا تنشر واقي الشمس على ظهر روز. كان التلفزيون يعمل، لكن لم يكن أحد يشاهده بالفعل. مسحت يديها على ساقيها العاريتين ووضعت الزجاجة في حقيبة مفتوحة.

ـ روز، ستحضرين ثلاثة كتب، لما بعد ظهيرة واحدة على الشاطئ؟

ـ سنكون هناك طوال اليوم، ماذا لو لم يعد لديَّ شيء لقراءته؟

ـ الحقيبة ثقيلة جدًا بالفعل.

لم تكن روز تريد أن تتذمر، لكن الأمر حدث نوعًا ما وحسب.

قال كلاي:

ـ يمكنكِ وضعها في هذه الحقيبة.

ظن كلاي أن ولع الفتاة بالكتب ينعكس عليهم بشكل جيد.

ـ آرتشي، هل يمكنك جلب هذه الحقيبة؟
ـ أحتاج إلى الذهاب إلى الحمَّام.

تلكأ آرتشي في الداخل أمام المرآة. كان يرتدي قميصه الخاص بلعب «لاكروس»، الذي قص كُميه لأنه أراد أن يرى الناس عضلاته، وتأملها، سعيدًا بما رأى.

نادى كلاي ابنه:
ـ أسرِع.

الضيق الضروري كنتيجة لهذا التراخي.
ـ لديَّ هنا الغداء، والماء، والبطانية، والمناشف.

كانت أماندا تشير إلى الحقائب، متأكدة أنهم سينسون شيئًا ما حتى في هذه الحالة، أفضل الخطط الموضوعة.

قال آرتشي:
ـ سأتولى الأمر، سأتولى الأمر.

مغمغمًا بـ«يا للمسيح» قصيرة، التي كانت لا إرادية أكثر مما أدرك. أخذ آرتشي الحقيبة التي تركها والده بجوار الأريكة. لا تزن شيئًا يُذكر! كان قويًّا للغاية.

اجتمعت الأسرة في الخارج، حمَّلوا أغراضهم، ووضعوا أحزمة الأمان حول أجسادهم. تمخض نظام تحديد المواقع، غير قادر على تحديد موقع نفسه، أو موقعهم، أو باقي العالم. من دون كثير من التفكير في الأمر، وجد كلاي السبيل إلى الطريق السريع واستعاد القمر الصناعي سلطته عليهم وقادوا السيارة تحت عينه الحارسة. تحول الطريق السريع إلى جسر بدا أنه يؤدي إلى لا شيء، إلى نهاية أمريكا نفسها. انحرفوا إلى داخل موقف السيارات الخالي (كان الوقت مبكرًا) ودفعوا خمسة دولارات لمراهق يرتدي زيًّا كاكيَّ اللون، بدا هو نفسه مصنوعًا من خصلات شعر مجعدة ذات لون رملي ذهبي، ونمش، وبشرة بنية، وأسنان مثل أصداف صغيرة.

كان هناك نفق من موقف السيارات إلى الشاطئ، حملهم عبر ميدان، وصواري أعلام شاهقة مثل أشجار «السيكويا» الساحلية العملاقة، وأعلام دول عديدة خفاقة في هواء المحيط.

ـ ما هذا؟

كان آرتشي متهكمًا حتى حين لم يعنِ ذلك. وقفوا بأقدام تنتعل صنادل مفتوحة في وادٍ صغير من الأسمنت، وقرأت أماندا النقش المحفور، «لضحايا رحلة «TWA» رقم ٨٠٠ المتجهة إلى باريس». هلك الجميع. كنتَ تسمع ذلك مترجمًا إلى أرواح، أحيانًا، ما جعل الأمر يبدو أشد عظمة أو تقليدية أو قدسية. تذكرت أماندا، أن المؤمنين بنظريات المؤامرة قالوا إنه كان صاروخًا أمريكيًّا، لكن المنطق قال إنه كان خللًا ميكانيكيًّا. تظاهرنا بخلاف ذلك، لكن هذه الأمور تحدث.

ـ فلنذهب.

جذبت روز الحقيبة المتدلية عبر كتف والدها.

كان الجو حارًّا، لكن الرياح كانت عاصفة، جالبة برودة من فضاء المحيط. كان هناك شيء بشأنه يتسم بصفات القطب الشمالي، ومن كان ليقول إن هذه لم تكن الحالة حرفيًّا. كان العالم شاسعًا لكنه أيضًا صغير ومحكوم بالمنطق. ناضلت أماندا لتفرد البطانية، شيء ما وجدته على الإنترنت، طبعها القرويون الهنود الأميون باستخدام الطباعة الخشبية. وضعت حقيبة عند كل زاوية لتثبت البطانية بالثقل. تخلص الطفلان من طبقاتهما ووثبا بعيدًا مثل الغزلان. دققت روز في المخلفات التي جرفتها الأمواج على الرمال، أصداف وأكواب بلاستيكية وبالونات بألوان قوس قزح احتفلت بحفلات التخرج وبلوغ السادسة عشرة على بُعد أميال. ركع آرتشي على الرمال على مسافة من مخيمهم، متظاهرًا بعدم التحديق في حارسات الإنقاذ، فتيات سليمات الأجسام، بخصلات خففت الشمس لونها وملابس سباحة حمراء.

كانت لدى أماندا رواية استطاعت الاستمرار في قراءتها بصعوبة، بها مجاز محوري مرهق يتضمن الطيور. كان لدى كلاي كتاب من النوع الذي يكون لديه عادة، نقد هزيل غير قابل للتصنيف للطريقة التي نعيش بها الآن، النوع الذي يستحيل قراءته شبه عارٍ في الشمس لكن من المهم قراءته، من أجل عمله.

ظلت نظرته شاردة في اتجاه حارسات الإنقاذ. كذلك فعلت نظرة أماندا. كيف بوسعهما ألَّا يفعلا ذلك؟ كان هناك مجاز أقل إرهاقًا؛ ما الذي يحول بينك وبين الموت على يد الطبيعة سوى شابات جميلات، ببطون مسطحة، وحلمات بحجم عملة الربع دولار، وعضلات أذرع منتفخة، وسيقان خالية من الشعر، وبشرة بنية، وشعر جاف، وأفواه مثالية بفعل تقويم الأسنان، وعيون واثقة خلف نظارات شمسية بلاستيكية رخيصة؟

تناولوا شطائر الديك الرومي ورقائق ظلت تتكسر في صلصة «جواكامولي» معجنة (حصة أصغر من دون عشب لاذع، من أجل الابن المحبوب بشغف)، ثم بطيخ، منعش وبارد. نام آرتشي، وقرأت روز واحدة من رواياتها المصورة. استيقظ آرتشي واستدرج أباه إلى الأمواج، التي كانت مرعبة. راقبت أماندا تحسبًا لظهور أسماك القرش لأنها سمعت أنه كانت هناك أسماك قرش. ماذا ستفعل إحدى حارسات الإنقاذ المراهقات هؤلاء إذا كانت هناك أسماك قرش؟

كان الأمر ممتعًا، كان مسليًا، كان مرهقًا. لم تكن الشمس تتقهقر لكن الرياح كانت تفوز.

ـ يجب أن نذهب.

عبأت أماندا عبواتهم البلاستيكية الفارغة في الحقيبة الحرارية العازلة التي وجدتها في المطبخ. كانت بالضبط في المكان الذي كنت ستخزن فيه حقيبة عازلة في مطبخك (خزانة أسفل الميكروويف).

ارتعدت روز، ولفها والدها في منشفة تمامًا كما كان يفعل حين كانت

طفلة صغيرة انتهت لتوِّها من الاستحمام. سار أفراد الأسرة بتثاقل إلى سيارتهم، مهزومين على نحو غريب، وقادوا عائدين عبر الجسر.

قالت أماندا وهي تضغط بيدها على ساعد زوجها الأيمن، بحماس:

ـ هناك «ستاربكس».

صف السيارة في موقف السيارات، ودلفت أماندا إلى الداخل. على الجانب الآخر، بعيدًا عن تلك الرياح، ما زال الجو حارًّا. كان الفرع مطابقًا لباقي فروع «ستاربكس»، كأي فرع ضمن سلسلة فروع متجر كبير، لكن أليس ذلك مريحًا؟ الألوان المميزة، تلك المناديل الورقية البنية التي يمكن الاعتماد عليها ـ دائمًا توجد منها كومة في السيارة لتمخُّط الأنوف في الشتاء ومسح ما ينسكب ـ الماصات البلاستيكية الخضراء، المهووسون ذوو البِنية القوية يدفعون سبعة دولارات مقابل الحليب المخفوق المزين في أكواب بحجم الكؤوس الرياضية. طلبت قهوة سوداء، على الرغم من أن الساعة تجاوزت الثالثة وسيبقيها ذلك مستيقظة لوقت متأخر، أو ربما لن يحدث ذلك، لأن القرب من المحيط دائمًا ما يجعلها متعبة.

كانت هناك إزالة عشوائية للرمال عن الأطراف، باستخدام خرطوم الفناء الخلفي. رش آرتشي الشيء مباشرة أسفل الجزء الأمامي للباس السباحة الخاص به، التصقت أصداف فعلية شديدة الصغر بخصيتيه، ثم اكتشف أن ذلك كان جيدًا بما يكفي وغاص في حمَّام السباحة. فرك فروة رأسه وشعر بالرمال وهي تُطرد، وتنجرف بعيدًا في الماء.

غسلت أماندا قدميها ثم دلفت إلى الداخل للاستحمام. شعرت أن المنزل مألوف على نحو مطَمئن بعد أقل من أربع وعشرين ساعة. شغلت بودكاست على الكمبيوتر ـ شيء ما له علاقة بالعقل، بالكاد انتبهت إليه ـ وغسلت شعرها بالشامبو مرة أخرى، كارهة تأثير الماء المالح عليه. ارتدت ثيابها ووجدت كلاي يصفر وهو يشطف وعاء لحفظ الطعام المغطى بالرمل.

قالت أماندا:

ـ سأعد المكرونة.

ـ الطفلان في حمَّام السباحة. سأسرع إلى المتجر لأحضر بعض حبوب الإفطار من أجل آرتشي.

قصد أنه سيسرع إلى المتجر، يدخن سيجارة في موقف السيارات، يدلف إلى الداخل، يغسل يديه، ويعود بما قيمته مائة دولار من الطعام.

ـ يقولون إنها ربما تمطر غدًا.

ـ يمكنك تقريبًا أن تشعر بذلك.

وعد في الهواء، أو ربما كان تهديدًا. أحضرت الكمبيوتر معها إلى المطبخ حتى تتمكن من مواصلة الاستماع إلى البودكاست. وضعته على النضد.

ـ أحضر شيئًا حلوًا؟ مثل... فطيرة. أحضر فطيرة. وربما مزيدًا من الآيس كريم؟

الليلة الماضية، بعد المضاجعة والدوار بفعل حوض الاستحمام الساخن، تناولا معًا نصف لتر بأكمله.

ـ ربما بعض الطماطم. بطيخة أخرى. بعض التوت. لا أعرف، أي شيء يبدو جيدًا.

قبَّلها، أمر غير مألوف فعله عند الخروج لأداء مهمة بسيطة، لكنه أمر لطيف.

كانت النافذة تعني أن بوسعها مراقبة الأطفال وهي تفعل شيئًا آخر. بشرت الليمون، ألقته في الزبدة اللينة، فرمت الثوم وأضافته. استخدمت مقص المطبخ لتقطيع البقدونس، الذي كانت له رائحة نفاذة ومذهلة. لفت كل ذلك معًا ليصنع عجينة سميكة. ستخفف المكرونة الساخنة مذاق الثوم.

استخدمت الصنبور الذي يملأ القدر فوق الموقد، وصلت بنفسها إلى ملح كوشير في مخزن المؤن، صبت كأسًا من النبيذ الأحمر. جعل ذلك معدتها تتمخض، نبيذ أحمر على قهوة سوداء. غلى الماء. انحرف انتباهها.

وراء حمَّام السباحة، خلال الغابة عند محيط الملكية، رأت أماندا غزالًا، ثم ركزت نظرها ورأت اثنين آخرين، أصغر. أُم وصغيران! ألم يكن ذلك مناسبًا؟ كانت الحيوانات حذرة، تتشمم خلال الأجمة باحثة عن... ماذا تأكل الغزلان؟ أحرجها جهلها.

صفَّت المكرونة المسلوقة، ووضعت زبدة الأعشاب في وسط عش عيدان المكرونة، وأعادت الغطاء إلى مكانه وفتحت الباب الزجاجي. أصبح الهواء أشد برودة. ستمطر، أو سيحدث شيء ما، وسيتعين عليهم قضاء اليوم التالي داخل المنزل. كانت هناك ألعاب لوحية، وكان هناك تلفزيون، ربما سيشاهدون فيلمًا، كان هناك وعاء زجاجي يحوي الذرة المجففة في مخزن المؤن، ربما سيصنعون بعض الفشار، ويستلقون طيلة اليوم.

ـ حان وقت الدخول، يا شباب.

كان آرتشي وروز في المغطس الساخن، لونهما وردي مثل سرطان البحر المطهي. أصرت أماندا أن يستحم الطفلان ويزيلا رائحة الكلور تلك. صبت لنفسها كأسًا أخرى من النبيذ. عاد كلاي مع عدد مذهل من الأكياس الورقية.

ـ بالغتُ قليلًا.

بدا خجولًا.

ـ اعتقدتُ أنها ستمطر. لا أريد مغادرة المنزل غدًا.

عبست أماندا لأنها شعرت أنه من المفترض أن تفعل ذلك. لن يضرهم أن ينفقوا ما يزيد قليلًا على المعتاد عند شراء البقالة. أو ربما كان ذلك تأثير النبيذ.

ـ لا بأس. لا بأس. ضع تلك الأشياء بعيدًا ودعنا نأكل.

لم تكن متأكدة أنها لم تكن تتكلم على نحو مدغم قليلًا.

جهزت المائدة. جلس الطفلان، فواحَين برائحة حلوى اللوز (صابون دكتور «برونرز»، في الزجاجة الخضراء). كانا مصابَين بالنوع الأفضل من التعب، وديعَين، مهذبَين تقريبًا، لا تجشؤ أو نعت بالشتائم. حتى إن آرتشي

ساعد أباه في تنظيف المائدة، واستلقت أماندا على الأريكة بجانب روز، ورأسها في حجر طفلتها الدافئ. لم تكن تقصد أن تنام، لكنها فعلت، متخمة بالنبيذ والمكرونة وضجِرة بفعل ثرثرة التلفزيون. كانت أماندا متحيرة حين نهضت بعد عشرين دقيقة بسبب إعلان تجاري مجلجل على نحو خاص وحاجة روز للذهاب إلى الحمَّام. كان فمها جافًّا.

ـ حصلتِ على قيلولة لطيفة؟

كان كلاي يداعب، ليس على نحو غزلي (ما زال متخمًا) لكن رومانسي؛ بشكل أفضل أو أشد ندرة. لقد صنعا حياة لطيفة لنفسيهما، أليس كذلك؟

حلت أماندا الكلمات المتقاطعة في جريدة «نيويورك تايمز» على هاتفها ـ كانت تخشى الخرف، وشعرت أن هذا أمر وقائي ـ ومر الوقت على نحو غريب، كما فعل حين كان يُقاس بالدقائق قبل زمن التلفزيون. إذا كانت الليلة السابقة متلهفة على تفقد عملها ومضاجعة زوجها، فقد شعرت هذه الليلة أنه من المهم أن تتلكأ على الأريكة مع طفليها، آرتشي معطل الإحساس في كنزته شديدة الضخامة ذات القلنسوة، روز طفولية، ملتفة بالصوف المسبِّب للحكة الملقى يسارًا على ذراع الأريكة. قدم كلاي زبديات الآيس كريم، ثم جمعها، ثم اشتغلت غسالة الصحون بكركرة مطمئنة، وبدت عينا روز خاويتين وتثاءب آرتشي بصوت عالٍ، فجأة، مثل رجلٍ إلى حد كبير، وأرسلت أماندا الطفلين إلى الفراش، وطلبت منهما تنظيف أسنانهما بالفرشاة لكنها لم تقف تراقبهما للتأكد من أنهما فعلا ذلك.

تثاءبت، كانت متعبة بما يكفي للذهاب إلى الفراش، لكنها عرفت بشكل ما أنها إذا تحركت، فلن تخلد إلى النوم. غيَّر كلاي القناة، متوقفًا للحظة عند راتشيل مادو ثم حوَّل إلى فيلم مثير لم يكن أيهما قادرًا على متابعته، عن محققين وفريستهم.

ـ التلفزيون شديد الغباء.

أطفأه كلاي. فضل أن يلعب بهاتفه. وضع بعض الثلج في كأس.

ـ هل تريدين شرابًا؟

هزت أماندا رأسها نفيًا:

ـ لقد اكتفيت.

لم تعرف تمامًا أي مفتاح يتحكم في أي إضاءة. نقرت واحدًا، أُضيء حمَّام السباحة وقطع الأرض الواقعة خلفه، أشعة بيضاء نقية انطلقت خلال الأغصان الخضراء بالأعلى. أطفأت النور، معيدة الأشياء إلى حالتها السوداء، الأمر الذي بدا صحيحًا، بدا طبيعيًّا.

قالت أو فكرت:

ـ أحتاج إلى بعض الماء.

شقت طريقها إلى المطبخ. كانت تملأ إحدى كؤوس «أيكيا» حين سمعت خدشًا، وقع قدم، صوتًا، شيئًا ما بدا غريبًا أو خاطئًا.

ـ هل سمعت ذلك؟

همهم كلاي، لم يكن ينصت حقًّا. فحص الزر الصغير على جانب هاتفه ليتأكد أن الصوت كان مغلقًا.

ـ ليس أنا.

ـ لا.

ارتشفت ماءها.

ـ كان شيئًا آخر.

ها هو مرة أخرى: خرفشة، صوت، تمتمة هادئة، حضور. اضطراب، تغيير. شيء ما. هذه المرة كانت أماندا أشد يقينًا. تسارع قلبها. شعرت بالاتزان، واليقظة. وضعت كوبها على النضد الرخامي، بهدوء، فجأة بدا ذلك صوابًا، التحرك خلسة.

همست:

ـ سمعت شيئًا ما.

في مثل هذه اللحظات، يُستدعى كلاي. عليه أن يكون الرجل. لم يمانع

في الأمر. ربما أحبه. ربما جعله يشعر بأنه ضروري. من آخر الرواق، كان بوسعه تقريبًا سماع آرتشي، يشخر مثل كلب نائم.

ـ ربما يكون مجرد غزال في الحديقة الأمامية.

رفعت أماندا يدها لإسكاته:

ـ إنه شيء ما.

صار طعم فمها معدنيًّا بفعل الخوف:

ـ أعرف أنني سمعت شيئًا ما.

ها هو ذا، غير قابل للإنكار، ضوضاء. سعال، صوت، خطوة، تردد، تلك المعرفة الحيوانية التي لا يمكن تصنيفها أن هناك آخر من النوع نفسه على مقربة، والوقفة، المثقلة، لمعرفة إذا كان ينوي شرًّا. كانت هناك طرقة على الباب. طرقة على باب هذا المنزل، حيث لم يكن أحد يعرف بوجودهم، ولا حتى نظام تحديد المواقع العالمي، هذا المنزل قريب من المحيط لكنه أيضًا ضائع في الأراضي الزراعية، هذا المنزل من القرميد الأحمر المطلي باللون الأبيض، المادة نفسها التي يختارها أذكى خنزير صغير لأنها ستبقيه آمنًا. كانت هناك طرقة على الباب.

٧

ما الذي كان عليهم فعله؟

وقفت أماندا، متجمدة، غريزة الفريسة. استجمعي أفكارك:

ـ أحضر خفاشًا(*).

ذلك الحل القديم: العنف.

ـ خفاشًا؟

تصور كلاي الحيوان الثديي الطائر.

ـ مضربًا؟

فهم عندها، من أين سيحصل على مضرب؟ متى كانت آخر مرة حمل فيها مضربًا؟ هل لديهم حتى مضرب بيسبول في المنزل، وإذا كان لديهم، هل أحضروه في الإجازة؟ لا، لكن متى قرروا نبذ هذا اللهو الأمريكي؟ في ردهة مدخل منزلهم في «بالتيك ستريت» لديهم مجموعة من المظلات المكسورة بدرجات متفاوتة، ومكشطة إضافية للزجاج الأمامي، وعصا لعبة «لاكروس» الخاصة بآرتشي، بعض من تلك الأشياء الموزعة بشكل عام بين عدد من الأشخاص، التي لم تُطلب قَطُّ، حزمة من قسائم الشراء في معطف بلاستيكي مقاوم للمطر لن يتحلل بيولوجيًّا أبدًا. حسنًا، لعبة «لاكروس» مأخوذة عن الهنود الحمر، ربما كانت أكثر تمثيلًا لجميع الأمريكيين. على

(*) الكلمة المستخدمة بالإنجليزية تعني خفاشًا وتعني مضربًا. (المترجمة).

منضدة «كونسول»، أسفل صورة داخل إطار لكوني آيلاند، كان هناك جسم نحاسي، له عزم دوران فني صغير، نوع من الأشياء التافهة المصنوعة في الصين، الهادفة إلى إضفاء طابع مميز على غرف الفنادق أو الشقق النموذجية. التقطه عاليًا لكن وجد أنه لا يزن شيئًا يُذكر. إلى جانب ذلك، ماذا سيفعل؟ يلف أصابعه حوله، ويضرب شخصًا غريبًا على رأسه؟ لقد كان أستاذًا جامعيًّا.

ـ لا أعرف.

كان همسها كهمسٍ على خشبة مسرح. أيًّا كان من على الجانب الآخر للباب بوسعه سماعها بالتأكيد.

ـ من عساه يكون؟

مكتبة
t.me/t_pdf

كان هذا سخيفًا.

ـ لا أعرف.

وضع كلاي التحفة الفنية الصغيرة في مكانها. لا يستطيع الفن حمايتهما.

كانت هناك طرقة أخرى على الباب. هذه المرة، صوت رجل.

ـ أنا آسف. مرحبًا؟

لم يستطِع كلاي تخيل أن قاتلًا بوسعه أن يكون شديد التهذيب.

ـ لا يوجد شيء. سأتولى الأمر.

ـ لا!

انتاب أماندا ذلك الشعور، ومضة شعور رهيبة، هاجس ما إذا كان الأسوأ قد حدث وتجاوُز جنون الارتياب إذا لم يحدث. لم تحب هذا الأمر.

ـ دعينا نهدأ وحسب.

ربما كان ينقل من دون وعي التصرفات التي تظهر في الأفلام. نظر إلى زوجته حتى بدا أنها هادئة، مثلما يفعل المروضون مع أسودهم، السيطرة والتواصل البصري. لم يؤمن تمامًا بالفعل.

ـ أحضري الهاتف، تحسبًا فقط.

كان ذلك حاسمًا وذكيًا، كان فخورًا بنفسه لأنه فكر في الأمر.

ذهبت أماندا إلى المطبخ. كان هناك مكتب، هاتف لاسلكي، نظام رقم ٥١٦. خلال حياتها كان الهاتف اللاسلكي ابتكارًا وعفا عليه الزمن. ما زال لديهم واحد في المنزل، لكن لم يستخدمه أحد على الإطلاق. التقطته. هل عليها أن تضغط الزر، تطلب الرقم تسعة ثم واحد وتنتظر؟

فتح كلاي القفل وجذب الباب لينفتح. ما الذي كان يتوقعه؟

كشف الضوء المسلَّطُ في شرفة المدخل عن الرجل، أسود، وسيم، بنسب متناسقة على الرغم من أنه ربما يكون قصيرًا بعض الشيء، في الستينيات من عمره، بابتسامة دافئة. كان غريبًا، مدى السرعة التي تستطيع بها العين التسجيل: غير خطر، أو غير مؤذٍ، أو مطمئن على الفور. كان يرتدي سترة مجعدة، وربطة عنق معقودة بتراخٍ، وقميصًا مخططًا، وذلك البنطال البني الذي يرتديه أي رجل تجاوز الخامسة والثلاثين. رفع يديه في بادرة إما أنها استعطافية أو تقول: «لا تطلق النار». في مثل عمره، كان الرجال السود ماهرين في تلك البادرة.

ـ أنا آسف جدًّا لإزعاجكم.

بدا صوته مخلصًا، على عكس ما يفعل الناس عادة حينما يقولون ما قال. كان يعرف كيف يمثل.

ـ مرحبًا؟

قالها كلاي كما لو كان يرد على الهاتف. كان فتح الباب لزائر غير متوقع أمرًا غير مسبوق. استوعبت الحياة الحضرية الرجل الذي جاء ليسلم صندوق «أمازون» فحسب، وكان عليه أن يتصل أولًا.

ـ مرحبًا!

ـ أنا آسف جدًّا لإزعاجكم.

كان صوت الرجل أجش ومصحوبًا بوقار مذيع نشرة الأخبار. عرف أن تلك الخاصية تجعله يبدو أشد إخلاصًا.

إلى جوار الرجل لكن خلفه مباشرة كانت هناك امرأة، سوداء أيضًا، ذات عمر غير محدد أيضًا، ترتدي تنورة وسترة مربعتين من الكتان.

ـ نحن آسفان.

صححت، مع التشديد على نحن، كان الأمر شديد التكلف إلى درجة أنها يجب أن تكون زوجته.

ـ لم نقصد إخافتكم.

ضحك كلاي كما لو كانت الفكرة سخيفة. خائف، لم يكن خائفًا. بدت نوعًا ما مثل المرأة التي قد تراها في إعلان تلفزيوني عن دواء لهشاشة العظام.

تلكأت أماندا بين ردهة المدخل والمطبخ، خلف أحد الأعمدة، كما لو أن ذلك يقدم ميزة تكتيكية من نوع ما. لم تكن مقتنعة. قد تكون مكالمة طوارئ مناسبة. الأشخاص الذين يرتدون ربطات العنق قد يكونون مجرمين. لم تذهب لإغلاق بابَي غرفتَي نوم الطفلين، أي نوع من الأمهات كانت؟

ـ هل يمكننا مساعدتكما؟

هل هذا ما يقوله المرء في مثل هذا الظرف؟ كان كلاي مشوشًا. سعل الرجل بخفة:

ـ نعتذر لإزعاجكم.

مرة ثالثة، مثل تعويذة. تابع قائلًا:

ـ أعرف أن الوقت متأخر. طرقة على الباب، أمر شديد الغرابة هنا.

لقد تخيل كيف سيحدث هذا الأمر. لقد تمرن على هذا الجزء.

الآن التقطت المرأة الحديث:

ـ لم نتمكن من اتخاذ القرار الأفضل، إذا كان علينا الطرق على الباب الأمامي أم الباب الجانبي.

ضحكت لتبين كم كان هذا سخيفًا. حمل صوتها دروسًا ضمنية في التخاطب منذ زمن بعيد. لمحة من صوت «هيبورن» بدا مثل نطق أرستقراطي.

ـ اعتقدتُ أن هذا ربما يكون أقل إثارة للخوف.

احتج كلاي بشدة:

ـ ليس مخيفًا، مفاجئ فحسب.

ـ بالطبع، بالطبع.

توقع الرجل بنفس ذلك القدر.

ـ قلتُ إن علينا أن نجرب الباب الجانبي. إنه من الزجاج، لذا بوسعك رؤيتنا ومعرفة أننا...

تلاشت كلماته، هز كتفيه ليقول: «لا نقصد أي أذى».

حاولت المرأة لفت انتباه كلاي:

ـ اعتقدت أن ذلك قد يكون أشد غرابة، على أي حال، أو مخيفًا.

بدا ما يشبه انسجامهما ساحرًا إلى درجة الكوميديا، مثل باوِل ولوي(*). اختمر الأدرينالين لدى كلاي ليتحول إلى شعور بالضيق.

ـ هل يمكننا... مساعدتكما؟

إنه حتى لم يسمع صوت سيارتهما، إذا كانا قد أتيا بالسيارة، وإلَّا كيف كانا سيأتيان؟

قال كلاي يمكننا، وهكذا، خطت أماندا إلى ردهة المدخل، ممسكة الهاتف في يدها بإحكام مثل لعبة الطفل المحشوة المفضلة. ربما كانا من السائقين التائهين، أو انثقب إطار سيارتهما. شفرة «أوكام»(**) وما إلى ذلك.

ـ مرحبًا!

أجبرت نفسها على بعض البهجة، كما لو كانت تنتظرهما.

ـ مساء الخير.

(*) وليام باوِل وميرنا لوي، ممثلان أمريكيان مثَّلا معًا دور الزوجين في الكثير من الأفلام في الثلاثينيات والأربعينيات، كان أداؤهما المتميز معًا مثالًا على التناغم المطلوب بين الممثلين على الشاشة. (المترجمة).

(**) شفرة أوكام: مبدأ ينص على أن أبسط التفسيرات هو التفسير الصحيح في أغلب الأحوال. (المترجمة).

أراد الرجل أن يؤكد أنه رجل محترم. كان هذا جزءًا من الخطة.

ـ لقد سببتما لنا الفزع. لم نكن نتوقع أحدًا.

لم تبالِ أماندا بالاعتراف بالأمر. حسبت أن ذلك قد يعطيها اليد العُليا. اعتقدت أن ذلك قد يقول: «هذا منزلنا، ماذا تريدان؟».

كانت هناك رياح، وبدت مثل جوقة من الأصوات. تمايلت الأشجار، وطوحت رؤوسها باستسلام. العاصفة قادمة، أو هي في الخارج في مكان ما.

ارتعدت المرأة. لا يمكن أن تبقيها ثيابها الكتانية دافئة. بدت جديرة بالشفقة، عجوزًا، غير مُهيأة بما يكفي. كانت ذكية، وكانت تعتمد على ذلك.

لم يكن بوسع كلاي ألَّا يشعر بالسوء، أو الوقاحة. كانت المرأة عجوزًا بما يكفي لتكون أمه، مع أن أمه ماتت منذ زمن طويل. كانت الأخلاق الحميدة الأداة التي تساعدك للتعامل في لحظات بهذه الغرابة.

ـ لقد فاجأتمانا. لكن ما الذي يمكننا عمله من أجلكما؟

نظر الرجل الأسود إلى أماندا، وصارت ابتسامته أكثر دفئًا.

ـ حسنًا، لا بد أنكِ أماندا. أليس كذلك؟ أماندا. أنا آسف، لكن...

كان النسيم يدوِّم حولهم، خلال ملابسهم الصيفية. قال اسمها للمرة الثالثة لأنه عرف أن ذلك سيكون أمرًا فعالًا.

ـ أماندا، هل تعتقدين أنه يمكننا الدخول؟

٨

كان التعرف على الناس إحدى مهارات أماندا. اشترت «الكوكتيلات» لبيروقراطيي مينابولس وكولومبوس وسانت لويس الذين دفعوا لها. تذكرت من يكون هذا أو ذاك وسألت عن عائلاتهم. كان هذا شيئًا تفخر به. نظرت إلى الرجل ورأت فقط رجلًا أسود لم تَرَه قَطُّ.

ـ هل تعرفان بعضكما؟

اطمأن كلاي. رفع النسيم شعر ساقيه.

ـ لم يكن اللقاء وجهًا لوجه من دواعي سرورنا.

كان لدى الرجل تمرُّس رجل مبيعات، وهو في النهاية، ما كان عليه.

ـ أنا جي إتش.

لم تعنِ الحروف لها شيئًا. حاولت أماندا اكتشاف ما إذا كان يتهجى شيئًا ما.

ـ جورج.

اعتقدت المرأة أن الاسم ألطف من الحروف الأولى، وكانت هذه هي اللحظة التي كان عليهما فيها أن يبدوا بشريين. لن تعرف أبدًا من بحوزته أسلحة ومستعد لحماية أرضه.

ـ إنه جورج.

فكر في نفسه على أنه جورج. تحدث عن نفسه على أنه جي إتش.

ـ جورج، صحيح، أنا جورج. هذا منزلنا.

كانت الحيازة جزءًا من القانون، ولقد ضللت أماندا نفسها. لقد كانت تتظاهر أن هذا منزلهما!

ـ أستميحك عذرًا؟

قال مرة أخرى:

ـ هذا منزلنا. لقد تبادلنا الرسائل الإلكترونية مرارًا وتكرارًا بشأن المنزل؟

حاول أن يبدو حازمًا لكن لطيفًا أيضًا.

تذكرت أماندا، حينها: GHW@washingtongroupfund.com الغموض الرسمي الذي اكتنف تلك الحروف الأولى. كان المكان مريحًا لكنه مجهول الهوية إلى درجة أنها لم تتكبد عناء محاولة تصور مالكيه، والآن، برؤيتهما، عرفت أنها لو تكبدت عناء محاولة تصورهما، لكانت صورتها غير صحيحة. لم يبدُ لها المنزل من النوع الذي يعيش فيه السود. لكن ماذا كانت تقصد بذلك؟

ـ هذا... منزلكما؟

أصيب كلاي بخيبة أمل. كانوا يدفعون مقابل وهْم الملكية. كانوا في إجازة. أغلق الباب، تاركًا العالم هناك في الخارج، حيث ينتمي.

ـ نحن في شدة الأسف لإزعاجكما.

ما زالت روث تضع يدها على كتف جورج. حسنًا، لقد أصبحا في الداخل، لقد أنجزا شيئًا ما.

لماذا أغلق كلاي الباب، ودعا هذين الشخصين إلى الداخل؟ كان هذا طبعه تمامًا. أراد دائمًا التعامل مع شؤون الحياة لكنه لم يكن مهيأ لفعل ذلك. أرادت أماندا إثباتًا. أرادت أن تفحص الرهن، وبطاقة هوية بها صورة. هذان الشخصان وملابسهما الشعثاء يمكن أن يكونا، حسنًا، بدا أنهما مبشرَان أكثر من كونهما مجرمين. مؤلفا كتيبات مفعمَان بالأمل جاءا ليشهدا يهوه.

ـ لقد أخفتمانا قليلًا.

لم يمانع كلاي في الاعتراف بجبنه، بما أنه قد مر. بالكاد كانت له أهمية، كما كان، كما تجدر الإشارة، خطأهما.

ـ يا إلهي، صار الجو باردًا في الخارج على نحو مفاجئ.

ـ إنه كذلك بالفعل.

كان جي إتش جيدًا مثل أي أحد في توقع كيفية تصرف الآخرين. لكن الأمر استغرق وقتًا. كانا في الداخل. هذا ما يهم.

ـ عاصفة صيفية؟ ربما ستمر.

كانوا أربعة راشدين يقفون من دون أن يحركوا ساكنًا بارتباك كما يحدث في تلك اللحظات المترقِّبة الأخيرة في حفل عربدة.

كانت أماندا حانقة على الجميع، وعلى كلاي في المقام الأول. انتفضت، متأكدة أن أحد هذين الشخصين سيبرز سلاحًا، سكينًا، مطلبًا. تمنت لو أنها ما زالت تحمل الهاتف، مع ذلك من يمكنه تحديد الوقت الذي ستستغرقه الشرطة المحلية للوصول إلى منزلهم الجميل في أعماق الغابة. حتى إنها لم تقل أي شيء.

كان جي إتش جاهزًا. لقد استعد، حاول تخمين كيف يمكن أن يكون رد فعل هؤلاء الناس.

ـ أفهم كيف يبدو الأمر غريبًا بالنسبة إليكما، أن نظهر هكذا من دون سابق إنذار.

ـ من دون سابق إنذار.

فحصت أماندا الكلمة، ولم تصمد أمام التدقيق.

ـ كنا سنتصل، كما ترين، لكن الهواتف...

كانا سيتصلان؟ هل رقمها لدى هؤلاء الناس؟

ـ أنا روث.

مدت يدًا. خصص كل ثنائي العمل حسب القوة، خاصة في مثل هذه

اللحظات. كان دورها المصافحة والتعامل بلطف وجعلهما يشعران بالراحة حتى يتمكنا من الحصول على ما يريدان.

ـ كلاي.

صافح يدها.

ابتسمت روث:

ـ وأنتِ أماندا.

تناولت أماندا يد الغريبة مطلية الأظافر. إذا كانت الثآليل تعني العمل المخلص، فهل تعني النعومة ضمنيًا عدم الإخلاص؟ قالت:

ـ نعم.

ـ وأنا جي إتش مرة أخرى. كلاي، سررت بمقابلتك.

مارس كلاي ضغطًا أكبر مما قد يمارسه عادة، حيث كانت لديه نقطة لإثباتها.

ـ وأماندا، من الجميل أن نلتقي وجهًا لوجه.

عقدت أماندا ذراعيها على صدرها:

ـ نعم. مع أنني يجب أن أعترف أنني لم أتوقع لقاءكما على الإطلاق.

ـ لا، بالطبع لا.

ـ ربما يجب أن... نجلس؟

كان منزلهما، ماذا كان من المفترض أن يفعل كلاي؟

كانت لروث ابتسامة زوجة سياسي:

ـ سيكون هذا جميلًا.

ـ نجلس؟ نعم. لا بأس.

حاولت أماندا إيصال شيء ما لزوجها، لكن لم يمكن لنظرة واحدة أن تحوي هذا الشيء.

ـ ربما في المطبخ. علينا أن نكون هادئين، على أي حال، الطفلان نائمان.

ـ الطفلان. بالطبع. آمل أننا لم نوقظهما.

لا بد أن جي إتش قد خمن أن هناك أطفالًا، لكن ربما خدم ذلك الموقف.
ـ آرتشي بإمكانه النوم أثناء انفجار قنبلة نووية. أنا متأكد أنهما بخير.
كان كلاي على طبيعته الفكاهية.
ـ أعتقد أنني سأذهب للاطمئنان عليهما.
كانت أماندا باردة كالجليد، وحاولت الإيحاء بأن من عادتها إلقاء نظرة على الطفلين النائمين بين آنٍ وآخر.
ـ إنهما بخير.
لم يتمكن كلاي من فهم ما الذي كانت تنوي فعله.
ـ سأذهب للاطمئنان عليهما فحسب. لماذا لا...؟
لم تعرف كيف تكمل الفكرة، ولهذا لم تكترث.
ـ فلنجلس.
أشار كلاي إلى المقاعد الطويلة عند الوحدة الوسطى بالمطبخ.
ـ كلاي، يجب أن أوضح.
أخذ جي إتش هذا على عاتقه باعتباره عبئًا ذكوريًّا، مثل تدبير سيارات مستأجرة لرحلات خارج البلدة. اعتقد أن زوجًا آخر يمكنه أن يفهم.
ـ كما قلت، كنت سأتصل. حاولنا، في الحقيقة، لكن المحمول لا يعمل.
ـ أقمنا غير بعيد عن هنا لعدة مواسم صيفية ماضية.
أراد كلاي أن يثبت أن لديه بعض السيطرة على هذه المنطقة الجغرافية. أنه يعرف معنى أن يكون لديك منزل في الريف.
ـ من المستحيل الحصول على إشارة أغلب الوقت.
قال جي إتش:
ـ هذا صحيح.
كان قد جلس، ووضع مرفقيه على الرخام، ومال إلى الأمام.
ـ لكنني لست متأكدًا إذا كان هذا هو الحاصل في الوقت الحالي.
ـ كيف ذلك؟

شعر كلاي أن عليه أن يقدم لهما شيئًا. ألم يكونا ضيفين؟ أم أنه كان هو الضيف؟

ـ هل لي أن أحضر لكما بعض الماء؟

في آخر الرواق المظلم، استخدمت أماندا هاتفها المحمول للإضاءة. بعد أن تأكدت أن آرتشي وروز ما زالا موجودين، مستغرقين في نوم الأطفال الخالي من الهموم، تلكأت بعيدًا عن الأنظار مباشرة، تجاهد كي تسمع ما الذي يُناقش بينما تحاول أن تجعل هاتفها يعمل. حدقت فيه كما لو كان مرآة، لكنه لم يتعرف على وجهها ـ ربما كان الرواق شديد الظلمة ـ ولم ينبض بالحياة. ضغطت أماندا زر الشاشة الرئيسية، وأضاءت، مظهرة لها تنبيهًا إخباريًا. حرف «تي» المقروء بالكاد لجريدة «نيويورك تايمز» وبضع كلمات فقط: «الإبلاغ عن إعتام في الساحل الشرقي للولايات المتحدة». ضغطت على التنبيه، لكن التطبيق لم يفتح، فقط الشاشة البيضاء للآلة المفكرة. كانت هذه نكهة الغيظ المميزة. لا يمكنها أن تغضب، لكنها كانت كذلك.

ـ كنا الليلة في الحفل السيمفوني.

كان جي إتش في منتصف توضيحه.

ـ في حي «برونكس».

ـ إنه عضو في مجلس إدارة الفيلهارمونك.

فخرٌ زوجيٌّ، لا يمكن تمالكه. آمنت هي وجورج برد الجميل.

ـ هذا لتشجيع الناس على الاهتمام بالموسيقى الكلاسيكية...

كانت روث تفرط في التوضيح. دخلت أماندا الغرفة.

ـ الأطفال بخير؟

لم يفهم كلاي أن هذا كان مجرد تظاهر.

ـ إنهما على ما يرام.

أرادت أماندا أن تُري هاتفها لزوجها. لم يكن لديها أي أخبار بخلاف تلك الكلمات المعدودة، لكنها كانت شيئًا ما، ومثلت ميزة ما على هؤلاء الناس.

ـ كنا عائدين إلى المدينة. إلى المنزل. ثم حدث شيء ما.

لم يكن يحاول أن يكون غامضًا. حتى في السيارة لم يتحدث مع روث عن الأمر، لأنهما كانا خائفَين.

ـ إعتام.

أسفرت أماندا عن ذلك، ظافرة.

ـ كيف عرفتِ؟

فوجئ جي إتش. لقد توقع أن يضطر إلى التوضيح. لم يريا أي شيء سوى الظلام طوال الطريق، ومن ثَمَّ، خلال الأشجار، رأيا توهج منزلهما. لم يتمكنا من تصديق الأمر لأنه لم يكن منطقيًّا، لكنهما لم يهتما بأن يكون منطقيًّا. راحة الضوء وأمانه.

ـ إعتام؟

كان كلاي يتوقع شيئًا أسوأ.

ـ تلقيت تنبيهًا إخباريًّا.

أخرجت أماندا هاتفها من جيبها ووضعته على النضد.

ـ ما هو محتواه؟

أرادت روث مزيدًا من المعلومات. لقد رأت الأمر بعينيها لكنها لم تعرف شيئًا.

ـ هل ذكر السبب؟

ـ مذكور فقط أن هناك إعتامًا في الساحل الشرقي.

نظرت إلى الهاتف مرة أخرى، لكن التنبيه اختفى، ولم تعرف كيف تعود إليه.

ـ الجو عاصف في الخارج.

شعر كلاي أن السبب والنتيجة كانا واضحين.

ـ إنه موسم الأعاصير. ألم تكن هناك أخبار عن إعصار ما؟

لم تستطِع أماندا التذكر.

أومأ جي إتش برأسه:

ـ إعتام. هكذا اعتقدنا. حسنًا، نحن نسكن في الطابق الرابع عشر.

ـ ستكون إشارات المرور جميعها قد انطفأت. ستعم الفوضى.

لم تُرِد روث أن تتكبد عناء التوضيح بمزيد من التفصيل. كانت المدينة غير طبيعية بقدر ما يمكنها أن تكون. تعاظم الفولاذ والزجاج ورأس المال، وكان الضوء أساسيًّا لوجودها. مدينة بلا طاقة مثل طائر لا يطير، مصادفة التطور.

ـ إعتام؟

شعر كلاي أنه يقدم المصطلح إلى شخص قد نسيه.

ـ لقد حدث إعتام فيما مضى. لا يبدو ذلك سيئًا للغاية.

لم تقتنع أماندا. لم يبدُ الأمر صحيحًا.

ـ يبدو أن الأضواء تعمل هنا.

كانت على صواب، بالطبع. ومع ذلك، نظر الجميع إلى المصابيح المتدلية فوق وحدة المطبخ الوسطى، مثل أربعة أشخاص يسعون إلى التنويم المغناطيسي. لا يمكنك تفسير الكهرباء على الإطلاق، لا وجودها ولا غيابها. هل كانت كلماتها تنم عن العجرفة؟ كان هناك صوت الريح على الزجاج فوق الحوض. بعد ذلك مباشرة، أومضت الأضواء. ليس مرة أو مرتين، بل أربع مرات. مثل رسالة بشفرة «مورس» يجب عليهم فكها، مثل تتابع من ومضات ضوء الكاميرا، لكنها بقيت ثابتة، بقيت على مسارها، أبقى الضوء الليل على مسافة آمنة. أخذ الأربعة شهيقًا حادًّا، وأطلق الأربعة الزفير.

٩

ـ يا يسوع المسيح.

ذكر اسم الرب عبثًا يعني التجديف، لكنه أيضًا يعني انعدام الجدوى. لم يبالِ يسوع بكلاي، لكن الطاقة لم تنقطع. تخيل كلاي بالفعل أماندا والمرأة الأخرى (ماذا كان اسمها؟) تصرخان. ربما كان من الفظاظة مساواة الأنوثة بالخوف. عليه أن يتناقش معهما بالمنطق، ليلة عاصفة، ركن قصي جدًّا في لونج آيلاند. كان العالم كبيرًا إلى درجة أن أغلبه كان بعيدًا جدًّا. يمكنك أن تنسى هذا إذا عشت في المدينة لفترة طويلة. كانت الكهرباء معجزة. عليهم أن يكونوا ممتنين.

ـ لا بأس.

قالها جي إتش لنفسه، ولزوجته.

ـ إذن هناك إعتام، وقدتما السيارة طوال الطريق إلى هنا؟

لم تستطِع أماندا فهم هذا الأمر. كانت مانهاتن بعيدة جدًّا. لم يكن الأمر منطقيًّا.

ـ هذه الطرق... إنها مألوفة. حتى إنني بالكاد فكرت في الأمر. رأينا الأضواء تنطفئ، ونظرت إلى روث.

لم يعرف جي إتش كيف سيفسر ما لم يفهمه تمامًا. قالت روث:

ـ اعتقدنا أن بوسعنا الإقامة.

لا توجد مناورة في الأمر. كانت روث مباشرة دائمًا.

- اعتقدتما أن بوسعكما الإقامة... هنا؟

عرفت أماندا أن هؤلاء الناس أرادوا شيئًا ما.

- لكننا نقيم هنا.

- عرفنا أنه لا يمكننا القيادة إلى المدينة. عرفنا أنه لا يمكننا صعود أربعة عشر طابقًا. لذلك قدنا السيارة إلى هنا واعتقدنا أنكم قد تتفهمون الأمر.

- بالطبع.

تفهم كلاي الأمر. نظرت أماندا إلى زوجها:

- ما يعنيه هو، بالطبع نتفهم...

هل فعلت، على الرغم من ذلك؟ ماذا لو كانت هذه عملية نصب من نوع ما؟ أشخاص غرباء تمامًا يشقون طريقهم بطريقة ماكرة إلى داخل المنزل؟ إلى حياتهم؟

- أعرف أنها مفاجأة. لكن ربما يمكنكما... هذا منزلنا. نريد أن نكون في منزلنا. آمنين. بينما نكتشف ما الذي يجري هناك في الخارج.

كان جي إتش صادقًا. لكنه ما زال يبدو كما لو كان يبيع شيئًا ما.

أومأت روث برأسها:

- من حسن حظنا أن لدينا وقودًا. بصراحة، لا أعرف إلى أي مدى كان يمكننا الذهاب.

- أليس هناك أي فنادق...؟ لقد استأجرنا المنزل.

كانت أماندا تحاول ألَّا تكون وقحة، لكنها عرفت أن هذا يبدو وقحًا.

كان كلاي يفكر في الأمر. بدأ في قول شيء ما. لقد اقتنع.

- بالطبع استأجرتما المنزل.

عرف جي إتش أنهم سيتحدثون عن المال، لأن أغلب المحادثات تصل إلى هناك في النهاية. كان المال موضوعه. لم يكن مهمًّا.

- يمكننا بالطبع أن نعرض عليكما شيئًا ما. نعرف أن الأمر مزعج.

ـ أنت تعلم، نحن في إجازة.

اعتقدت أماندا أن كلمة «مزعج» كلمة متسامحة للغاية. شعرت أنه تعبير ملطف. كان سريعًا جدًّا في إقحام المال في الأمر إلى درجة أن ذلك بدا أشد خداعًا.

كان شعر جي إتش فضيًّا، يرتدي نظارة مصنوعة من درقة سلحفاة، وساعة ذهبية. جلس في مقعده بشكل أكثر ارتفاعًا.

ـ كلاي. أماندا.

كان هذا شيئًا تعلمه في كلية إدارة الأعمال (بجامعة كامبريدج)؛ متى تستخدم الأسماء الأولى.

ـ يمكنني بالتأكيد أن أعيد إليكما نقودكما.

ـ هل تريدنا أن نغادر؟ في منتصف الليل؟ طفلاي نائمان وأنت تأتي إلى هنا فحسب وتبدأ بالتحدث عن إعادة نقودنا؟ عليَّ أن أتصل بالشركة، هل يمكنك حتى فعل ذلك؟

سارت أماندا إلى غرفة المعيشة لإحضار الكمبيوتر المحمول الخاص بها.

ـ ربما يوجد رقم هاتف على الموقع الإلكتروني...

ضحك جي إتش قائلًا:

ـ أنا لا أقول إن عليكم المغادرة! يمكننا أن نعيد إليكما، فلنقل، خمسين بالمائة مما دفعتماه؟ كما تعلمان، هناك جناح للأصهار. سنقيم في الطابق السفلي.

ـ خمسون بالمائة؟

أُعجب كلاي بالوعد بعطلة أقل تكلفة. فتحت أماندا الكمبيوتر المحمول:

ـ أعتقد حقًّا أننا يجب أن نلقي نظرة على الشروط والأحكام... بالطبع لن يعمل الآن، ربما يحتاج الواي فاي إلى إعادة ضبط.

ـ دعيني أحاول.

مد كلاي يده إلى كمبيوتر زوجته المحمول.

ـ لست بحاجة إلى مساعدتك، يا كلاي.

لم يعجبها المعنى الضمني المشير لعجزها. كان كلاهما على تقارب مع الشباب؛ طلبة الكلية الصغار بالنسبة إليه، وبالنسبة إلى أماندا مساعدة وموظف مبتدئ. تعرض كلاهما لهذا الانتكاس المهين: المراقبة، الالتقاط، المحاكاة، مثلما يلعب الأطفال الصغار عند ارتداء الملابس. بمجرد أن تجاوزت عمرًا معينًا، كانت هذه طريقة تعلمك؛ عليك أن تتمكن من التكنولوجيا وإلَّا تمكنت منك.

ـ إنه غير متصل بالإنترنت.

ـ سمعنا نظام البث في حالات الطوارئ.

اعتقدت روث أن ذلك يفسر الكثير.

ـ فكرتُ في تشغيل الراديو. «هذا نظام البث في حالات الطوارئ».

لم يكن صوتها مقلدًا بل مخلصًا، بدت فيه التشديدات والنبرة الصحيحة.

ـ «ليس اختبارًا»، هل تفهمون؟ ليس «هذا مجرد اختبار». هذه هي الطريقة الوحيدة التي سمعته بها على الإطلاق، لذلك لم ألاحظ في البداية، ثم واصلت الإنصات وسمعته مرة أخرى، وأخرى، وأخرى، «هذا نظام البث في حالات الطوارئ».

ـ طوارئ؟

حاولت أماندا أن تكون منطقية.

ـ لكن بالطبع، سيكون الإعتام نوعًا من الطوارئ.

ـ بالتأكيد. هذا أحد أسباب اعتقادنا أنه من الأفضل أن نعود إلى المنزل فحسب. قد يكون الوجود في الخارج غير آمن.

أثبت جورج حجته.

ـ حسنًا، لدينا اتفاقية إيجار.

تذرعت أماندا بالقانون. لا بأس، في هذه اللحظة ذلك المستند محفوظ

بعيدًا في مكان ما في الفضاء السيبراني، رف لم يتمكنوا من الوصول إليه. أيضًا شعرت أن الصفقة نفسها لاغية بطريقة لا يمكنها تفسيرها.

ـ أتسمحان لي؟

دفع جي إتش كرسيه الطويل إلى الخلف وسار إلى المكتب. أخذ مفاتيح السيارة من جيب سترته وفتح قفل الدرج. أخرج مظروفًا، من النوع الذي يقدمه البنك، وقلَّب العملة التي بداخله.

ـ أيمكننا منحكما ألف دولار الآن، لهذه الليلة؟ سيغطي هذا تقريبًا نصف ما تدفعانه في الأسبوع، كما أعتقد؟

حاول كلاي ألَّا يفعل ذلك، لكنه شعر دائمًا بأنه يتحرك بطريقة خاصة جدًّا. أراد أن يحصي المال. هل كان هذا المظروف في درج بالمطبخ طوال هذا الوقت؟ أراد سيجارة.

ـ ألف دولار.

ـ هناك حالة طوارئ في الخارج.

أرادت روث تذكيرهما بهذا. بدا لها أن وجوب الدفع لهما أمر غير أخلاقي، لكنها لم تتوقع أي شيء آخر.

ـ الأمر عائد لكما.

عرف جي إتش كيفية إقناع شخص ما.

ـ بالطبع. سنكون ممتنين للغاية. بوسعنا أن نريكما إلى أي مدى نحن ممتنون. ثم، غدًا، سنعرف أكثر قليلًا. سنجد حلًّا.

لم يلتزم بالمغادرة، وهو ما كان أمرًا مهمًّا.

واصل كلاي حث كمبيوتر زوجته المتعطل على العمل.

ـ لا يبدو أن هذا الشيء يستجيب.

كانت نيته صافية. أراد أن يكون الشخص الذي يظهر لهما أن العالم ما زال ماضيًا في مساره، وأن الناس ما زالوا يصورون صودا مشروب «أبيرول» الخاص بهم، ويغردون على تويتر منتقدين نظام النقل العام الذي

تُساء إدارته. في الدقائق التي مرت منذ أن صدر ذلك التنبيه الإخباري، من المحتمل أن أحد المراسلين البواسل قد اكتشف الأمر بأكمله. ما زال بوسعه سماع الريح التي يلومها. كانت دائمًا شيئًا بريئًا.

ـ على أي حال. أعتقد أن ليلة واحدة...

ـ ربما يمكننا مناقشة هذا على انفراد.

لم تُرِد أماندا ترك هؤلاء الناس من دون مرافق.

ـ صحيح. بالتأكيد.

أومأ جي إتش برأسه كما لو كان هذا هو الأمر الأكثر عقلانية. وضع المظروف الدسم الصغير على النضد.

ـ نعم.

كان كلاي مشوشًا. لم يكن يعرف ما الذي هناك لمناقشته بجوار تلك الرزمة من المال.

ـ ربما نذهب إلى الغرفة الأخرى فحسب؟

ـ أفترض، أنكما لا تمانعان إذا تناولنا شرابًا؟

هز كلاي رأسه.

استخدم جي إتش المفاتيح مرة أخرى، لفتح قفل خزانة طويلة قرب الحوض. فتش بداخلها.

ـ سنعود على الفور. اعتبرا نفسيكما في...

لم تكمل أماندا الجملة لأنه بدا من السخف أن تفعل.

١٠

كان الجو أشد برودة في غرفة النوم الرئيسية، أو كانت القشعريرة شيئًا حملاه معهما.

ـ لماذا قلت لهما إن بإمكانهما البقاء؟

كانت غاضبة.

اعتقد كلاي أن الأمر واضح تمامًا.

ـ هناك إعتام. انتابهما الخوف. إنهما مسنان.

همس بهذا، شاعرًا أن الإشارة إليه من عدم الاحترام.

ـ إنهما غريبان.

قالت ذلك كما لو كان أحمق. ألم يحذر أحد كلاي من الغرباء قَطُّ؟

ـ حسنًا، لقد قدما نفسيهما.

ـ لقد طرقا الباب في منتصف الليل فحسب.

لم تستطِع أماندا أن تصدق أنهما كانا يناقشان هذا الأمر.

ـ حسنًا، هذا أفضل مما لو كانا اقتحما الباب فحسب.

ألم يكن ذلك من حقهما؟

ـ أخافاني إلى درجة أنني كدت أتغوط في ملابسي.

الآن وقد مر هذا الخوف، بوسع أماندا الاعتراف به. كان الأمر إهانة. جرأة هؤلاء الناس المفرطة... إخافتها!

ـ لقد أخافاني أيضًا.

كان كلاي يهون من شأن الأمر. كان من الماضي.

ـ لكنهما خائفان قليلًا، كما أعتقد. لم يعرفا ما الذي بوسعهما فعله غير ذلك.

حث معالجهما النفسي الذي زاراه مرة واحدة أماندا على عدم الغضب حين يخفق كلاي في التصرف كما قد تفعل. لا يمكن انتقاد الناس لما هم عليه! مع ذلك، ألقت اللوم عليه بسبب الأمر.

كان كلاي سهل الانقياد للغاية، شديد العزوف عن الدفاع عن نفسه.

ـ ها هي فكرة. اذهبا إلى فندق.

ـ إنه منزلهما.

بدت هذه الغرف الجميلة مثل غرفهم لكنها لم تكن كذلك. لا بد من احترام ذلك، كما اعتقد كلاي.

ـ لقد أجرناه.

ما زالت أماندا تهمس.

ـ ماذا سيقول الطفلان؟

لم يستطِع كلاي تخيل ماذا سيقول الطفلان أو إذا كانا سيقولان أي شيء. لا يهتم الأطفال إلا بما يؤثر عليهم مباشرة، ولم يسمحوا إلا للقليل بالتأثير عليهم. ربما كان وجود غرباء يعني سلوكًا أفضل، لكن حتى هذا لا يمكن التعويل عليه. قد يتشاحن الأطفال، أو يسبون، أو يتجشأون، أو يغنون، بصرف النظر عمن يمكن أن يسمعهم.

ـ ماذا لو قتَلانا؟

شعرت أماندا أن زوجها لم يكن يوليها اهتمامًا.

ـ لماذا سيقتلاننا؟

كانت إجابة هذا السؤال أصعب.

ـ لماذا يقتل أي أحد أي أحد؟ لا أعرف. طقس شيطاني؟ «فيتيش» غريب من نوع ما؟ انتقام؟ لا أعرف.

ضحك كلاي:

ـ ليسا هنا ليقتلانا.

ـ ألا تقرأ الأخبار؟

ـ هل كان هذا في الأخبار؟ قاتلان أسودان مسنان يجولان رود آيلاند، يتصيدان المصطافين المطمئنين؟

ـ لم نطلب أي إثبات. أنا حتى لم أسمع سيارتهما، هل سمعتها؟

ـ لا. لكن الجو عاصف. كنا نشاهد التلفزيون. ربما لم نسمعها فحسب؟

ـ وربما تسللا عبر الطريق. كي... لا أعرف. ليذبحانا؟

ـ أعتقد أن علينا أن نهدأ...

ـ إنها خدعة.

ـ هل تعتقدين أنهما أرسلا تنبيهًا إخباريًّا احتياليًّا إلى هاتفكِ المحمول؟ إنهما مجرمان متطوران أكثر مما كنت أظن.

ـ أشعر أن الأمر مرتجل قليلًا، هذا كل شيء. ومثير للشبهات. يريدان البقاء هنا، معنا؟ لا يعجبني هذا. روز في آخر الرواق. رجل غريب. ماذا لو تسلل إلى هناك و... لا أريد أن أفكر في الأمر.

ـ ألا تعتقدين أنه سيتحرش بآرتشي؟ على أي حال. أماندا، استمعي لنفسك.

ـ إنها فتاة، حسنًا؟ أنا أُم، من المفترض أن أكون وقائية. وأنا لا أحب الطريقة التي يبدو عليها الأمر كله فحسب. أنا حتى لا أعتقد أن هذا منزلهما.

ـ لديه المفاتيح.

ـ فعلًا.

خفضت صوتها أكثر.

ـ ماذا لو كان عامل الصيانة؟ ماذا لو كانت الخادمة؟ ماذا لو كانت هذه مجرد عملية احتيال، وكان الإعتام أو أيٌّ كان مجرد مصادفة؟

كانت على الأقل خجلة كما ينبغي من تخمينها. لكن لا يبدو هذان الشخصان من النوع الذي يمتلك مثل هذا المنزل الجميل. يمكنهما، مع ذلك، تنظيفه.

ـ لقد أخرج ذلك المظروف من ذلك الدرج.

ـ خفة يد. كيف تعرف أن ذلك الدرج كان مقفلًا؟ ربما تلاعب بمفاتيحه فحسب.

ـ لا أستطيع أن أفهم ما الذي سيحصلان عليه من إعطائنا ألف دولار.

التقطت أماندا هاتفها لتبحث عن الرجل على «جوجل». بدا موقع washingtongroupfund.com مبهمًا للغاية، من المحتمل أنه احتيالي. لم يكن لدى الهاتف ما يقدمه لها. كانت ابنتها نائمة في آخر الرواق!

ـ أيضًا، إنه يبدو مألوفًا بالنسبة إليَّ. في الواقع.

ـ حسنًا، أنا لم أرَه من قبل.

ـ أنت فظيع في تذكر الوجوه.

لم يتعرف كلاي على مدرسي الطفلين وغالبًا ما مر بالجيران القدامى في الشارع من دون التعرف عليهم. كانت تعرف أنه يحب أن يعتقد أن ذلك يعني ضمنًا أنه مستغرق في التفكير، في حين أنه لا يعدو كونه غافلًا.

ـ أنا لا أصدق هذا الهراء بشأن نظام البث في حالات الطوارئ. كنا نشاهد التلفزيون للتوِّ!

ـ ذلك سهل بما يكفي.

سار كلاي إلى آخر الرواق القصير. وجَّه جهاز التحكم عن بُعد نحو الشاشة المعلقة على الجدار. كان يحدوه نصف أمل (أكثر من نصف) في بث بعض المواد الإباحية هناك. إنها تضيف لمسة معينة للأمور، لكن التكنولوجيا كانت صعبة الفهم بالنسبة إليه، كان عليك أن تحمل التلفزيون والكمبيوتر على التعاون. شغل التلفزيون. كانت الشاشة بذلك اللون الأزرق الرقمي الفارغ.

ـ هذا غريب.

ـ هل هو مضبوط على القناة الصحيحة؟

ـ كنت أشاهده هذا الصباح. أعتقد أنه لا يعمل على نحو صحيح.

ـ لكنه ليس نظام البث في حالات الطوارئ. من المحتمل أن يكون القمر الصناعي لا يعمل. من المحتمل أنها الرياح.

لن تقتنع أماندا، لأن بوسعها استشعار أن هذين الشخصين يحاولان إقناعهما. كان في الأمر تضليل.

ـ حسنًا، إنه عطل. لكنهما قالا إنهما سمعا ذلك في الراديو. أحد الأمرين لا يعني أن الآخر ليس صحيحًا.

ـ لماذا تبذل قصارى جهدك لتصديق الجميع ما عدا زوجتك؟

ـ فقط أحاول تهدئتكِ. أنا لا أقول إنني لا أصدقكِ، لكن...

تردد. إنه لا يصدقها.

ـ هناك شيء ما يحدث.

ألم تكن هذه حبكة فيلم «ست درجات من الانفصال»؟ سمحا لهذين الشخصين بالدخول لأنهما كانا أسودين. كانت طريقة للاعتراف بأنهما لا يعتقدان أن كل السود مجرمون. يمكن أن يستفيد مجرم أسود حاذق من ذلك!

ـ أو أنهما شخصان مسنان خائفان يحتاجان مكانًا للمبيت هذه الليلة. سنجعلهما يرحلان في الصباح.

ـ لن أتمكن أبدًا من النوم مع وجود غريبين بالمنزل.

ـ ليس إلى هذه الدرجة.

تعجب كلاي بالفعل. ربما كانت الألف دولار شرَكًا، أو أن هناك شيئًا ثمنه أكثر من ذلك في المنزل. لم يستطِع التفكير بشكل سليم.

ـ أعتقد أنني رأيته من قبل، أؤكد لك.

شعرت أماندا بذلك الإحباط الناجم عن العجز عن تذكر كلمة معينة. ماذا إذا كان هذا قتلًا انتقاميًّا؟ كان رجلًا ما ازدريته منذ سنوات.

عرف كلاي أنه ليس بارعًا في التعامل مع الوجوه. وعرف أنه ربما، على مستوى ما، ليس بارعًا مع الوجوه السوداء على نحو خاص. لم يكن ليقول: «جميعهم يبدون متشابهين بالنسبة إليَّ»، لكن كان هناك دليل ما، دليل بيولوجي وعلمي فعلي، أن الأشخاص كانوا ماهرين أكثر في التعرف على الأشخاص المنتمين إلى العِرق نفسه. لم يكن الأمر عنصريًا، أليس كذلك؟! الاعتراف أن مليار صيني ربما يبدون متشابهين بالنسبة إليه أكثر مما يبدو أحدهم بالنسبة إلى الآخر.

ـ لا أعتقد أننا نعرفه، ولا أعتقد أنه سيقتلنا.

كانت هناك الآن شظية، حادة كالإبرة، من الشك.

ـ أعتقد أن علينا السماح لهما بالبقاء. إنه الأمر الصائب الذي ينبغي عمله.

ـ أريد أن أرى الإثبات.

لم تكن هناك طريقة تمكنها من إملاء هذا المطلب.

ـ أعني، نحن أيضًا لدينا مفاتيح. ربما استأجرا المنزل قبلنا.

ـ هذا بيتهما لقضاء العطلات. لن يكون مسجلًا على رخصة القيادة. سأتكلم معهما. إذا راودني شعور سيئ، فسنرى، لا، نحن آسفان، لسنا مرتاحين لهذا الترتيب. لكن إذا لم أشعر بذلك، أعتقد أن نسمح لهما بالبقاء. إنهما مسنان.

ـ أتمنى لو كانت لديَّ ثقتك بالآخرين.

في الحقيقة لم تحسد أماندا كلاي على هذه الصفة.

ـ إنه الأمر الصائب الذي ينبغي عمله.

عرف كلاي أن هذه الطريقة ستنجح، شعرت زوجته أنه من المهم، ليس أداء الفعل الأخلاقي، بالضرورة، لكن أن تكون شخصًا من النوع الذي سيؤديه. كانت المُثُل الأخلاقية عنجهية، في نهاية الأمر.

عقدت أماندا ذراعيها على صدرها. كانت على صواب، في أنها لا تعرف القصة كاملة، ولا كلاي، ولا الناس في المطبخ، ولا المحرر المبتدئ، الذي

بعدما رأى الأخبار أساء الفهم، وأصدر تنبيهًا لملايين الأشخاص الذين لديهم تطبيق «نيويورك تايمز» على هواتفهم. كانت الرياح شرسة للغاية، ولكن حتى لو لم تكن، فمن المحتمل أنهم سيكونون بعيدين جدًّا عن مسار الطيران لسماع الطائرات التي أُرسلت إلى الساحل، وفقًا للبروتوكول في ذلك الوضع.

ـ سنكون «السامريِّين الصالحَين» فحسب.

أطفأ كلاي التلفزيون ووقف، مفضلًا عدم ذكر الألف دولار في تلك اللحظة.

١١

بدا صباح ذلك اليوم بعيدًا، مثل قصة عن شخص آخر قيلت لكلاي ذات مرة. تمكن بالكاد من رؤية مناشف الشاطئ تجف على السياج في الخارج، كانت مثل القرصة التي يجدر بك أن تمنحها لنفسك حين تعتقد أنك تحلم. تبعته أماندا مباشرة، ودخلا إلى المطبخ ووجدا هذين الغريبين هناك، يتجولان كما لو كانا يمتلكان المكان، الذي، ربما، كانا يمتلكانه.

ـ أعددت الشراب. شعرت أنه أمر في محله.

أشار جي إتش إلى الكأس في يده:

ـ من الاحتياطي الخاص بنا. من دواعي سروري أن أقدم لك واحدة.

ترك الرجل الخزانة مفتوحة جزئيًّا، وكان بوسع كلاي أن يرى بداخلها زجاجات «أوبان»، النبيذ، تلك التكيلا باهظة الثمن في قنينة من البورسلين. كان قد جرد المطبخ. هل فاته هذا؟ أم أن الخزانة كانت مقفلة؟

ـ أتعلم، قد أتناول شرابًا.

صب جي إتش شرابًا:

ـ ثلج؟ من دون ثلج؟

هز كلاي رأسه وأخذ الكأس المقدمة إليه. جلس إلى وحدة المطبخ الوسطى:

ـ هذا جميل، أشكرك.

ـ هذا أقل ما يمكننا فعله!

ضحك الرجل ضحكة خافتة.

خيم صمت مؤقت، كما لو أنهم خططوا له لإحياء ذكرى شخص رحل.

قالت روث:

ـ ربما عليَّ الاستئذان.

ـ بالطبع.

لم يعرف كلاي ما المطلوب منه. لم تكن تطلب إذنه، ولم يكن من حقه ليمنحه.

راقبت أماندا المرأة بينما تغادر الغرفة. صبت لنفسها كأسًا من النبيذ الذي فتحته في وقت سابق لأنها لم تكن متأكدة مما يمكنها فعله. نبيذها، النبيذ الذي دفعت ثمنه. جلست بجوار زوجها.

ـ إنه منزل جميل.

يا له من قول لبدء حديث قصير الآن.

أومأ جي إتش برأسه:

ـ نحن نحبه. سعيد لسماع أنكما أيضًا تحبانه.

ـ هل مضى وقت طويل على وجودك هنا؟

كانت أماندا تحاول الاستجواب، على أمل الإيقاع به.

ـ مضى على شرائه خمس سنوات الآن. لكنه الدار في هذه اللحظة، أو الدار بعيدًا عن الديار.

ـ أين تعيش في المدينة؟

عرف كلاي أيضًا كيف يُجري حديثًا قصيرًا.

ـ نحن نطل على البارك، بين الشارعين واحد وثمانين واثنين وثمانين. ماذا عنكما؟

شعر كلاي بالرهبة. لم يكن الحي الشرقي الراقي رائعًا، لكنه ما زال مهيبًا. أو ربما لم يكن رائعًا إلى درجة أنه كان في الحقيقة رائعًا. لقد ظلوا ثابتين في

مكانهم لفترة طويلة إلى درجة أنه لم يعد يفهم العقارات، الرياضة المحلية. مع ذلك، لقد سكن في شقق مطلة على البارك، في أول الشارع الخامس، وطريق «ماديسون». شعر دائمًا أنها غير حقيقية، مثل فيلم لوودي آلن.

ـ نعيش في بروكلين. حي كارول جاردنز.

قالت أماندا:

ـ في الحقيقة إنه حي كوبل هِل.

اعتقدت أن ذلك أكثر مدعاة للاحترام. رد أفضل على عنوان جي إتش في الجزء الأعلى من المدينة.

ـ ذلك حيث يريد الجميع أن يعيشوا الآن، على ما أعتقد. الأشخاص الأصغر سنًّا. أتصور أن لديكم مساحة أكبر مما لدينا.

قالت أماندا لتذكيره بما اعتقدت أنه قصته الملفقة:

ـ حسنًا، لديك كل هذه المساحة هنا، في الريف.

ـ جزء كبير من سبب شرائنا هنا. عطلات نهاية الأسبوع، الإجازات. الخروج من المدينة إلى الهواء الطلق. إنه مختلف هنا للغاية، الهواء.

ـ يعجبني كل ما فعلتماه.

مسدت أماندا سطح النضد كما لو كان حيوانًا أليفًا.

ـ كان لدينا مقاول ممتاز. كثير من الأمور الصغيرة كانت من أفكاره.

بعد عودتها من الحمَّام، توقفت روث في غرفة المعيشة لتشغيل التلفزيون. كانت الشاشة عبارة عن ذلك الظل الأزرق القديم الناتج عن عصر تكنولوجي أبسط، وحروف بيضاء مهمة: نظام البث في حالات الطوارئ. كانت هناك إشارة صوتية، ثم هسيس هادئ، صوت شيء ليس به كثير من الصوت، ثم إشارة صوتية أخرى. ظلت تتوالى، الإشارات الصوتية. لم يكن هناك شيء سوى الإشارات الصوتية، ثابتة لكنها غير مطمئِنة. سار الثلاثة الآخرون إلى غرفة المعيشة كي يروا بأنفسهم.

قالت روث، في الغالب لنفسها:

ـ إذن، ليست هناك أخبار.

تشككت أماندا:

ـ من المحتمل أنه مجرد اختبار لنظام البث.

قالت روث:

ـ كانوا سيقولون إذا كان الأمر كذلك.

كان أمرًا متعلقًا بالمنطق السليم.

ـ ترين هذا؟

جميعهم رأوه.

كان كلاي واثقًا.

ـ غيِّري القناة. كنا نشاهد برنامجًا فحسب.

مرت روث خلال كل قناة متاحة: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤. ثم أسرع: ١١٤، ١١٦، ١٢٢، ١٤٥، ٢٠١. جميعها زرقاء، وتلك الكلمات الخالية من المعنى: «هذا نظام البث في حالات الطوارئ».

نظر كلاي إلى الرفوف المدمجة بما تبقى عليها من كتب الفن والألعاب اللوحية القديمة:

ـ سيخبرنا بالمزيد إذا كان هناك المزيد ليخبرنا به.

بحكم الواقع.

ـ القنوات الفضائية لا يعول عليها. لكن من المستحيل حملهم على تشغيل قنوات «الكابل» على هذه المسافة البعيدة، لذا فهي الخيار الوحيد.

أرادت روث أن يكون المنزل بعيدًا عن كل شيء. كانت هي التي كتبت ذلك التحديد في موقع «إير بي إن بي»، وكانت تعنيه. إن كون المنزل مكانًا بعيدًا عن بقية العالم هو أفضل شيء فيه.

جلس جي إتش على أحد المقاعد ذات الذراعين:

ـ الرياح كافية لتعطيلها. المطر. الأمر ليس مؤكدًا تمامًا، أن المطر يمكنه التأثير على القمر الصناعي. لكنها حقيقة.

هز كلاي كتفيه:
ـ إذن هناك حالة طوارئ. حالة الطوارئ أن مدينة نيويورك من دون طاقة. لكنها ما زالت لدينا، حتى إذا لم يكن لدينا تلفزيون أو إنترنت. لذا يجب أن يجعلك هذا تشعر بأنك أفضل، كما أتخيل؟ كنتَ محقًّا بالخروج من المدينة؛ لا بد أنها فوضى.

لم تصدق أماندا ذلك، لكنها تعجبت أيضًا. هل عليهم ملء حوض الاستحمام بالماء؟ هل عليهم إيجاد بطاريات، وشموع، ومؤن؟

رأى كلاي ما يكفي من الأدلة:
ـ أعتقد أن عليكما البقاء هنا الليلة. غدًا سنفهم ما يحدث.

لم يكن لدى أماندا شيء لتقوله بشأن نظام بث حالات الطوارئ.
ـ قد يكون الإعتام أمرًا ما. قد يكون عرضًا لأمر أكبر.

كانت لدى روث تسعون دقيقة لحل الأمر وأرادت أن تقول الحل:
ـ قد يكون غبارًا متساقطًا عن انفجار نووي. قد يكون إرهابًا. قد تكون قنبلة.
ـ دعونا لا نترك خيالاتنا تجرفنا.

كان فم كلاي سكريًّا بفعل الشراب.
ـ قنبلة؟

شعرت أماندا بالريبة.

لم يرغب جي إتش في السؤال، لكن كان عليه أن يفعل:
ـ تعرف، أنا آسف لإزعاجك، لكننا لم نتناول العشاء. فقط بعض الجبن والمقرمشات قبل الحفل الموسيقي.

تراجعت الحفلة ـ هل أصبحت حفلة الآن؟ ـ إلى المطبخ. أخرج كلاي بقايا المكرونة، التي ما زالت في القدر، من الثلاجة. أدرك فجأة كم كانت الغرفة في حالة فوضى، إلى أي مدى تصرفوا بإهمال كأنهم في منزلهم بكل معنى الكلمة.

ـ لنأكل شيئًا.

قالها كأنها فكرته. يتعلم أساتذة الجامعة ذلك، أخذ التعليقات المتبصرة العابرة في قاعة المحاضرات وتحويلها إلى حقائق.

لاحظت روث أن حوض المطبخ مُلِئ بالأطباق المتسخة. تظاهرت أنها لا تشعر بالقرف:

ـ قنبلة إشعاعية في تايمز سكوير أو عمل جماعي منظم من نوع ما في محطات توليد الطاقة؟

لم تفكر في نفسها قَطُّ على أن لديها القدرة على التخيل، لكنها الآن تكتشف ميلًا إلى ذلك. بدا الأمر كأنه جنون ارتياب، فقط إذا كنتِ مخطئة. التفكير فيما تم فعله ونسيانه في فترة حياتهما ـ في العقد الماضي وحده.

ـ لا يجب علينا التكهن.

كان جي إتش متعقلًا.

ترك شخص ما ملقط المكرونة داخل القدر. كان المعدن باردًا عند لمسه. ملأ كلاي أربع زبديات، وسخنها في الميكروويف تباعًا.

ـ أين تقع محطات توليد الطاقة في مدينة نيويورك؟

كان هناك كثير مما لن تعرفه أبدًا في الحياة، حتى بالنسبة إلى شخص ذكي مثله. شعر كلاي أن هذا مدهش أو ذو مغزى.

ـ لا بد أنها في «كوينز»، على ما أظن. أو بجوار النهر.

ـ فجَّر شخص ما حقيبة في «تايمز سكوير». يفعل رفاقه الشيء نفسه في محطات توليد الطاقة. فوضى متزامنة. لن تتمكن سيارات الإسعاف حتى من الوصول إلى الشوارع، إذا كانت جميع الأنوار مطفأة. هل تمتلك المستشفيات مولدات كهربائية؟

قبِلت روث زبدية من المكرونة مع تقديم شكرها. لم تعرف ماذا تفعل غير ذلك، لذا أكلت. أيضًا، كانت جائعة. كانت المكرونة دافئة للغاية، لكنها طيبة، ولم تكن روث متأكدة من سبب كون هذا شيئًا مثيرًا للحسد بالنسبة إليها.

ـ هذا لطف شديد منك.

أصدرت أماندا صوتًا عن غير قصد أثناء التهام الطعام. كانت مفترسة فجأة. تُذكِّرك الملذات الحسية بأنك على قيد الحياة. كما أن الإفراط في الشرب جعلها تشعر بالجوع.

ـ الأمر بسيط.

استطاع جي إتش أن يشعر بالطعام وهو يغير كيمياء جسده.

ـ إنه لذيذ، شكرًا لك.

ـ إنه الزبد المملح.

شعرت أماندا بالحاجة إلى الشرح لأنه لم يكن من الواضح ما إذا كانت الضيفة أم المضيفة. تحب الوضوح بشأن الدور الذي من المفترض أن تؤديه.

ـ النوع الأوروبي، على شكل أسطوانة. إنها وصفة بسيطة للغاية.

اعتقدت أن الثرثرة قد تبدد الشعور بعدم الراحة. أُحرجت من تقديم هذا لغرباء. كانت الوجبة مجرد ارتجال أصبح في نهاية المطاف جزءًا من حصيلة مهاراتها. أحبت أن تتخيل صيفًا ما في المستقبل، في منزل مستأجر آخر، الطفلين عائدين من جامعتَي «هارفارد» و«يال»، يطلبان هذا الطبق الخاص الذي ذكرهما بطفولتهما المشمسة.

ـ في الإجازات، أحب أن أُبقي الأمر بسيطًا. برجر. بان كيك. هذا النوع من الأشياء.

ـ سأغسل الصحون.

اعتقدت روث أن إعادة النظام إلى المطبخ قد يهدئها. كما أن الأمر كان من قبيل التهذيب.

ـ نحن هنا الآن. نحن ممتنان لكما. أشعر أنني أفضل كثيرًا، بعد أن أكلت. أعتقد أنني قد أتناول شرابًا آخر.

أعاد جي إتش ملء الكأس. كان ويسكي معتقًا لسنوات كافية لمنحه حق التصويت. كان للمناسبات الخاصة، لكن بالتأكيد هذه المناسبة تُحتسب.

ـ سأنضم إليك.

حرك كلاي كأسه باتجاه الرجل.

ـ كما ترى، لا يوجد ما يدعو إلى القلق هنا.

كانت الكأس مناسبة نوعًا ما، كان الزجاج ثقيلًا وغاليًا ويمنعها نوعًا ما من أن تهوي إلى الأرض.

لم يعرفه هذان الغريبان، لذا لم يعرفا أن جي إتش لا يميل إلى المغالاة. خلال ساعة ونصف من القيادة تضاعفت مخاوفه مثل عجين يختمر.

ـ حسنًا، كان الأمر مزعجًا.

كان لديه ما أراد، لكنه الآن يريد أن يفهمه هذا الرجل وهذه المرأة. بوسعه أن يشعر بريبتهما.

هدأت روث بفعل الرغوة، والإسفنجة الصفراء، ورائحة الليمون، وصرير طبق نظيف دافئ. كانت التسعون دقيقة الماضية متوقفة ومسرعة في الوقت نفسه؛ كان للحياة العصرية إيقاع خارق للطبيعة، إيقاع لم يُخلق له الإنسان قَطُّ. جعلتنا السيارات والطائرات جميعًا مسافرين في الزمن. نظرت إلى الليل البهيم وارتعدت. كانت ستضع يدها على ركبة جي إتش. كانت ستفكر في هذا المكان، هذا المنزل، المشيد بصلابة، المؤثث بذوق، القائم بجمال، والآمن بكل تأكيد لولا تعقيد وجود هؤلاء الناس في مطبخها.

ـ هذا وصف لا يفي الأمر حقه.

ـ إعتام. مثل إعصار «ساندي».

تذكر كلاي تقارير إخبارية لا أساس لها عن وقوع انفجار، وتسرب كمية هائلة من الرواسب الطينية من قناة «جوانوس» إلى إمدادات المياه، وأن كل رشفة عبارة عن مادة مسرطنة. كانوا من دون طاقة ليوم ونصف. كان ذلك نوعًا من حالات الطوارئ الظريفة، الجلوس في مكانك مع أوراق اللعب والكتب. حين عادت الأنوار، خبز فطيرة تفاح.

قالت أماندا:

ـ أو في ٢٠٠٣. الشبكة الكهربائية، أتذكرون ذلك؟

ـ سرتُ عبر جسر مانهاتن. لم أتمكن من الاتصال بها.

وضع كلاي يده على يد زوجته، شاعرًا بالحنين والامتلاك.

ـ كنتُ شديد القلق. بالطبع، جميعنا نتذكر ١١ سبتمبر، لكن الأمر كان أفضل بكثير من ذلك اليوم.

يظن سكان نيويورك أن تلك المزايدة محدودة الأفق مجال اختصاصهم الذاتي، لكن الجميع يشعرون بالامتلاك تجاه الأماكن التي يسكنونها. أنت تعدد الكوارث لتستعرض ولاءك. لقد رأيت الفتاة العجوز في أسوأ حالاتها.

ـ فكرت في ١١ سبتمبر، بالطبع.

جرفت روث بقايا الطعام بالماء إلى بالوعة الحوض وشغلت وحدة التخلص من النفايات.

ـ ماذا لو كان الناس يموتون الآن؟ أتذكرون منذ سنوات قليلة مضت، ذلك الرجل الذي قاد شاحنته على مسار الدراجات في «وست سايد»؟ فقط أجر شاحنة في نيوجيرسي وقتل كل هؤلاء الناس؟ حتى إنه ليس أمرًا صعبًا. ما مقدار التخطيط الذي من الممكن أن يتطلبه ذلك؟

ـ الأنوار. كل الأنوار.

عرف جي إتش أنه لا أحد يهتم بسماع ما رأى في منامه الليلة الماضية. كان هذا حقيقيًّا، لكن ربما عليك أن ترى بعض الأمور بنفسك.

آمن كلاي أنك إذا قلت شيئًا، فسيكون صحيحًا.

ـ أعتقد أنه في الصباح...

ـ إنه الصباح، الآن.

التقت روث بعينَي كلاي في انعكاس النافذة، حيلة صغيرة أنيقة.

ـ أظن أنني أقصد أن الأشياء تبدو مختلفة عما هي عليه في ضوء النهار.

أظن أن عبارات المساعدة الذاتية المبتذلة متجذرة في الحقيقة.

بدا كلاي متأسفًا، لكنه صدَّق الأمر. العالم ليس مروِّعًا كما يعتقد الناس.

ـ لا أعرف كيف أشرح الأمر.

جففت روث يديها بمنشفة وعلقتها في مكانها. كان المبنى المضاء نابضًا بالحياة، منارة، أما المظلم، فقد اختفى، كما جعل ديفيد كوبرفيلد تمثال الحرية يختفي تلك المرة. ربطت روث غياب الضوء المفاجئ بشيء يُخمد، بنقر مفتاح، بتغيير، وهذا ما دعا إلى السؤال: ما الذي أُخمد، أي مفتاح نُقر، ما الذي تغير؟

ـ كانت لديكِ حالة ذعر.

فهم كلاي.

تعلمت روث أمرًا واحدًا فحسب من الواقع الحالي، وهو أن كل الأشياء ارتبطت معًا باتفاق ضمني أنها ستفعل ذلك. كل ما تطلبه الأمر لفك عرى شيء ما هو أن يقرر أحد الأطراف أن يفعل ذلك فحسب. لم يكن هناك هيكل حقيقي لمنع الفوضى، هناك فقط إيمان جمعي بالنظام.

ـ كنت مذعورة. أنا مذعورة.

لم تهمس بهذا الجزء الأخير تمامًا. لم تكن خجلة، لكنها كانت محرجة. هل كان هذا هو الأمر، إذن، هل كانت امرأة مسنة مرتاعة الآن؟

ـ سنكتشف المزيد غدًا.

آمن كلاي بهذا.

ـ ماذا لو كانوا الكوريين الشماليين؟ ذلك الرجل البدين الذي أطعم عمه للكلاب.

لم تستطِع روث إيقاف نفسها.

ـ ماذا لو كانت قنبلة؟ صاروخًا؟

منذ سنة، أليس كذلك، كان ذلك الإنذار الكاذب في هاواي، اعتقد المصطافون ومن يقضون شهر العسل وتاركو الدراسة وربات البيوت ومدربو ركوب الأمواج والقيِّمون على المتاحف، أن صاروخًا كان في طريقه من شبه الجزيرة الكورية كي يمحوهم. كيف كنت ستقضي الاثنتين والثلاثين

دقيقة الأخيرة؛ تبحث عن قبو أم ترسل رسائل نصية لأصدقائك أم تقرأ قصة لأطفالك أم في الفراش مع زوجتك؟ من المحتمل أن الناس سيشاهدون دمارهم على «سي إن إن» بكل التفاصيل. أم أن المحطات المحلية لن تتوقف، وبإمكانك الخروج لمشاهدة برنامج «ذا برايس إز رايت»؟

ـ الكوريون الشماليون؟

قالتها أماندا كما لو أنها لم تسمع بالمكان قَطُّ. ماذا لو كانوا من منغوليا الخارجية؟ أو من إمارة ليختنشتاين؟ أو من بوركينا فاسو؟ هل كانت لديهم حتى قنبلة في أفريقيا؟ شاهدت المايسترو لورين مازيل وهو يقود في بيونج يانج. مراسل لقناة ما من قنوات «الكابل» وعد بنهاية التوتر، رئيس سابق ما وعدهم جميعًا بالسلام. لم يكن لدى أماندا وقت للتفكير في الكوريين الشماليين، ولم يكن لديها أي فكرة، حتى، عما كانت روث تتحدث عنه، إطعام الناس للكلاب، اعتقدت أن التقريع الموجه للكوريين هو أنهم القوم الذين يأكلون الكلاب.

ـ إنهم ليسوا الكوريين الشماليين.

هز جي إتش رأسه، لكن هذا كان تصرفًا احتجاجيًّا بقدر ما كان على استعداد للوصول إلى الاحتجاج. أنت لا توبخ روث. كانت إحدى فتيات كلية «بارنارد»؛ لديها إجابات جاهزة. عبث بالساعة الثقيلة على معصمه، تشنُّج عصبي عرف أنه كان تشنجًا. راهن على إيران، ربما بوتين. ليس كذلك حرفيًّا، كان ذلك مخالفًا القانون. لكنه لم يكن أحمق.

ـ كيف تعرف؟

الآن بعد أن أصبحا بأمان ـ لكن كانت هناك علامة استفهام ـ تمكنت روث من التخلي عن الفزع الذي استقر في حلقها أثناء قيادتهما. بوسعها أن تقول ما لم تكن قادرة على قوله في السيارة، خوفًا من أن تسبب لهما النحس في صورة خزان وقود فارغ أو إطار مثقوب. التزمت الصمت وتخيلت وجوه ابنتها وحفيديها، صلاة الملحدين. الأصوليون المسلمون!

الشيشانيون المؤمنون بحق! متمردو كولومبيا، إسبانيا، أيرلندا، كان لكل دولة مجانينها.

ـ ألم يكن من المفترض أن نسمع صوت انفجار؟

كان هذا شعورًا مألوفًا بالنسبة إلى كلاي، كلما اضطر إلى تجميع أجزاء قطعة أثاث أو أصدرت السيارة أصواتًا غريبة: ما أقل ما يعرفه. ربما لذلك، في تقديره، كان الذكاء الحقيقي أن يتقبل إلى أي مدى يكون ذكاء المرء محدودًا دائمًا. سمحت له الفلسفة بالنجاة من دون عقاب.

ـ كنت... ستسمع شيئًا. إذا كانت هناك قنبلة.

ـ كنت أتناول الإفطار في «بالتازار» يوم ١١ سبتمبر.

تذكر جي إتش البيض المخفوق الناعم والخبز الفرنسي المملح.

ـ لا يمكن أن تكون على بُعد أكثر من عشرين تقاطعًا من الأبراج. أليس كذلك؟ لم أسمع أي شيء.

ـ أيمكننا من فضلكم ألّا نتحدث عن يوم ١١ سبتمبر؟

كانت أماندا منزعجة.

ـ سمعت صافرات الإنذار، ثم بدأ الناس في المطعم يتكلمون، لذا...

دقت روث بأصابعها على سطح النضد. لم تكن هناك طريقة لتفسير أن ما يميز الظلام هو أنه نادر. هناك دائمًا بعض الإضاءة المحيطة. هناك دائمًا ذلك التباين الذي يساعدك على الفهم؛ هذا ظلام. وخز النجوم، تسرُّب الضوء من تحت الباب، التوهج المنبعث من جهاز، أو شيء ما. ألم تكن قدرة التباين على تأكيد نفسه، وبسرعة فائقة في ذلك، أبرز سمات الضوء؟

من دون تفكير، منح كلاي هاتفه بصمة إصبعه. أظهر له الهاتف صورة طفليه، آرتشي، في الحادية عشرة حينها، روز، في الثامنة فحسب، مكورة، وصغيرة، وبريئة. كان من المذهل النظر إلى هذا الدليل على اختفاء هاتين الذاتين الآن، على الرغم من أنه لم يرَ هذه الصورة حقًّا، محجوبة بمربعات

صغيرة من المعلومات، والتوهج المغري للهاتف نفسه. شعر بوخزات شبحية حين لم يكن الهاتف إلى جانبه. تذكر كلاي أنه في يناير، بروح اتخاذ القرار، حاول ترك هاتفه في غرفة أخرى أثناء نومه. لكنه أنهى قراءة أغلب الجرائد بهذه الطريقة، وكان البقاء على اطلاع أمرًا يستحق اتخاذ قرار.

قال مجيبًا عن سؤال أراد الجميع طرحه، حتى لو لم يكلف أحدهم نفسه عناء ذلك:

- لا شيء بعد.

قرروا الإخلاد إلى النوم.

١٢

كانا قد انتهيا من إعداد القبو لوالدة روث، مخلوقة ذاوية مبجلة، أوشحة حريرية وبدلات متناسقة الألوان. جاءت للعيش معهما حين بلغت التسعين. كثيرة الشكوى، لكن الشتاء في شيكاجو كان فظيعًا، ولم يتبقَّ أحد هناك للاهتمام بها. تولت روث أمر بيع المنزل، وأرسلت إلى أختها وأخيها نصيبيهما من المال، ثم نقلت ماما إلى غرفة الضيوف. أحبت المشي إلى متحف «متروبوليتان»، ومشاهدة اللوحات الانطباعية، ثم الجلوس في المطعم الصغير مع كوب من الشاي وحساء محار مانهاتن. لو أنها لم تمُت، لكانت عالقة في الغرف الثلاث المعتمة في الطابق الرابع عشر. رحمة صغيرة.

قاد جي إتش الطريق إلى الطابق السفلي، إلى حيث لم يذهبا قَطُّ ـ تلك الأحلام الخيالية لسكان المدينة: غرف بالكاد تحتاج إليها ـ مضيئًا الأنوار أينما ذهب. لم يدرك مقدار الضوء الذي يدل على الأمان، ومقدار الظلام المقابل له. حتى وهو صبي لم يكن يخشى الظلام، لذا كانت هذه مفاجأة. قال، بشيء من الحنان لزوجته:

ـ فقط انتبهي لخطواتك.

قالت روث وهي تمسك بحاجز الدرج بإحكام:

ـ هذا منزلي.

شعرت أنه من المهم تأكيد هذه الحقيقة.

اندفع جي إتش قائلًا:

ـ حسنًا، لقد دفعوا مقابله.

لكن كانت هناك بعض الأمور التي لا يمكن تجاوزها. كان تحفُّظه بسبب عبء محدد جدًّا: عرف أن هناك شيئًا خطأ، خطأ بحق.

ـ لا يمكنني طردهم تمامًا.

لم يرغب جي إتش في قول إنه كان يعلم أن شيئًا ما قادم. كان عمله يتلخص في الاستبصار. أنت تنظر إلى منحنى العائدات يتقوس وينحدر مثل الدودة القيَّاسة محققة تقدمها الواهن، ويخبرك كل شيء تحتاج إلى معرفته. لقد عرف أنه لن يثق في ذلك القطع المكافئ تحديدًا. كان أكثر من مجرد نذير، كان وعدًا. شيء ما كان على عاتقهم. لقد صدر الأمر بذلك.

ـ أرأيت كيف جعلوا المطبخ قذرًا؟

لم تكن روث بحاجة لقول: «ما الذي كانت ماما ستعتقده بشأن ذلك؟»، لأن ماما كانت تحوم في الأنحاء. كان القبو مخصصًا لها ـ منحدر خارجي حول الجزء الخلفي من المنزل ـ لكنها ماتت قبل أن تتمكن من زيارته. عرفت روث أنها تتطور لتصبح محاكاة باهتة لتلك المرأة. طريقة أخرى لقول إنها عجوز. حدث الأمر فحسب. تجد نفسك تحمل حفيديك الرضيعين ـ توأم! ـ ولا تقول أي شيء بشأن حقيقة أن لديهما والدتين. كانت كلارا أستاذة للأدب الكلاسيكي في جامعة «ماونت هوليوك». مايا مديرة مدرسة للتعليم على منهج «مونتيسوري». كان لديهم منزل كبير بارد ذو ألواح خشبية متداخلة. كانت ماما ستتسلى كثيرًا بابنَي حفيدتيها ذويْ بشرة بلون الموكا، بسبب المسألة الوراثية لجيمس شقيق كلارا، الذي كان يعمل شيئًا ما في «سيليكون فالي». كان الولدان يشبهان والدتيهما تمامًا، وهو شيء لم تكن لتعتقد أنه ممكن، لكن ها هو ذا، بالأبيض والأسود، ها ها ها.

أضاء جي إتش الأنوار، ناسيًا أن يتوقف في امتنان لأنها ما زالت تعمل. كانت هناك خزانة كبيرة: خبيئة من بطاريات «ديوراسل»، وصندوق قليل

العمق من زجاجات مياه «فولفيك» المعدنية، وأكياس الفول السوداني من إنتاج «رانتشو جوردو»، وصناديق من بسكويت الشوفان بنكهات متعددة من إنتاج «كليف بار» ومكرونة «باريلا فوسيلي» مخزنة في حاوية بلاستيكية شديدة التحمل ذات غطاء بسبب وجود فئران في الريف. علب من التونا، كمية من زيت الزيتون تملأ تنكة بنزين، حقيبة من زجاجات شراب «مالبِك» الرخيص الذي لم يكن سيئًا تمامًا، بياضات الفراش في تلك الأكياس المفرغة التي امتصت كل الهواء. يمكن لكليهما ملازمة المنزل بارتياح لمدة شهر، إن لم يكن أطول من ذلك. تحدى جي إتش عمليًا عاصفة ثلجية أن تأتي، لكن لم يحدث ذلك مطلقًا حتى الآن. قالوا إنه الاحتباس الحراري.

ـ كل شيء في مكانه.

غمغمت بشيء ما لتبين أنها سمعته. أنفقا الكثير لإعادة التصميم. كان التحسين إدمانًا. كان عمل جي إتش الحفاظ على المال. كان الإنفاق الفعلي شديد التجريد بالنسبة إليه إلى درجة أنه فعل كما قال المقاول. كان داني أحد أولئك الرجال الذين لا يود الرجال الآخرون أن يظهروا حمقى أمامه. كانت له سلطة على الرجال قاربت أن تكون سلطة جنسية، بالطريقة التي دائمًا ما يتحول بها الجنس إلى أن يصبح متعلقًا بالسلطة. ستفعل ما يقول، وربما في أسوأ لحظاتك سيقلقك أن داني كان يضحك عليك. من المؤكد أن شيكاتهم دفعت مقابل دراسة ابنة داني لعام في مدرسة خاصة. لذلك أجروا المنزل: لاستعاضة المال.

ـ الرائحة كريهة هنا بالأسفل.

ظهر الاستياء على وجه روث، لكن لم تكن الرائحة كريهة حقًا. نظفت روزا المكان، واعتنى زوجها بالمرجة، وجاء أطفالهما للمساعدة. كان شأنًا عائليًا. كانوا من هندوراس. لم تكن روزا لتترك رائحة كريهة. أنبأ زغب السجاد عن أنها كانت تنظف حتى القبو غير المستخدم بالمكنسة

الكهربائية. كانت هناك غرفة نوم، بها أريكة ومنضدة وتلفزيون مثبت على الجدار، الفراش مرتب ومترقب. جلست وخلعت حذاءها.

ـ ليست كريهة.

جلس جي إتش على حافة الفراش، بثقل أكبر مما قصده. لم يستطِع منع نفسه من التنهد كلما فعل أشياء من هذا القبيل. حاول تخيل ارتياح الصباح. الأخبار المضحكة في الراديو؛ اقتحمت فرقة من حيوانات الراكون محطة كهرباء فرعية في ديلاور وعطلت الطاقة في الساحل الشرقي بأكمله، أو أن أقل الموظفين المبتدئين خبرة لدى أحد المقاولين الفرعيين مر بيوم أول رهيب في العمل. ما الذي كنا قلقين بشأنه، ما الذي كنا نخشاه؟ ستُستعاد ثقة السوق، ستكون هناك مكاسب غير متوقعة للمراهنين الرصينين الواثقين.

كانت روث في حيرة من أمرها. كان الروتين المعتاد بالنسبة إليهما في البداية فتْح جميع الخزانات الممتلئة بأغراضهما الخاصة والضرورية: ملابس السباحة، والنعال، وواقي الشمس من «شيسيدو»، وبطانية الرحلات الصوفية من «هيرميس»، وفي مخزن المؤن، علبة من ملح «مالدون»، وزجاجة زيت زيتون من «إيتالي»، وسكاكين «ووسثوف» الحادة المرعبة، وأربع عبوات من كرز «لوكساردو»، و«كلاس أزول»، و«أوبان»، و«هيندريكس»، النبيذ الذي أحضره الضيوف كهدايا للمضيف، و«دراي فيرموث» والبيرة. كانا سيجتمعان مرة أخرى مع تلك المقتنيات: يدلكانها على بشرتيهما، ويبعثرانها في أنحاء الغرف، ويشعران حقًّا أنهما في المنزل. كانا سيخلعان ملابسهما ـ ما المغزى من امتلاك منزل في الريف إذا لم يكن بإمكانك التجول فيه عاريًا في أغلب الأحيان؟ ـ وإعداد كوكتيل «مانهاتن» والانزلاق في حمَّام السباحة أو حوض الاستحمام الساخن أو في الفراش فحسب. ما زالا يذهبان إلى الفراش معًا، بمساعدة تلك الأقراص الزرقاء الأشد فعالية.

ـ أنا خائفة.

ـ نحن هنا.

سكت لأنه كان من المهم التذكر.

ـ المكان آمن هنا.

فكر في الطماطم المعلبة الخاصة به. كان هناك ما يكفيهما لشهور.

كانت هناك فرش أسنان غير مستعملة في درج الحمَّام. كانت هناك مناشف جديدة، ملفوفة برشاقة ومكدسة على شكل هرم صغير. أخذت روث حمَّامًا. شكَّل الشعور بالنظافة فرقًا كبيرًا بالنسبة إليها. في منضدة الزينة بغرفة النوم، كان هناك «تيشيرت» قديم أخذته من حفل خيري لممارسة الركض لم تتمكن من تذكر تفاصيله، بنطال قصير لم تتمكن من التعرف عليه. ارتدت هذه الملابس، وشعرت بالسخافة على الفور. لم تُرِد أن يراها الناس بالأعلى بهذه الملابس الرخيصة.

جرب جي إتش تلفزيون غرفة النوم، لأنه كان فضوليًّا. لم يُظهر شيئًا، فقط شاشة زرقاء، قناة بعد قناة. فك ربطة عنقه. حين كانت ماما على قيد الحياة، شعر جي إتش أن حضورها بمثابة لائحة اتهام. اعتاد جي إتش أن يكون ما هو عليه وأصبح يعتقد أنه كان ناجحًا. حين كانت ماما تخرج لتفقُّد مايا، كانت توبخه على ساعات عمله اليومية الأربع عشرة، على العيش في طابق مرتفع (غير طبيعي!)، على وهم حياتهم في نيويورك. لقد هزته. غيرا حياتهما. اشتريا المكان المطل على البارك، أرسلا مايا إلى مدرسة «دالتون»، وعاشا بتعقل. أحيانًا يفتقد الأرض تحت قدميه. حكمة الشيوخ.

عادت روث في سحابة من البخار.

ـ جربت التلفزيون. نفس الشيء.

كان عليه أن يشاركها هذا، على الرغم من أنه لم يتوقع خلاف هذا.

تحولت واعتدلت تحت أغطية الفراش النظيفة. كانت الرياح صاخبة.

ـ إذن، ماذا تعتقد؟

لم تكن تريد أن يجاريها.

كان جي إتش يعرفها. لقد مرت عشرات الأعوام.

ـ أعتقد أنه شيء سنضحك عليه حين نسمع ماذا كان. هذا ما أعتقده.

لم يعتقد هذا. لكن كان من الصواب الكذب أحيانًا. نظر إلى نفسه في المرآة وفكر في شقتهما، ومنزلهما، والبدلات في خزانة ملابسه الفسيحة، وآلة صنع القهوة التي استقر عليها بعد أن أمضى أسابيع باحثًا. فكر في الطائرات فوق مانهاتن وكيف بدا الأمر لركابها حين أظلم المكان. فكر في الأقمار الصناعية فوق الطائرات وتساءل عما قد يفعله طاقم العلماء متعدد الأعراق والجنسيات من موقعهم الفريد. أحيانًا تُظهر المسافة الشيء على نحو أوضح.

فهم جي إتش الكهرباء على أنها سلعة. لم يكن هذا نوعًا من التقلبات في السوق. لا يمكنك سحب القابس على العاصمة المالية للأمة. ستظل شركات التأمين عالقة في الدعاوى القضائية لعشرات السنين. إذا انطفأت الأنوار في مدينة نيويورك، فهذا أمر من صنع الله. صنع الله. هذا النوع من الأمور التي قد تقولها حماته.

١٣

صوت طفلك قد يوقظك، حضور طفلك قد يوقظك. شعرت أماندا بجسد روز الممتلئ الصغير يتأرجح في الفرجة بينها وبين كلاي حتى قبل أن تشعر بأنفاس الفتاة الرطبة على مسافة قريبة جدًّا من أذنها.

ـ ماما، ماما.

يد ناعمة على ذراعها، رقيقة لكنها مصرة أيضًا. جلست.

ـ روزي.

في العام الماضي أعلنت الفتاة أنها لا تود أن يُذكر حرف المد في آخر اسمها.

ـ روز.

ـ ماما.

كانت روز مستيقظة تمامًا. وردة متجددة بمضي الليل. وردة متفتحة. كانت كذلك طوال حياتها. في الصباحات، كانت تتوق للاستيقاظ. تفتح عينيها وتقفز إلى الأرض. (ربت السيدة ويستون، الجارة في الطابق السفلي، ابنتين في نفس المساحة البالغة ألفًا ومائة قدم مربع، لذا لم تشتكِ قَطُّ). لم تفهم روز كيف يمكن لشقيقها أن يظل نائمًا حتى الحادية عشرة، والثانية عشرة، والواحدة. الصباحات، بدا كل شيء مثيرًا بالنسبة إليها؛ غسل الوجه، واختيار الملابس، وقراءة كتاب. كانت روز متحمسة. كان كل شيء ممكنًا. حين تكون الطفل الأصغر، تتعلم أن تقوم بشؤونك.

ـ هناك خطب ما في التلفزيون.

ـ عزيزتي، هذه ليست حالة طارئة.

ثم تذكرت: هذا نظام البث الخاص بحالات الطوارئ. لطمت أماندا الوسائد شديدة التراخي حتى انثنت.

ـ كل شيء مشوش.

كانت القنوات القليلة الأولى بالأبيض والأسود، ضوءًا راقصًا. بعد ذلك، كل شيء بالأبيض، لا شيء فحسب.

نسوا جذب الستائر الحاجبة للضوء. في الخارج كان ضوء، لكنه غير مباشر. ليست الغيوم لكن ساعة البكور. العاصفة التي ظنوا أنها آتية لم تأتِ على أي حال. حين نظرت إلى الساعة الرابضة على المنضدة بجانب الفراش انتقلت من ٧:٤٨ إلى ٧:٤٩. إذن: الكهرباء. يا له من إعتام.

ـ عزيزتي، لا أعرف.

ـ ألا يمكنكِ إصلاحه؟

كانت روز يافعة بما يكفي لتصدق أن والديها قادران على فعل أي شيء.

ـ هذا ليس منصفًا. إنها إجازة، وقلتِ إننا في الإجازة بوسعنا مشاهدة التلفزيون أو قضاء وقت أمام الشاشة كما نريد.

ـ أبوكِ نائم. اذهبي إلى غرفة المعيشة، أنا آتية.

ابتعدت روز بخطوات صاخبة ـ كانت هذه طريقة سيرها ـ والتقطت أماندا هاتفها. استيقظت الشاشة، سعيدة لرؤيتها، وكانت سعيدة، أيضًا: ليس تنبيهًا إخباريًّا واحدًا بل أربعة. لكن كالسابق تمامًا، لم تتمكن من رؤية شيء سوى النبأ نفسه. ضغطت على التنبيه لكن الشاشة حاولت وفشلت في الاتصال. العنوان نفسه، «الإبلاغ عن إعتام رئيسي على الساحل الشرقي للولايات المتحدة»، ثم «الإعصار فرح يصل إلى اليابسة في شمال كارولينا»، ثم «عاجل: الساحل الشرقي للولايات المتحدة يبلغ عن انقطاع الكهرباء»، ثم عنوان أخير «عاجل»، تبعته رسائل عديمة المعنى. كان الأمل

يحدوها أن يعمل التلفزيون. لكنهم كفوا عن الاستماع إلى راديو «إن بي آر» حين ترنمت روزي ذات الأعوام الأربعة «أنا ديفيد جرين» وسأل آرتشي ذو الأعوام السبعة عن فرقة «بوسي ريوت». لقد قاما بحماية الطفلين من كثير من الأمور.

بسطت أماندا ملاءة الفراش تحت يدها، وارتطمت بمؤخرة كلاي.

ـ كلاي.

غمغم، وهزته من كتفه.

ـ انهض، انظر.

شعر بمذاق حامض في فمه، عيناه تفتقران إلى التركيز. وضعت أماندا هاتفها في وجهه. أصدر صوتًا غير مفهوم.

ـ انظر.

هزت الهاتف مرة أخرى.

ـ لا أستطيع الرؤية.

في لحظات الاستيقاظ تلك، كان من المستحيل رؤية أي شيء. كان عليك أن تجبر عينيك على التركيز. لكن ما قصده في الحقيقة أن الهاتف أصبح مظلمًا.

وكزته قائلة:

ـ أوه، هنا.

ـ ماذا؟

تذكَّر الليلة الماضية، لكنه لم يستطِع دفع نفسه من النوم إلى اليقظة بهذه السرعة.

ـ يبدو أنه لم يقتلنا أحد.

تجاهلت هذا.

ـ الأخبار.

لم تقل الشاشة التي أمامه شيئًا.

ـ أماندا، إنها لا تقول شيئًا.

التاريخ فحسب، الصورة نفسها فحسب، لقطة الطفلين التي استخدماها كبطاقة للكريسماس منذ سنتين.

ـ كانت هنا حالًا.

أرادت أن يشاركها كلاي عبء هذه المعلومات.

تثاءب، واستمر تثاؤبه مطولًا.

ـ هل أنتِ متأكدة؟ ماذا قالت؟

ـ بالطبع أنا متأكدة.

أليس كذلك؟ فحصت أماندا الهاتف.

ـ كيف ترى التنبيهات؟ إنه لا يفتح التطبيق. لكن كان هناك أربعة. ذلك التنبيه نفسه عن الإعتام، وآخر عن الإعتام، وشيء ما عن ذلك الإعصار، وتنبيه لم يقل إلَّا «عاجل»، وكان...

ـ عاجل عن ماذا؟

ـ مجرد كلمات غير مفهومة.

ـ إنهم يسيئون استخدام كلمة «عاجل». عاجل، استطلاع للرأي يظهر أن الديمقراطيين الأحرار يتصدرون سباقات الكونجرس النساوي. عاجل، آدم ساندلر يقول إن فيلمه الجديد هو أفضل أعماله حتى الآن. عاجل، دوريس فلان مخترعة آلة صنع الآيس كريم الأوتوماتيكية ماتت في التاسعة والتسعين من عمرها.

ـ لا، كان الأمر كذلك. لم تكن الكلمات واضحة. مجرد حروف. لا بد أن في الأمر خطأ.

ـ ربما تلك الشبكة. شبكة الهاتف؟ ربما هناك خطب ما بشأنها؟ هل سيؤثر الإعتام فيها؟

لم يعرف كلاي كيف يتماسك العالم. من فعل ذلك حقًّا، على أي حال؟

ـ هل تظن أن هناك خطبًا ما بشأن الهواتف المحمولة؟ أو أن الأمر راجع

إلى مكان وجودنا فحسب؟ لأن هاتفي لم يعمل بانتظام منذ جئنا إلى هنا. لقد عمل في البلدة، حين ذهبت لشراء البقالة.

ـ نحن بعيدون نوعًا ما. حدث هذا في العام الماضي، أتذكرين؟ وذلك المكان الذي استأجرناه لم يكن بمثل هذا البعد.

أو، لم تقل، حدث شيء ما إلى درجة أن «نيويورك تايمز» تأثرت. وقفت أماندا وشربت من الزجاجة الموضوعة على المنضدة بجانب الفراش. كانت بدرجة حرارة الغرفة، وأرادت أماندا ماء باردًا.

ـ أربعة تنبيهات إخبارية. لم أحصل على هذا القدر في ليلة الانتخابات.

ذهبت إلى الحمَّام، فحصت الهاتف أثناء تبولها. لم يخبرها بالمزيد.

ارتدى كلاي بنطاله القصير الذي فقده في الليل ونظر إلى الفناء الخلفي في الخارج. على الرغم من نذير العاصفة، بدا الجو مثل أي صباح صيفي آخر. حتى الرياح بدا أنها سكنت. في الواقع، لو أنه نظر ـ أقرب مما أمكنه النظر ـ لكان قد فهم السكون على أنه رد على تلك الريح. لكان قد لاحظ أن الحشرات صارت هادئة، لكان قد لاحظ أن الطيور لم تكن تغرد. لو أنه لاحظ، لكان قد لاحظ أنها كانت مثل تلك اللحظات الغريبة حين مر القمر أمام القمر، ذلك الظل المؤقت الذي لم تفهمه الحيوانات.

غادرت الحمَّام ومرت بجوار زوجها الذي ينتظر دوره.

ـ سأعد بعض القهوة.

شعرت أن الهاتف ثقيل في جيبها القطني الخفيف.

كانت روز عند وحدة المطبخ الوسطى مع زبدية من حبوب الإفطار. تذكرت أماندا (لم يمضِ وقت طويل) حين احتاجت الفتاة إلى مساعدة الكبار لجلب الزبدية، وملئها، وتقطيع الموز، وصب الحليب. حاولت ألَّا تستاء من الأمر في ذلك الوقت، حاولت أن تتذكر كيف كانت تلك أيامًا عابرة. والآن كانت زائلة. كانت هناك مرة أخيرة غنت فيها للطفلين كي يناما، مرة أخيرة مسحت فيها البراز من تجاويف جسديهما، مرة أخيرة رأت فيها ابنها

عاريًا ومثاليًّا كما كان يوم التقت به. لن تعرف أبدًا متى تكون المرة هي المرة الأخيرة، لأنك إذا عرفت فلن تستطيع المضي في الحياة.

ـ مرحبًا، صغيرتي.

وضعت القهوة الجافة بالمكيال في الفلتر الورقي. يوم عادي، جميل، آخر، أليس كذلك؟

ـ هل يمكنني مشاهدة فيلم على الكمبيوتر الخاص بك؟

ـ الإنترنت لا يعمل، يا صغيرتي، وإلَّا كنت سمحت لكِ بمشاهدة «نتفلكس». اسمعي. لا بد أن أخبركِ...

ـ هذه الإجازة مقرفة.

كانت لدى روز وجهة نظر لتبينها. ظلم.

ـ الليلة الماضية، هؤلاء الناس ـ عائلة واشنطن ـ الناس الذين يمتلكون هذا المنزل، كان عليهم المجيء، كانت هناك...

ما الاسم الذي احتاجته؟

ـ كانت هناك مشكلة. تتعلق بسيارتهما. ولم يكونا بعيدين عن هنا، لذا جاءا إلى هنا، على الرغم من أنهما أجرا لنا المنزل لهذا الأسبوع.

كان عليك أن تكون مستعدًّا للكذب، أن تكون أمًّا أو ربما مجرد شخص. أحيانًا يتعين عليك الكذب.

ـ ما الذي تتكلمين عنه؟

لم تكن روز تهتم بالفعل. أرادت إرسال رسالة نصية إلى هازل ومعرفة ما الذي كانت تفعله. ربما كانت هازل تشاهد التلفزيون في نفس هذه اللحظة.

ـ كانت هناك مشكلة في السيارة ولم يكونا بعيدين عن هنا وكانا يعرفان أننا هنا، لكنهما ظنَّا أن بمقدورهما المجيء والتوضيح و...

لم يكن حتى التكلف صعبًا. لم يستطِع الأطفال حمل الأمور المعقدة ـ حتى الأمور البسيطة، حقًّا ـ في رؤوسهم، وأيضًا لم يبالوا، أيها النرجسيون الجميلون. كلاي مرتديًا بنطاله القصير وبعينيه الناعستين:

ـ سآخذ بعضًا من تلك القهوة.
ـ أبي، التلفزيون لا يعمل.
جذبت روز ذراعه. كان هو الشخص الذي سيهتم. كان هو الشخص الذي سيساعدها.
تناثر السائل الساخن على قدمه اليمنى.
ـ على رسلكِ، يا صغيرتي.
ـ هل نسيت وضع صحنك في الحوض؟
قرأت أماندا كتابًا عن كيفية الكلام التي تجعل الأطفال ينصتون.
ـ كلاي، عليك ارتداء بعض الملابس. هؤلاء الناس هنا.
سمعت الفظاظة فيما قالت.
ـ عائلة واشنطن. إنهما في الطابق السفلي مباشرة.
ـ أبي، هل يمكنك إصلاحه؟
ـ دعينا نتمهل فحسب.
ربما كانا شديدَي التساهل بشأن الوقت المسموح به للشاشة، الذي يُمنح على شكل جرعات مثل مخدر، الشاشة مخدر. لم يكن كلاي قادرًا على مقاومة توسلاتها. حين كانت طفلة، كانت تنادي «بابا» بطريقة خاصة للغاية. فتاة بحاجة إلى أبيها. وضع قهوته جانبًا وعبث بجهاز التحكم عن بُعد. ثلج، قليل من الشاعرية يصف ما رأيته حين كانت الإشارة معطلة.
ـ حسنًا. لا يبدو أن هذا يعمل.
ـ ألا يمكنك، إعادة ضبطه أو شيء من هذا القبيل؟ أو الصعود إلى السطح أو أيًا كان؟
قالت أماندا:
ـ لن يصعد أحد إلى السطح.
ـ لن أصعد إلى السطح.
حك بطنه، المرقط بالشعر، المنتفخ بفعل مكرونة منتصف الليل.

ـ إلى جانب ذلك، أنا لست متأكدًا حتى إذا كانت المشكلة هنا، أو على السطح، أو... في مكان آخر.

أشارت لفتته إلى كل شيء حولهم. من الذي بوسعه الإجابة عن العالم بأسره؟ هل أنه حتى... ما زال هناك؟

ـ لماذا لا تذهبين للجلوس في الخارج؟ سآتي للانضمام إليكِ، فقط أحتاج للكلام مع ماما للحظة.

كانت روز ستفضل التلفزيون، لكنها أيضًا احتاجت لمهمة فحسب. كانت تقبل اهتمام أبيها.

ـ سوف تأتي.

ـ فقط أعطني دقيقتين.

نظر وراءها إلى الصباح، أصفر شاحبًا ومترددًا.

قالت «حسنًا» بالطريقة التي يتعلم المراهقون أن ينطقوها بها، بكل حماسة أي كلمة مكونة من أربعة أحرف. كان الصباح هادئًا. كان جميلًا، لكنه ليس مثيرًا للاهتمام مثل برنامج تلفزيوني.

صفقت روز الباب خلفها من دون أن تقصد ذلك تمامًا. كانت الأجواء ألطف بالتأكيد أينما كانت هازل. لن يكون تلفزيونها معطلًا أبدًا. سمح لها والداها بالحصول على حساب «إنستجرام» مفتوح. جلست روز على أحد المقاعد المعدنية البيضاء وتطلعت إلى الغابة.

حيث ابتعد الفناء عن المنزل في غير اكتراث، نما العشب في بقع منفصلة وكان هناك تراب وأوراق شجر وأعشاب عند حافة الغابة أو البرية أو أيًا كان ذلك. في المساحة الفارغة وراء ذلك، رأت روز غزالًا، بقرون مخملية قصيرة وسيماء حذرة وإن بدت ضجرة على نحو ما، يتفحصها بعينين داكنتين، بشريتين بشكل غريب.

أرادت أن تقول «غزال»، لكن لم يكن هناك أحد ليسمعها. نظرت خلفها إلى المنزل ورأت والديها يتكلمان. لم يكن من المفترض أن تذهب إلى

حمَّام السباحة، لكنها لم تكن ستذهب إلى حمَّام السباحة. سارت إلى أسفل درجات السلم على العشب الرطب وراقبها الغزال فحسب، بالكاد يشعر بالفضول. لم تكن حتى قد رأت أن هناك غزالًا آخر خلفه؛ لا بل أكثر. كانت هناك خمسة غزلان، كانت هناك سبعة، كلما أقلمت روز عينيها لمحاولة فهم ما تراه، كانت ترى شيئًا جديدًا. كانت هناك عشرات الغزلان. لو كانت على ارتفاع أعلى، لكانت فهمت أن هناك المئات، أكثر من ألف، حتى أكثر من ذلك. أرادت الركض إلى الداخل وإخبار والديها، لكنها أيضًا أرادت الوقوف هناك ورؤية ذلك فحسب.

١٤

استيقظت روث بعينين رائقتين وذكرى مفاجئة. ذلك الإحساس المألوف بالاستيقاظ منتفضًا فيما أنت تخلد إلى النوم، أمر تأخذه على أنه ميزة خاصة ثم تعرف أنه جزء من الحالة البشرية. أصوات الصباح اليومية: مياه في الأنابيب، وقع أقدام شخص آخر، صوت محادثة يأتي من غرفة أخرى. كانت بحاجة ماسة إلى مايا. كانت في الفراش لكنها أيضًا ما زالت في السيارة، تفكر في الفتاة: رضيعة على صدرها، طفلة صغيرة في حضنها، ذات عشر سنوات بأطراف ثخينة وضفائر متكونة من مفارق رأس مربعة الشكل، مراهقة مهذبة ترتدي «تيشيرت» من الفلانيل وكثيرًا من الأقراط، فتاة جامعية، زوجة خجولة، أم متوقدة. تداخلت كل نسخة من مايا في عقل روث. أنبأها الضوء الأخضر في صندوق الكابلات أن الكهرباء ما زالت سارية. لم يبدُ هاتفها المحمول متصلًا بالعالم، لكنها لم تتوقع أن يفعل. تركت جورج نائمًا، وتسللت إلى الطابق العلوي.

في المطبخ، التقطت روث الهاتف الذي اقترح داني تركيبه. كان لدى المقاول نوع من السيطرة على جورج. لم يفكر الرجال من جيل جي إتش في المودة تجاه الرجال الآخرين. جعل ذلك الأمرِ فاتنًا أكثر وفيما بعد أصبح من المزعج مشاهدة جورج يقع تحت تأثير سحر داني. كان الرجل عاملًا، أما جورج فقد ارتاد كلية إدارة الأعمال في «هارفارد». لكن داني كان مفتول العضلات وقادرًا بقمصانه

المصنوعة من نسيج «شامبري» القطني، وكميه المطويين على ساعدين قويين، ونظارته الشمسية جاثمة على مؤخرة رأسه. ضغطت السماعة على أذنها. ليس صوت الهاتف المستمر العميق المستعد لطلب الرقم، بل المرثية التي أخبرتك أن الهاتف ميت بالفعل. لوهلة رهيبة، لم تستطِع روث تمامًا تخيل صوت ابنتها. كيف بدا صوت مايا، مايا الحالية، مايا الشخص الحقيقي؟

كشخص بالغ، كانت هي نفسها كما كانت طفلة، غالبًا ما تدهش والديها. فضلت الفساتين الطويلة الغريبة بشغب الألوان والنقوش. سُمي طفلاها بيكيت وأوتو وتجولا بخطواتهما القصيرة على المرجة الخلفية عاريين. لم تفهم روث اسميهما أو حقيقة أنهما لم يُختنا، لكنها احتفظت بذلك لنفسها. وضعت الهاتف مكانه، بقوة شديدة، ربما.

كان الزوجان في غرفة المعيشة. كان الرجل بالكاد مرتديًا ملابسه، والمرأة في ملابسها المريحة.

حاولت أماندا ألَّا تبين أنها جفلت:

ـ صباح الخير.

ردت روث هذه المجاملة، كما لو كانت عادية. كانت غير صادقة أو غير دقيقة، أو ربما كليهما.

ـ ما زال الهاتف لا يعمل.

ـ كنا فقط... وصلت تنبيهات إخبارية لأماندا على هاتفها هذا الصباح.

ـ ماذا قالت؟

تساءلت روث لماذا لم يخبرها هاتفها أي شيء. لم تتمكن قَطُّ من إتقان التعامل مع هذا الشيء اللعين.

ـ الأمر نفسه، إعتام. ثم شيء ما عن إعصار. ثم تحديث، ثم شيء كان مجرد كلمات غير مفهومة.

كانت هذه المرة الثالثة التي تشرح فيها الأمر، حتى إن المعلومات بدت أكثر افتقارًا للمعنى الآن. قال كلاي:

ـ دعيني أحضر لكِ بعض القهوة.
شعر بالحرج، وهو بلا ملابس.
ـ إعصار. هذا أفضل من لا شيء.
حاولت روث أن تجعله يعني شيئًا ما.
ـ حقًا؟
ناولها كلاي كوبًا خزفيًّا (كوبها الخزفي الخاص).
ـ حسنًا، نعم. ربما تكون للأمر علاقة بانقطاع الطاقة. يمكن ذلك. كان هناك إعصار «ساندي»، بالطبع. لا أتذكر أنني سمعت أن هذا الإعصار كان متجهًا إلى نيويورك، لكنني لم أكن منتبهة جيدًا، عليَّ الاعتراف بذلك.

لقد سمعوا جميعًا، كما علمت، أن عواصف القرن تلك ستكون عواصف العقد. ربما يجب أن يكون هناك تصنيف جديد يُقدم لوصف هذا النوع من العواصف بدقة، الآن بما أن البشرية قد غيرت المحيط كثيرًا.
ـ لست متأكدة مما سأخبر به الطفلين.

نظرت أماندا إلى الغريبة كما لو أن لديها نصيحة ما، ثم استدارت نحو الأبواب الشفافة، وفعلوا ذلك جميعًا، تطلعوا جميعًا إلى روز، الواقفة عند آخر الفناء.
ـ كم عمرها؟

قبل سنوات، طُلبت من روث المساعدة في إدارة المدرسة. أرادت مدرسة «دالتون» زيادة التنوع. أصبحت روث الآن محصنة ضد جرائيم الأطفال وعلى الأغلب منيعة ضد سحرهم.
ـ ثلاثة عشر فقط. الشهر الماضي.
كانت أماندا شخصية وقائية.
ـ لكن قلبها ما زال مثل طفلة رضيعة. لذا أود أن أُبقي... الأمور بين الكبار.

ـ لا داعي لجعلهم يشعرون بالقلق.

في المدرسة، عاملت روث الأطفال باعتبارهم الذوات التي سيكونون عليها حتمًا. الفتيان الذين سينتهي بهم الأمر وُسماء وبالتالي يُوفر لهم ما يلزم لذلك، والفتيات اللاتي سينتهي بهن الأمر جميلات وبالتالي قاسيات، والأغنياء الذين سينتمون للحزب الجمهوري، والأغنياء الذين سيصبحون مدمني مخدرات، والأغنياء الذين سيتخطون توقعات أهلهم، والفقراء الذين ستزدهر حالهم والفقراء الذين سيتهربون من جامعة «برينستون» عائدين إلى شرق نيويورك. كانت تعلم أن الطفولة حالة مؤقتة. لكن كونها جدة جعلها لينة الطبع.

ـ لا أريد أن يصاب الأطفال بالذعر بلا سبب.

حاولت أماندا ألَّا تشير إلى أن هذا ما فعلته روث وزوجها.

كانت أم روث لَتتضرع إلى الله. كانت الحياة تتمحور حول التأكد من أن أطفالك يتصرفون بشكل أفضل مما تصرفت، وكان إلحاد روث تحسنًا أكيدًا. لا يمكنك أن تمضي خلال الحياة مجنبًا ما لا يمكن فهمه باعتباره شيئًا إلهيًّا.

ـ لا أريد إخافة أي أحد.

لكنها كانت خائفة.

ـ أشكرك على القهوة.

ـ لدينا... هناك بيض، حبوب إفطار، كما تعلمين.

كان كلاي يمسك موزة، غير عالم إلى أي مدى كان يشبه أحد الحيوانات من فئة الثدييات الرئيسية في تلك اللحظة. قال، ناسيًا تمامًا وعده لابنته:

ـ سأذهب لارتداء ملابسي.

كانت لديه خطة.

جلست روث. تشعر بالأمان في الدردشة القصيرة.

ـ إذن. ماذا تفعلين؟

فهمت أماندا هذا.

ـ أعمل في مجال الإعلان. من جهة العميل. أدير العلاقات.

جلست، أيضًا، واضعة ساقًا فوق الأخرى. أخذت روث دورها.

ـ أنا متقاعدة الآن. كنت أعمل في مكتب القبول. في مدرسة «دالتون».

لم تستطِع أماندا منع نفسها من الجلوس بمزيد من الاستقامة. ربما كانت هناك وجهة نظر. بإمكان طفليها، غير الاستثنائيين (ما زالا رائعين في نظرها)، أن يتدبرا أمرهما بوجود أفضلية ما. تعرف أن إنفاق المال على التعليم الجامعي كان مجرد اقتراح. اعتمدت العائلات مثل عائلتها على سخاء الناس الأوفر حظًّا.

ـ هذا شيء مثير للاهتمام.

من مكتبها القديم رأت روث أحيانًا وودي آلن، يتجول في المنزل المقابل مباشرة. كان هذا أحد ثلاثة أو أربعة أشياء مثيرة للاهتمام بشأن الأمر. كانت سعيدة لأنها حرة.

ـ وزوجكِ؟

ـ كلاي؟ إنه أستاذ جامعي. يدرِّس الإنجليزية، وأيضًا الدراسات الإعلامية.

ـ لست متأكدة من أنني أعرف ماذا يعني ذلك.

قالت ذلك كأنه نكتة صغيرة ساخرة من نفسها.

أماندا أيضًا لم تفهم ذلك بوضوح كامل قَطُّ.

ـ الأفلام. الأدب. الإنترنت. الحقيقة، ذلك النوع من الأمور.

ـ في جامعة «كولومبيا»؟

ـ في «سيتي كوليدج».

بدا الأمر كأنه خيبة أمل، بما أن تخمين المرأة الأول كان لإحدى جامعات رابطة «أيفي» المرموقة بالساحل الشمالي الشرقي لكن أماندا كانت فخورة.

ـ كنت في كلية «بارنارد». ثم في «تيتشرز كوليدج».

كانت روث تجري هذا الروتين لأنها أرادت فهم هؤلاء الناس على نحو أفضل. كانت عملية أخذ وعطاء.

ـ نيويوركية حقيقية. كنت في جامعة «بنسلفانيا». بدت فيلادلفيا متمدنة للغاية بالنسبة إليَّ. غريبة جدًّا.

تذكرت القيادة داخل الحرم الجامعي، سيارة والديها «الكورولا» تنفجر بملاءات من قماش «جيرسيه»، ومصباح المكتب، علبة مستلزمات الاستحمام، ملصق «توري آموس». بدا المكان رتيبًا. سمعت كلمة «مدينة» وكانت تتصور مباني تصل إلى عنان السماء. مع ذلك، كانت أفضل من «روكفيل». كانت أغنية فرقة «آر إي إم» على حق: «لا أحد يقول مرحبًا، لا يتحدثون مع أي أحد لا يعرفونه».

ـ تمنيت أن أذهب إلى كلية في نيويورك.

ـ حسنًا، أنا من شيكاجو.

قالتها روث كما لو كانت أفضل مكان يمكن أن تكون منه.

ـ لكنني أفترض أنني نيويوركية حقيقية الآن. قضيت سنوات هناك أكثر من التي لم أقضِها بها.

كان جي إتش قد ارتدى ملابسه ـ متخطيًا الملابس الداخلية المتسخة والجوارب الممتلئة بالعرق، غير مكترث لربطة العنق ـ ورتب الفراش. عدم ترتيب الفراش ليس بحياة. كان قد حاول أن يجهز نفسه، الاغتسال المعتاد، ولكنه كان ملتبسًا بشأن الذي يجهز نفسه له.

ـ صباح الخير.

وقفت أماندا لتحيته، شيء من الرسمية لم تكن تعلم أنها من شيمها.

ـ هل من أخبار؟

استمع إلى تقرير أماندا حول ما عرفوه بالكاد وتمنى لو أمكنه رؤية الأخبار، لكنه أيضًا تمنى لو أمكنه رؤية السوق. أراد معلومات لكنه أيضًا أراد تبريرًا.

ـ العاصفة، أنا متأكد. جذع شجرة ساقط.

ـ الخطوط الأرضية لا تتعطل. هذا هو السبب الكلي الذي قاله داني لتركيب أحدها.

لم تمانع روث في أن تكون شخصية ملطفة، لكنها لم تُرِد أن يُكذب عليها.

ـ ما زالت الكهرباء تعمل.

لم يُرِد جي إتش التغاضي عن هذا.

ـ ربما يجب أن نقود السيارة إلى منزل داني.

إذا كنت ستقع تحت نوع من الحصار الإرهابي، فستريد أن تكون مع داني.

ـ من هو داني؟ هل هناك جيران قريبون؟ مررنا بكشك المزرعة ذاك، مباشرة قبل الانعطاف إلى الممر. لا بد أن يكون شخص ما هناك. ربما يعرفون شيئًا ما.

لم تعرف أماندا أن الحكة التي شعرت بها كانت شبيهة للغاية بالحكة التي تصيب زوجها حين يمر عليه وقت طويل من دون نيكوتين. أرادت الابتعاد.

ـ ماذا لو؟ هستيريا جماعية. أصيبت مجموعة من الناس باعتلال ما يتبين لاحقًا أنه مجرد وهم مشترك. مئات الأشخاص المصابين بالاختلاجات والحمى، يتخيلون طفحًا جلديًّا. بإمكانهم حتى جعل بشرتهم تتحول إلى اللون الوردي.

أحضرت روث قهوة لزوجها.

ـ ستدعوني بالهستيرية؛ الكلمة التي يستخدمها الناس، الرجال، لوصف النساء.

كانت كاساندرا، بالطبع، محقة بشأن طروادة.

ـ رأينا الشيء نفسه. حدث شيء ما، بالتأكيد، أعتقد أننا يمكن أن نتفق. لكن هذا كان أمرًا تقنيًّا، كانت طبيعة العالم. الأشياء تحدث.

ـ لقد قدتَ السيارة.

قصدتْ أنه جرى. تابعتْ:

ـ كنتَ خائفًا مثلي.
ـ حسنًا، المصعد.

كان الطابق يُسمى الرابع عشر، لكنه لم يكن كذلك. افتقر المبنى إلى طابق ثالث عشر لأن ذلك كان نذير شؤم فظيع. كان من الأفضل التظاهر ببساطة أنه لم يكن موجودًا.

شعرت أماندا بالحرج. لم تكن تعرف هذين الشخصين ولم تستطِع مشاهدتهما يتشاجران.

ـ أين يعيش داني؟
ـ ليس بعيدًا. لا يمكنك فعل أي شيء في الحياة من دون المعلومات الصحيحة. سأقود السيارة إلى هناك.

نظر جي إتش إلى النهار في الخارج. بدا الصباح غريبًا بالنسبة إليه، لكنه لم يستطِع توضيح السبب، لم يكن متيقنًا من أنه لم يكن سياقًا بدلًا من كونه حقيقة.

ـ لا أريدك أن تذهب إلى أي مكان.

تهكمت روث من فكرة البحث عن ملجأ في منزل داني، كما لو أنه ابنهما بدلًا من كونه شخصًا دفعا له. كانت تبحث جميع السيناريوهات الممكنة. مسلم ما ليس لديه ما يعيش من أجله ربط نفسه بالمتفجرات. تحطم طائرة أخرى. لماذا لم يقع المزيد من تلك الحوادث؟ كان تحويل طائرة إلى سلاح أمرًا عبقريًّا.

بدا المنزل الصغير آمنًا. فهمت أماندا.

ـ أحتاج إلى ملابسي. أحتاج إلى ملابس نظيفة.

نظرت روث إلى أماندا.

ـ أوه. بالطبع.
ـ أنا فقط بحاجة إلى أن أتفحص محتويات خزانتي.

لقد أجرا المنزل، لكنهما لم يريا غرباء بداخله بالفعل. دائمًا ما جعلا

روزا تدخل قبل أن يخرج الغرباء. دائمًا ما وجدا المنزل ناصعًا ومريحًا وجاهزًا لاستقبالهما.

ـ كلاي يرتدي ملابسه حالًا، سأطلب منه أن يسرع.

لم تكن روث بحاجة إلى قول أي شيء عن النظرة التي ارتسمت على وجهيهما حين فتحا الباب لهما. خمن من سيأتي على العشاء؟

ـ شكرًا لك.

كانت روث في الثالثة والستين من عمرها. لم تُربَّ كي تفعل ـ على الرغم من أن ذلك كان متوقَّعًا ـ لكن كي تُقنِع. كانت تلك ـ كما فهمت أمها ـ الطريقة التي تشق النساء بها طريقهن في العالم: إقناع الرجال بفعل الأشياء التي يردنها.

ـ أنا خائفة.

كانت تعترف.

ـ مايا والأولاد. ربما تحاول الاتصال بنا.

ـ ابنتنا.

أوضح جي إتش. وضع يدًا على كتف زوجته.

ـ لا تقلقي بشأن ذلك الآن.

في الغالب كانت تحتمل عدم التفكير في القمم الجليدية أو الرئيس. بإمكانها كبح جماح الخوف بالتركيز على المسائل الصغيرة في حياتها.

ـ هل تتذكر ذلك العام الذي ذهبنا فيه إلى إيطاليا؟

الجو حار جاف، فندق فاخر، مايا بضفائرها القصيرة. ارتشفوا كؤوسًا من العصير الحلو، وتناولوا بيتزا مغطاة بالروزماري والبطاطس، واستأجروا سيارة، وأقاموا في فيلًا في الريف. كان مكانًا رتيبًا خاليًا من الأشجار مع رحمة يوفرها حمَّام سباحة. سألت مايا وهي تلتقط أنقاض ما كان «المنتدى»، عن سبب قدومهم لرؤية مكان محطم بالكامل. لم يعنِ التاريخ شيئًا بالنسبة إليها. كان الزمن غير قابل للتصور في عمر التاسعة. ربما كان

ذلك في عمر الثالثة والستين أيضًا. كانت هناك فقط تلك اللحظة، اللحظة الحالية، هذه الحياة.

ـ ما الذي جعلكِ تفكرين في ذلك؟

قالت روث:

ـ لا أعرف ما الذي أفكر فيه غير ذلك.

١٥

قلَّبت روز سر الغزلان مرة تلو المرة، كما كنت لتفعل بقطعة حلوى قاسية على لسانك. لم تكن كبيرة بما يكفي كي تُصدَّق كلماتها. سيقولون إنها اختلقتها. سيقولون إنها بالغت. سيقولون إنها كانت طفلة. لكن روز شعرت بالتغيير في ذلك اليوم، حتى لو لم يشعر أحد آخر بذلك. كبداية، كان الجو حارًّا، حرارة مستحيلة، نظرًا لأن الشمس لم تشرق بالكامل. شعرت أن الهواء مصطنع، كما هي الحال داخل صوبة زجاجية أو معرض حديقة نباتية. كان الصباح شديد الهدوء. كان يخبرها شيئًا ما. حاولت أن تسمع ما هو.

في المطبخ، كان أبوها يتحدث إلى رجل مسن لم ترَه من قبل. لم تكترث روز لتذكير أبيها بأنه كان من المفترض أن يأتي لرؤيتها في الخارج. كان من الأفضل أنه نسي. عرَّفهما إلى بعضهما.

ـ سعيدة بلقائك.

كانت روز حسنة التربية.

ـ هذا من دواعي سروري.

لم يتمالك جي إتش نفسه من التفكير في ابنته. تذكر أنه استخدم اسمها ككلمة سر لقفل الخزانة.

ـ هل نظفتِ أسنانكِ بالفرشاة؟

أراد كلاي التخلص من الفتاة.

ـ الجو شديد الحرارة في الخارج. هل يمكنني السباحة؟

ـ لا مانع لديَّ. فقط ابحثي عن أملِكِ أولًا. أخبريها أنني قلت لا بأس. أنا بحاجة إلى التحدث مع السيد واشنطن.

في الليل، بطريقة ما، نسي كل رجل الآخر، لن يتمكن من وصفه لرسام الشرطة. يقولون إن شهود العيان لا يمكن الاعتماد عليهم على أي حال، اهتم أغلب الناس بأنفسهم فحسب. كان هذا صحيحًا بالنسبة إلى كلا الرجلين، حائرين من دون سابقة تعامُل بآداب السلوك، في منزل طالَب به كل منهما. كانت رؤية الرجل مرة أخرى، في ضوء النهار، مثل رؤية غريب مارست معه الجنس.

ـ جي إتش، هل تمانع إذا ذهبنا إلى الخارج؟

بدا هذا ذكوريًّا وحاسمًا للغاية إذا لم تعرف أن كلاي أراد سيجارة.

ـ لنفعل ذلك.

قهقه جي إتش قليلًا. كان من الصعب عدم الاضطلاع بدور الجار الهزلي اللطيف. خلق التلفزيون السياق، وكان على السود مجاراة الأمر. لكن هذا كان منزله. كان هو بطل قصته.

غادرا من خلال الباب الجانبي. كان جي إتش تملكيًّا حتى فيما يتعلق بالأرضيات. كانت الأجمة أمرًا صائبًا؛ تلاشت المرجة عند جدار من الأشجار. كان الأمر مختلفًا عن امتلاك منزل على البحر. لاح البحر. كانت الأشجار واقية.

ـ الجو حار في الخارج.

نظر إلى السماء ولاحظ كم كانت شاحبة.

أخرج كلاي السجائر من جيبه.

ـ رذيلة صغيرة، أنا آسف.

فهم جي إتش: رجل لرجل. لم يعد الرجال يقولون مثل هذه الأشياء

الآن، يشيرون إليها ضمنًا فحسب. في الماضي كان من مسؤوليات السكرتير تفريغ منافض السجائر من على المكتب. الآن لا تقول «سكرتير» بل «مساعد».

ـ أنا أفهم.

سارا بجوار سياج الشجر. انسحق الحصى على نحو ممتع تحت الأقدام. ذهب كلاي إلى أبعد من اللازم ـ حجبهما السياج، لن يرى الطفلين ـ لأنه اعتقد أن هذا أمر محترم.

مكتبة
t.me/t_pdf

ـ لن أدخن في المنزل، كما تعلم.

ـ هناك سبب لطلب وديعة الضمان.

كان حظهما جيدًا مع المستأجرين. كأس نبيذ مكسورة، ومقبض باب مفكوك، صحن صابون مفقود استبدلت به روث صدفة بحرية كبيرة.

ـ هل أخبرتك أماندا بما رأت؟ التنبيهات الإخبارية؟

لم تقلقه هذه التنبيهات، فقط ذلك الذي حوى كلمات غير مفهومة. كان قلقًا بشأن التكنولوجيا أكثر من الأمة.

أومأ جي إتش.

ـ هل تعرف ما الذي أفعله لكسب العيش؟ أدير المال. وهل تعرف ما الذي تحتاجه للقيام بهذا العمل؟ معلومات. هذا كل ما في الأمر. حسنًا. المال. لكن المعلومات. لا يمكنك اتخاذ قرارات، لا يمكنك تقييم المخاطر، إلا إذا عرفت شيئًا ما.

لكن كلاي أراد أن يكون ذلك الشخص. أراد كلاي أن يجعل الجميع يشعرون بالراحة. كان كلاي أنانيًّا بما فيه الكفاية فحسب.

ـ سأقود السيارة إلى البلدة. إنها الطريقة الوحيدة.

ـ أشك أنه إرهاب. لكن ليس هذا ما يخيفني. الإرهابيون أغبياء متخلفون. هكذا يمكنك إقناعهم بحرق أنفسهم من أجل الله. إنهم مغفلون. لكن ماذا بعد ذلك؟

كان جي إتش لديه إيمان بمؤسسات الحياة الأمريكية فيما مضى، لكنه أصبح أقل إيمانًا الآن.

ـ لنقل إن شيئًا حدث في مدينة نيويورك. هل تعتقد أن الرئيس سيفعل الأمر الصحيح حيال ذلك؟

عادة يبدو هذا النوع من الأمور مثل جنون الارتياب، لكنه أصبح الآن مجرد براجماتية.

ـ حسنًا، سأصل إلى أصل الموضوع.

كان كلاي فخورًا بنفسه. تضخَّم صدره بغريزة بعض الحيوانات الرئيسية.

ـ يعيش المقاول الذي أتعامل معه على بُعد أميال قليلة فحسب آخر الطريق. إنه رجل صالح. أنا أثق به. بإمكاننا التوجه إلى هناك.

كان جي إتش على الأغلب يفكر بصوت عالٍ.

ارتاح كلاي بفعل النيكوتين.

ـ نحن بأمان هنا، أعتقد ذلك.

كان جي إتش أقل يقينًا.

ـ يبدو ذلك. في هذه اللحظة.

ـ لا أعتقد أننا بحاجة إلى إزعاج صديقك. سأذهب إلى البلدة. أشتري جريدة. أجد شخصًا يعرف أكثر مما نعرف.

ـ كنت سأقول إنني سأنضم إليك، لكنني لست متأكدًا إذا كانت روث ستوافق.

كانت مهنته صنع الصفقات. لم يكن يريد الذهاب.

ـ ابقَ أنت هنا.

كان كلاي يفكر، إلى حد ما، في أبيه.

ـ أنت ترى هؤلاء المستأجرين حيث مالك المنزل في المبنى. إنهم مضيفون. الأمر ليس شديد الغرابة حقًّا.

كان قلقًا بشأن قيادتهما أكثر. اعتقد أن ذلك كان أمرًا لائقًا ليصدر عنه. كان يريد أن يُنظر إليه على أنه شخص صالح.

نظر جي إتش إلى السماء مرة أخرى.

ـ يبدو أنه ربما يكون يومًا لطيفًا. شديد الحرارة في الخارج بالفعل.

حين تتقدم في السن بإمكانك أن تقول هذا النوع من الأشياء، كما لو كنت على نحو ما متناغمًا مع إيقاعات الطبيعة السرية، كما لو أن جي إتش قضى حياته على سفينة صيد بدلًا من داخل ناطحة سحب في وسط المدينة. ربما سيمارس السباحة.

نظر كلاي إلى أعلى أيضًا. كان اللون الأصفر يتحول إلى الأزرق. كان ليعتقد أنه يبدو كجو المطر، لكنه شعر الآن أنه كجو الصيف. كم كانوا مخطئين!

١٦

ضغط الزر مرتين لخفض جميع النوافذ الأربع في وقت واحد. قدَّر كلاي هذه الميزة، العصف الذهني الذي قام به مهندس ذو بصيرة فهم على وجه التحديد أن الهواء هو أول شيء تريده في يوم حار. كان هناك، على الرغم من ذلك، نوع من المتعة في الحرارة الجافة الحبيسة داخل السيارة، نُدف الغبار، الطريقة التي بإمكانك بها تقريبًا أن تشم ضوء الشمس. أحدثت الإطارات ضجيجًا محددًا على الحصى، ثم زال ذلك وتحركت بسلاسة على الأسفلت. قاد ببطء، بلامبالاة، ليحمل نفسه على الشعور بأنه أكثر شجاعة. أيضًا، قدَّر أنه، كلما طال بقاء هؤلاء الناس زاد حقه في الألف دولار.

كان هناك حقل فيه شيء ما يُزرع، لكن لم يكن لدى كلاي أي فكرة عن ماهيته. هل كان فول الصويا هو نفسه حبوب الصويا الخضراء «إدامام»، أم أنها كانت شيئًا آخر، وما الذي يمكن استخدامها لأجله؟ قاد ببطء بجوار الكشك الذي يبيع البيض. كان الطريق شيئًا بين بين، ما زال ضيقًا، ليس حقيقيًّا تمامًا، انتظر تسجيل نظام تحديد المواقع، لكن ألم يجد الطريق إلى الشاطئ إلا صباح الأمس فقط؟ عرف كلاي ما كان يفعله.

ذات مرة أخبره أحدهم أن الناس اكتشفوا أن التدخين مهدئ لأنه تنفس عميق بالأساس. لم يكن هناك جانب لذا توقف في الطريق، وأطفأ الآلة،

وأعاد ضغط الزر ليعيد رفع النوافذ في انسجام جميل. وقف على بُعد عشر أقدام لأنه لم يُرِد لرائحة الدخان أن تتغلغل في السيارة.

كان هناك الابتهاج المألوف والنقي بالتشبع، كان هناك ما يقارب النشوة. لم يكن لديه ما يتكئ عليه. لذا فرد نفسه ببساطة ليصبح أطول ونظر حوله إلى العالم، الذي كان هادئًا. انتابته رغبة عابرة في الصحو الذي تقدمه كولا باردة، للتخلص من الخُمار. هذا ما كان سيفعله. كان سيقود سيارته إلى آخر هذا الطريق، وينعطف إلى الطريق الرئيسي، وينحرف حول المنحنيات وينتهي عند ذلك التقاطع رباعي الطرق وبدلًا من الاتجاه يمينًا، نحو البحر، سيتجه يسارًا، نحو البلدة. كانت هناك محطة وقود، ومكتبة عامة، ومتجر خردة ومحل آيس كريم ونُزُل، وأبعد من ذلك في آخر الطريق أحد تلك المجمعات المخفضة التي تحتوي على متجر بقالة، وصيدلية، ومحل للتنظيف الجاف، وسلسلة من متاجر الشطائر مرتبة بأناقة أمام موقف كبير للسيارات إلى درجة أنه لن يمتلئ أبدًا. هذا هو المكان الذي سيذهب إليه بحثًا عن المعرفة، ليس إلى المكتبة ولكن إلى حيث تُباع الأشياء. يمكنك الحصول على كولا من أي مكان تقريبًا.

نظر كلاي إلى هاتفه. كانت العادة قوية. لم يظهر له شيء. أسقط السيجارة ودعسها، ثم عاد إلى السيارة. كان الدماغ أعجوبة. بإمكانك القيادة من دون التفكير كليًّا في القيادة. بالتأكيد، الطرق المألوفة، التنقل اليومي ـ تشغيل السيارة، إيجاد الطريق السريع، المناورة خلال المسارات، اتخاذ المخرج المعتاد، الانسياب للتوقف عند الأضواء الحمراء، والمضي قدمًا عند الأضواء الخضراء ـ مع عدم الإنصات تمامًا لأهم التقارير التي تُكرر على راديو «إن بي آر»، أو التفكير في بعض التوافه في المكتب، أو تذكُّر إنتاج فيلم «قراصنة بينزانس» الذي شاهدته في صيف ما بين الصفين السادس والسابع. كانت القيادة روتينًا. كانت مجرد شيء تفعله.

لم يكن يفكر فعليًّا في إنتاج فيلم «قراصنة بينزانس» الذي رآه في صيف

ما بين الصفين السادس والسابع، على الرغم من أنه تذكَّر ذلك على أنه الموسم الذهبي المؤقت الذي كان لا يزال فيه طفل أمه المفضل، لكن لا بد أنه كان يفكر بشيء لأن كلاي استدار، عند نقطة ما، وقاد لمسافة ما ـ وجد أن تقدير المسافة ومقاييس الحجم مستحيلة ـ وأدرك أنه على الرغم من أنه كان بالتأكيد على طريق، طريق أكثر جدية، طريق ذي مسارين، نوع الطريق الذي سيعرفه نظام تحديد المواقع ويسميه، لم يتمكن من التيقن، ليس حقًّا، من أنه كان الطريق الذي أراده. كانت هناك إرشادات مكتوبة في مفكرة أماندا، بالطبع، لكن مفكرة أماندا كانت في المنزل، في حقيبة أماندا من طراز «فيوتون». على أي حال، كانت القدرة على اتخاذ إرشادات مكتوبة إلى إحدى الوجهات وعكسها ببساطة للتحرك في الاتجاه المعاكس فنًّا مندثرًا. كان أشبه بإنزال نوافذ السيارة عن طريق لف مقبض النافذة. التقدم البشري. كان كلاي تائهًا.

كان كل شيء شديد الخضرة. لم يكن هناك شيء للتمسك به. كانت هناك بعض الأشجار، وحقل، ولمحة من سقف ووعد بوجود بناء، لكنه لم يستطِع أن يقول ما إذا كانت حظيرة أم منزلًا. انحنى الطريق، ثم بزغ في مكان آخر حيث كان هناك حقل آخر ومزيد من الأشجار وشريحة أخرى من سطح حظيرة أو منزل، وفكر كلاي في الرسوم المتحركة القديمة تلك التي تعيد تدوير خلفياتها لخلق وهم الحركة. كان من المستحيل معرفة الأكثر منطقية؛ إيقاف السيارة والتراجع أم المضي قدمًا كما لو كان يعرف إلى أين يتجه. لم يعرف حتى لِكم من الوقت كان يقود سيارته، أو إذا كان يستطيع العودة إلى الطريق المؤدي إلى ممر السيارات المرصوف بالحصى وصولًا إلى المنزل حيث انتظرت عائلته. لم يعرف ما إذا كان ذلك الطريق معلَّمًا بلافتة أو ماذا كانت اللافتة ستقول. ربما كان عليه أن يبدي اهتمامًا أكبر، ربما كان عليه أن يأخذ هذه المهمة بجدية أكثر.

كان صوت الرياح وإحساسها على وجهه مُلهيًا. أبطأ كلاي السيارة قليلًا

وأعاد النوافذ إلى أعلى مرة أخرى، ثم وكز اللوحة المركزية حتى انبعث مكيف الهواء إلى الحياة. واصل باتجاه مستقيم، لكن ذلك لم يكن صحيحًا، لأن الطريق تعوَّج والتوى وربما أكمل كلاي دورة كاملة ولهذا السبب بدت الأشجار والمباني العرضية مألوفة للغاية: لأنها كانت كذلك. وجد علكة ووضعها في فمه. حسنًا.

لم تكن هناك سيارات أخرى، ولم يعرف هل بدا ذلك غريبًا أم لا. على أي حال، لم يكن الطريق من النوع الذي يحمل إشارات التوقف. وثق المخططون المحليون في السكان المحليين. توقف على الجانب الرملي واستدار بالسيارة وقاد في الاتجاه الذي جاء منه. الآن لا شيء يبدو مألوفًا، على الرغم من أنه اجتاز الطريق للتوِّ. انقلب كل شيء، ولاحظ أشياء على الجانب الأيسر من الطريق فوَّتها حين كانت عن يمينه: لافتة مرسومة بطريقة الهواة كُتب عليها «مزارع ماكينون»، حصان وحيد يقف في حقل، بقايا مبنى محترق. قاد السيارة ثم أبطأ، لأنه شعر أنه لا بد أن يكون قريبًا من المنعطف إلى المنزل. لكنه لن يأخذ ذلك المنعطف، سيقود إلى الاتجاه الآخر، حيث عرف أن البلدة تنتظر.

كان هناك طريق عن يمينه، وانعطف ليبحث عنه أثناء مروره، لكنه لم يكن الطريق المؤدي إلى المنزل، لأن ذلك الطريق كان به ذلك الكوخ المطلي الذي يمكنك أن تحصل منه على دستة من البيض مقابل خمسة دولارات. زاد السرعة وانطلق. كان هناك منعطف آخر، لكن مرة ثانية، ما من كوخ مطلي. ثم تساءل عمَّا إذا كان قد انعطف مرتين ليصل إلى الطريق الذي وجد نفسه فيه الآن، وكان يبحث عن معلَم غير موجود. أخرج كلاي هاتفه، على الرغم من أنه يعرف أنه ليس من المفترض أن تنظر إلى هاتفك أثناء القيادة، وفوجئ أنه لا يبدو أنه يعمل. ثم تذكر أنه بالطبع لم يكن يعمل، أن ذلك كان الغرض الحقيقي من هذه المهمة، وليس كولا مثلجة. لقد قاد سيارته خارجًا ليظهر للجميع أنه رجل، مسيطر، والآن صار تائهًا وشعر بالسخافة.

ألقى الهاتف على المقعد المجاور له. بالطبع لم تكن هناك سيارات أخرى. كانت هذه طرقًا ريفية، لإفادة حفنة من الناس. بدا النهار غريبًا فقط لأن الليلة كانت غريبة. استدار قليلًا، لكنه سيجد طريقه. لم يذهب بعيدًا إلى درجة أنه سيحتاج إلى النجدة. فكر في كيف أرسلت الحكومة مروحيات لغرباء الأطوار المعادين للمجتمع الذين أصروا على العيش فوق قمم الجبال المعرضة للحرائق. ظن الناس أن الحريق كارثة، وفشلوا في فهم أنه جزء مهم من دورة حياة الغابة. احترقت القديمة. نمت الجديدة. واصل كلاي القيادة. ماذا كان من المفترض أن يفعل غير ذلك؟

١٧

زحفت الشمس عبر السماء كعهدها دائمًا. رحبوا بها، عبدوها. بدا الوخز على الجلد وكأنه عقاب. بدا العرق وكأنه فضيلة. تجمعت الأكواب على الطاولة. استُخدمت المناشف وأُلقيت. كانت هناك تنهدات وأفعال متصنعة تجاه المحادثة. كانت هناك طرطشة المياه وصوت فتح الباب وغلقه. كان نوع الحر الذي يمكنك تقريبًا أن تسمعه، وفي ذلك النوع من الحر ما الذي يمكنك فعله سوى السباحة؟

قلقت أماندا بشأن المستحضر الواقي من الشمس الحديث على صدرها وشعرت بتأثير المادة في نفسها، لزجة وليفية، تحت بشرتها. كان ارتجالًا. هتف شخص ما في ظلال الجمهور بهذا السيناريو. لم يكن الأمر منطقيًّا، وكُلفت بالأداء كما لو كان كذلك. قيادة كلاي إلى البلدة. كانت تفعل ذلك. فكرت في ذلك الفيلم حيث تظاهر الرجل من أجل ابنه بأن الحياة في ظل النازيين كانت طبيعية، بل جميلة. بدا شيء بشأن ذلك الأمر بعيد النظر الآن بعد أن فكرت فيه. بإمكانك ادعاء ما لست عليه بخصوص كثير من الأمور.

أخبرت روث الطفلين أن هناك مزيدًا من عوامات حمَّام السباحة في المرأب. عادا بعوامات «أولدنبورج» بلاستيكية مصغرة مترهلة. وضع آرتشي النتوء الصغير بين شفتيه (كان من المفترض أن تبدو مثل قطعة

«دونت»، مرشوشة، مقضومة)، حيث كشف الجهد المبذول في الزفير عن شبكة ضلوعه النحيلة.

كان الأمر في منتهى الظلم، كم كان آرتشي أشد قدرة. ثلاث سنوات من الأفضلية. لم تتمكن روز من إدخال نفَس واحد إلى عوامتها، التي كانت مجرد طوف مستدير، لكنها بدت مريحة. كان الأمر مزعجًا. كان آرتشي بالغًا بالأساس، وكانت عالقة في كونها نفسها فحسب.

ـ سأفعل ذلك، يا حبيبتي.

أخذت أماندا الشيء المرتخي بين ساقيها، وهي جالسة على حافة كرسي حمَّام السباحة الخشبي الطويل، وسايرته حتى أخذ الشكل المطلوب.

ـ تعجبني عوامة «الدونت» أكثر.

لم يسِر شيء على هواها ولم تستطِع منع نفسها من ملاحظة ذلك.

ـ بطيئة جدًّا، يا غبية.

ألقى آرتشي العوامة على سطح حمَّام السباحة. قفز من على لوح الغوص، هابطًا بنصفه فقط على الشيء كما لو كان يقصد ذلك. لم يكترث باحتجاجات أخته، فقد تعلم منذ فترة طويلة كيف يتجاهل أغلب الأشياء التي كان على أخته قولها.

ـ الطوف مريح أكثر.

كانت روز ذلك النوع من الفتاة البسيطة الممتلئة، التي لم تتمالك روث نفسها من الشعور بالأسف حيالها. اعتقدت روث أن آرتشي شأنه شأن كل صبي رأته يمشي وسط حشد في أروقة مدرستها، مقتنعًا بسحره الخاص. ربما كان هذا شيئًا تفعله الأمهات للأبناء. قلقت بشأن حفيديها، الخاضعين لرعاية الأمومة/ للاختناق مرتين.

كانت روز كبيرة بما يكفي لتعرف كيف تتكلف الأخلاق. مع ذلك، أنَّت كالأطفال:

ـ لكن «الدونت» ظريفة.

تحدثت روز بذلك الأسلوب المحدد الذي يطلقه الأطفال حين يناشدون الكبار الذين ليسوا أهلهم.

ـ الظُّرْف ليس جيدًا على المدى الطويل.

عند الطاولة المغطاة بالمظلة، عقدت روث ساقيها. ارتدت أشياءها النظيفة. كانت قد تمشت بتعجرف داخل غرفة النوم الرئيسية، نفرت من الفراش غير المرتب، والمناشف المستهلكة على أرضية الحمَّام، الغسيل القذر المبعثر. شعرت بتحسن، استرخت تقريبًا.

ـ هذا أصعب مما يبدو.

فكرت أماندا في سيجارة كلاي، تسرق أنفاسها. عرفت أنه ليس من العدل، ألَّا تكون لديها رذيلة. كان العالم الحديث شديد الغم. متى تحولوا إلى أهل لبعضهم البعض؟

لم تكن روز متحلية بالصبر مثل أي فتاة في الثالثة عشرة من عمرها.

ـ أمي، أسرعي.

سحبت الحلمة الشفافة، اللامعة باللعاب، من فم أمها.

ـ هأنتِ ذا.

كان ذلك جيدًا بما يكفي.

وقفت روز على الدرج، والمياه الفاترة وصلت إلى قصبتي ساقيها. غابت هي وآرتشي في لعبتهما، المؤامرة الخاصة للطفولة. يأخذ الأطفال صف بعضهم البعض، المستقبل ضد الماضي.

غالبًا ما اعتقدت أماندا أن الشقيقين مثل الزوجين اللذين مرت على زواجهما مدة طويلة، كل تلك الجدالات الموجزة. استمر هذا في الطفولة فحسب. لم يكن لديها الكثير لتفعله مع أخويها بخلاف الرسائل الإلكترونية شديدة الطول من شقيقها الأكبر برايان، والرسائل النصية النادرة ذات الأخطاء الإملائية من شقيقها الأصغر جيسون.

ـ كم مضى على رحيله؟

فحصت أماندا هاتفها. على الأقل كانت الساعة تعمل.

ـ عشرون دقيقة.

نظر جي إتش إلى ساعة يده. كانت تلك المدة اللازمة للوصول إلى البلدة، أطول إذا قدت ببطء، كرجل ربما لا يعرف المكان.

ـ سيعود قريبًا.

ـ هل يجب أن أعد الغداء؟

لم تكن أماندا جائعة بقدر ما كانت ضجرة.

ـ يمكنني المساعدة.

كانت روث واقفة على قدميها بالفعل. من الصعب حتى بالنسبة إليها تمييز ما إذا أرادت ذلك أو شعرت أنها مضطرة له. أحبت الطهي بالفعل، لكن هل كان ذلك لأن العرف أجبرها على دخول المطبخ حتى تعلمت الاستمتاع بالوقت الذي تقضيه هناك؟

ـ كلما زاد العدد زاد المرح.

لم ترغب أماندا في رفقة المرأة، لكن ربما سيصرفها ذلك عن التفكير في زوجها.

كان الجو أكثر برودة في الداخل، على الرغم من أن روث ضبطت منظم الحرارة كي لا يكون الجو شديد البرودة. شعرت أن ذلك كان إسرافًا.

ـ لا داعي لشعوركِ بالقلق، كما تعلمين.

كان هذا لطفًا، كما فهمت أماندا. كان كلاي قد اشترى جبنًا أبيض وشوكولاتة. كانت هناك شطائر، المفضلة لدى روز خصوصًا، وصفة اعتاد صنعها في يوم رأس السنة لسبب ما، تبدأ التقاليد فحسب، بطريقة ما، ثم تنتهي.

ـ سأحذركِ، هذه الوصفة تبدو غريبة، لكنها طيبة جدًّا.

وضعت المكونات.

كانت روث هي التي غمرت طائر عيد الشكر في الماء المالح. هي التي

مددت اللحم المقدد على شبكة وتركته يتحمص في الفرن. كانت هي التي استخدمت سكينًا لفصل اللُّب عن أغشية الجريب فروت. كان هذا مجالها.

ـ شوكولاتة؟

نظرت أماندا إلى الأشياء المصفوفة على نضد المطبخ، كل شريحة شوكولاتة منفردة جميلة على نحو ما، أصابع الجبن الطرية رائعة.

ـ مالح وحلو، يوجد نوع من السحر هناك.

ـ تجاذُب الأضداد، كما أظن.

هل كانت روث تتودد؟ ربما كانت كذلك. هل كانت وأماندا ضدين حقًّا؟ جمعهما ظرف عشوائي، لكن ألم يكن كل شيء ظرفًا عشوائيًّا في النهاية؟ قطعت الريحان.

ملأت روث دلوًا بالثلج. أخرجت مناشف قماشية، طوتها على شكل مربعات دقيقة، ووضعتها على صينية.

شمت أماندا أطراف أصابعها العطرة.

ـ هل أنتِ البستانية؟

ـ لن تمسكي بجورج يؤدي أيًّا من تلك الأمور الخاصة بكبار السن.

اعتقدت روث أن ميولها الأكثر ملاءمة للجدات ـ الكلمات المتقاطعة، والبستنة، والكتاب الورقي السمين عن الأحداث التاريخية لعائلة «تيودور» ـ لم تبدُ دليلًا على أي شيء. كانت مجرد امرأة تحب ما تحب. لم تكن كبيرة في السن.

حاولت أماندا أن تخمن.

ـ إنه يعمل بالقانون؟ لا، التمويل. لا، القانون.

اعتقدت أن الساعة الثمينة والشعر الأشهب المشذب بأناقة والنظارات الرائعة والأحذية الفاخرة فسرتِ أي نوع من الرجال كان جي إتش.

ـ أسهم رأس المال الخاص. هل يجب أن أقطع هذا الجبن؟

أوضحت روث هذا الأمر من قبل عدة مرات. ما زال لا يعني شيئًا

ذا بال بالنسبة إليها. وإن يكن؟ لم يفهم جي إتش تفاصيل ما كانت تفعله في «دالتون». ربما لا أحد، مهما كان واقعًا في الحب، يهتم بدقائق حياة شخص آخر.

ـ إذن، التمويل، بإمكانكِ قول هذا. لكن ليس لحساب بنك كبير. مؤسسة صغيرة، تشغيل متجر صغير.

كانت هذه طريقتها في تفسير الأمر للناس الذين كانوا متحيرين بقدر تحيرها.

ـ قطعيها إلى شرائح رفيعة فحسب، لاستخدامها لعمل شطيرة مشوية.

كان لديهم ما يكفي لأربعة لكن ليس بالضبط ما يكفي لستة. كانت ستصنع واحدة وتتركها جانبًا لكلاي. لغير ما سبب سوى التفكير فيه، ترقرقت الدموع في عينيها. أرادت معرفة الأخبار التي سيُحضرها، لكنها أيضًا أرادت أن يعود.

ـ على الأقل يمتع الطفلان نفسيهما.

لم تكن روث تريد هؤلاء الناس هنا، لكنها لم تستطِع منع نفسها من الشعور بشيء من الصلة البشرية بهم. قلقت روث بشأن العالم، لكنها شعرت بشيء أقرب للمقاومة عند الاهتمام بالناس الآخرين. ربما كان هذا كل ما لديهم.

ذوَّبت أماندا الزبد في المقلاة السوداء.

ـ ها هي ذي.

كاد آرتشي أن يصبح رجلًا. منذ قرن مضى، كان ليُرسَل إلى خنادق أوروبا. هل عليها أن تخبره بما يحدث، وماذا كانت ستقول إذا فعلت؟

ـ وجدت صلصة الغموس بالبصل. ربما نتناولها كوجبة خفيفة؟

أخرجت روث سلطانية وملعقة كبيرة، واشتغلتا في صمت.

لم تستطِع أماندا تحمل الصمت، وهكذا كسرته.

ـ ماذا في رأيكِ يحدث هناك؟

ـ سيعود زوجكِ قريبًا. سيكتشف شيئًا ما.

تذوقت روث صلصة الغموس بخنصرها، لفتة أنيقة. لم تُرِد أن تلعب ألعاب التخمين. شكت في أن أماندا لم تصدقها. لم تُرِد روث أن تشعر بالحرج.

أبعدت أماندا شطيرة انتهى إعدادها:

ـ يعتمد طفلاي على هاتفيهما ليخبراهما حالة الطقس، والوقت، وكل شيء عن العالم من حولهما، بل لم يعد بإمكانهما رؤية العالم إلَّا من خلال ذلك الموشور.

لكن حتى أماندا تفعل ذلك. كانت لتسخر من الإعلان التلفزيوني الذي بدا فيه أن زووي ديستشانل لا تعرف ما إذا كانت تمطر، لكنها كانت لتفعل الشيء نفسه تمامًا.

ـ من دون هواتفنا، يتبين أننا أساسًا منقطعون هنا.

ذلك ما كانت عليه الحال. كان الشعور هو الانسحاب. على متن الطائرات، أطفأت وضع الطائرة وبدأت في محاولة فحص بريدها الإلكتروني بمجرد سماع ذلك الرنين الذي يعني أنك كنت على ارتفاع أقل من عشرة آلاف قدم. كانت مضيفات الرحلة مقيدات بأحزمتهن ولم يتمكنَّ من التوبيخ. كانت تسحب الشاشة وتسحبها مرارًا، في انتظار تحقق الاتصال، في انتظار رؤية ما فاتها.

ـ ستصدقين الأمر حين يمكنكِ رؤيته على هاتفكِ.

لم تلُمها روث على ذلك. كل تلك السنوات من نقاش موضوعية الحقيقة فعلت شيئًا في أدمغة الجميع.

ـ نحن لا نعرف أي شيء فحسب. سأشعر بتحسن بمجرد أن نفعل. هل تعتقدين أن الأمر استغرق من كلاي وقتًا طويلًا؟

وضعت روث الملعقة المتسخة في الحوض.

ـ هناك فكرة قديمة، أنتِ عالقة في جزيرة مهجورة. أنتِ بعيدة عن

المجتمع والناس وربما عليكِ اختيار الكتب أو التسجيلات العشرة التي يمكنكِ أخذها معكِ. لجعل الأمر يبدو نوعًا ما كأنه جنة بدلًا من مأزق.

بدت لها الجزيرة المهجورة لطيفة، على الرغم من أن البحار كانت ترتفع، ربما ستختفي كل الجزر التي تشبه تلك الجزيرة.

ـ لكن ليست لديَّ عشرة كتب. إذا كان لدينا إنترنت، بإمكاني الدخول إلى حسابي وتنزيل جميع الكتب التي اشتريتها لجهاز «كيندل» الخاص بي، لكن ليس لدينا ذلك.

ما لم تقله: لدينا حمَّام السباحة، وهذه الشطائر المحشوة بالجبن الطري، والشوكولاتة، وعلى الرغم من أننا غرباء بالنسبة إلى بعضنا البعض، بالتأكيد، لدينا بعضنا البعض أيضًا.

١٨

أخرجت أماندا نبيذًا. فقد كانت إجازة. وأيضًا من باب مداواة الداء بالداء. حين تذمر الطفلان من أن الوقت ما زال مبكرًا لتناول الطعام، سمحت لهما أماندا بالتلاشي في لعبتهما المرحة، شاعرة بالارتياح. صبت النبيذ الوردي الشاحب في أقداح من «الأكريليك» وناولتها فيما بينهم، بشكل احتفالي، شبه ديني. كوى شخص ما معتنٍ وصبور المناديلَ القماشية. تساءلت إذا كانت روث.

ـ طفلاكِ مهذبان للغاية.

عَدَّ جي إتش هذا أعلى أشكال المدح.

ـ شكرًا لكِ.

لم تكن أماندا متأكدة من أن هذا كان توددًا، أو مجرد مجاملة، لكنها كانت مسرورة.

ـ لديكما ابنة؟

ـ مايا. إنها تدرِّس بطريقة «مونتيسوري» في ماساتشوستس.

ما زال جي إتش غير متيقن تمامًا من معنى ذلك، لكنه يحبها حبًّا جمًّا.

ـ إنها تدير المدرسة. لا تدرِّس فحسب. إنها مسؤولة عن العملية بأكملها.

قضمت روث جزرة صغيرة. شعرت بالخفة. ربما تذكَّر جزء منها قراءة أنه بمجرد دخول هؤلاء الأشخاص الذين يعانون من التشخيصات المميتة

فترة ارتياح، وهدوء، وصحة جيدة تقريبًا، بمجرد ثبوت ذلك. يبدأ شهر عسل. فاصل من البهجة.

ـ هذا رائع. اعتدنا على إرسال آرتشي إلى مدرسة «مونتيسوري» عندما كان صغيرًا. كان الأمر مدهشًا. خلع أحذيتهم وارتداء أحذيتهم المخصصة للداخل، غسل اليدين. قول صباح الخير مثل الزملاء في المكتب.

أحبت كيف أشار آرتشي إلى اللعب بـ«العمل». هؤلاء الصغار المتلعثمون يتمرنون من أجل سن الرشد برفع الخرزات الزجاجية بملعقة صغيرة، وامتصاص ما انسكب وقت الغداء بإسفنجة.

ـ يقولون إن ذلك مهم للتطور. مايا شديدة الشغف به. سيبدأ الأولاد هناك، يا إلهي، في غضون أسبوعين، على ما أعتقد.

كانت روث دفاعية.

ـ لا يمكن أن يكون الأمر بهذه السرعة!

عرف جي إتش أن كل قول مبتذل يتبين أنه صحيح، هذا ما يفعلون، يكبرون بسرعة جدًّا.

ـ سبتمبر.

قالتها روث بأمل. كانت أمها لتقحم الله في الأمر؛ إن شاء الله، رد فعل تلقائي مثل سحب نفَس. لم يحتقروا الأمر، لكنهم لم يتعلموا إخلاص تلك المرأة. ربما كانت على بصيرة بشيء ما. ربما كان من الحماقة افتراض أن أي شيء حدث من دون أن يشاء أي أحد ـ الله، بالتأكيد، لمَ لا يكون هو؟ ـ حدوثه.

لماذا فكرت أماندا في أغنية فرقة «الأرض والريح والنار»، أو لماذا بدت الفكرة عنصرية؟(*) لا، لم يكن بعض من أصدقائهم المقربين من السود.

(*) «الأرض والريح والنار» فرقة أمريكية اشتهرت في السبعينيات، جميع أفرادها من السود، وإحدى أشهر أغانيها بعنوان «سبتمبر». (المترجمة).

كان صديقهم بيتر متزوجًا من امرأة تُدعى ماريتكا، التي كانت أمها عارضة سوداء شهيرة في السبعينيات. كان جارهم في الطابق الأرضي أسود، لكنه أيضًا متحول جنسيًّا، أو غير ثنائي الجنس، أو... أشارت أماندا دائمًا إلى هذا الشخص بالاسم فقط درءًا للمشكلات: «جوردان، سعيدة جدًّا لرؤيتك، جوردان، كيف يمضي صيفك؟ جوردان، أصبح الجو حارًّا جدًّا في الخارج مؤخرًا».

ـ إن الأمر يمضي سريعًا بالفعل. دائمًا ما قال الأهالي الأكبر سنًّا لي حين كان آرتشي رضيعًا، وسأعتقد، حسنًا، لا أستطيع انتظار أن يمر هذا. لأنني كنت منهكة. لكنني أدرك الآن أنهم كانوا على حق.

كانت تثرثر.

ـ كنت على وشك أن أقول لك الكثير. سبقتني إلى ذلك. أتذكر مايا في هذا العمر.

كان جي إتش محزونًا، لكنه أيضًا كان قلقًا. كانا سيعيشان حياة طيبة، حياة طويلة، حياة سعيدة. كانت مايا وعائلتها الشيء الوحيد الذي كان يعادل ذلك، بالطبع، وكان هذا شيئًا مميزًا. على الأب أن يحمي، وأثناء قيادته للسيارة الليلة الماضية، فكر فيما قد يفعله من أجلها من لونج آيلاند البعيدة، وأدرك أنه لم يكن هناك الكثير. لكن مايا لم تكن الشخص الذي احتاج إلى مساعدة، بل هم. كانت مايا وولداها بخير.

تساءلت روث أي نسخة من الفتاة كانت في ذهن زوجها. لم تُرِد أن تسأل. كان الأمر شديد الخصوصية أمام هذه الغريبة. كان الوضع غريبًا بما يكفي إلى درجة أنهم كانوا جميعًا يجلسون هناك بملابس السباحة.

ـ لا بد أنه من الممتع أن تكونا جدَّيْن. بإمكانكما القيام بكل التدليل وليس عليكما الاستيقاظ طوال الليل أو توبيخهم بسبب التقارير المدرسية السيئة أو أي شيء آخر.

أدى والدا أماندا تلك المهام بلامبالاة. لم يكرها آرتشي وروز، لكنهما

لم يولعا بهما. كانا اثنين من سبعة أبناء عمومة، وتقاعد والدا أماندا في مدينة سانتافي، حيث رسم أبوها مناظر طبيعية فظيعة وتطوعت أمها في ملجأ للكلاب. كانا مصممين على الاستمتاع بحرية شيخوختهما في ذلك المكان الغريب حيث يستغرق غليان الماء وقتًا أطول.

ـ هذه الشطائر طيبة.

شكت روث أنها ستكون كذلك. كما أنها أرادت تغيير الموضوع. كانت الحقيقة، حرست مايا بيكيت وأوتو. اعتقدت أن والديها ضعيفان، أو محافظان، غير قادرين على فهم فلسفة الأمر، ما اتفقت عليه هي وكلارا. كانت روث ستأتي وهي تحمل أكياسًا من «بوك أوف وندر»، وكانت مايا ستنكب على فحصها مثل حاخام، باحثة عن خطاياها. كان الأمر حسن النية. لم يكن ارتيابها في والديها لكن في العالم الذي صنعاه، وربما كانت على حق. لم تستطِع روث مقاومة شراء أشياء رائعة لهما ـ قمصان قطنية صغيرة بنقشة المربعات، مثل التي تُلبسها لدب «تيدي» المحشو ـ وستحاول مايا إخفاء استخفافها. لا يهم، أرادت روث فقط أن تُسايَر، وأن تضم جسدي الولدين نظيفي الرائحة إلى جسدها. كان أمرًا رائعًا، كيف جعلها ذلك تشعر، أنها لا تُقهر.

اتفق جي إتش:

ـ إنها طيبة.

سمحت لنفسها بالقول:

ـ حسنًا، ندلل بعض الشيء، حين تُتاح لنا الفرصة.

هذا ما أرادته، الفرصة لرؤية عائلتها.

لم تعد أماندا تعتقد أنهما محتالان، لكن أكان هذا نذيرًا بالخرف، علامة التحذير الأولى، مثل المفاتيح التي تُترك في الثلاجة، أو الجوارب التي تُرتدى في حوض الاستحمام، أو الاعتقاد بأن ريجان ما زال رئيسًا؟ ألم تكن هذه كيفية حدوث الأمر؛ أولًا خيال، ثم جنون الارتياب، ثم «ألزهايمر»؟ شعرت

بالطريقة نفسها حيال والديها؛ بدت قدرتهما على الاختيار مثيرة للشبهة. لقد انتقلا إلى سانتافي بعد التزلج في نيومكسيكو مرة أو مرتين قبل عقد من الزمن، وبدا سرورهما يشبه الوهم قليلًا.

ـ هذا هو المقصد من كونك جَدًّا.

ـ جورج أسوأ مني...

ـ انتظري.

كانت أشد وقاحة مما قصدت. ومنحت الناس نظرة خجلى.

ـ أدركت للتوِّ. اسمك جورج واشنطن؟

لم يكن هناك شيء محدد يدعو للخجل في الأمر. لقد ظل يوضحه لأكثر من ستين سنة.

ـ اسمي جورج هرمان واشنطن.

ـ أنا آسفة. كانت هذه وقاحة مني.

تأثير النبيذ، ربما؟

ـ بدا الأمر مناسبًا نوعًا ما فحسب.

لم تستطِع تفسيره، لكن ربما كان غنيًّا عن البيان، يومًا ما ستكون هناك طرفة، في الوقت الذي جلست فيه بجانب حمَّام السباحة مع رجل أسود يُدعى جورج واشنطن بينما ذهب زوجها ليكتشف ما الخطب الذي أصاب العالم. تبادلوا قصصهم عن الكوارث في الليلة الماضية، وستكون هذه مجرد إحداها.

ـ لا داعي للاعتذار. جزء من السبب أنني قررت استخدام الأحرف الأولى في وقت مبكر من مسيرتي المهنية.

ـ إنه اسم جميل.

لم تشعر روث بالإهانة، فقط تعجبت من تلك الألفة التي تكلمت بها تلك المرأة معهما. عرفت أن هذا جعلها تبدو أكثر كامرأة عجوز، لكنها افتقدت إحساس اللياقة تجاه الأشياء.

ـ هو ذاك! اسم جميل. وأحرف أولى رائعة، كما أعتقد. يبدو جي إتش مثل رجل صناعة شهير، بارع في أعماله. سوف أأتمن شخصًا يسمى جي إتش على أموالي.

كانت أماندا تبالغ في التعويض الآن، لكنها أيضًا كانت ثملة قليلًا، النبيذ، الحر، الغرابة.

ـ يجب أن يعود كلاي قريبًا، ألا تعتقدان ذلك؟

نظرت إلى معصمها لكنها لم تكن ترتدي ساعة يدها.

١٩

مل الطفلان من استجمامهما. لأنهما أقل عددًا، اكتشف آرتشي وروز صلة ما، الطفلان اللذان عادا مرة أخرى إلى عمر الخمسة أعوام والعامين يتعاونان لتحقيق هدف غير معلن. غادرا حمَّام السباحة، تركا الكبار، وذهبا إلى العشب، الظل والراحة اللذين لم يتوفرا في حمَّام السباحة.

ـ لنذهب إلى داخل الغابة يا آرتشي.

فكرت فيما رأته. لم يبدُ الأمر منطقيًا، حتى بالنسبة إليها.

ـ رأيت شيئًا هذا الصباح. غزلانًا.

ـ إنهم في كل مكان، يا غبية. إنهم مثل السناجب أو الحمام. من يهتم؟!

لم تكن رهيبة، إنها أخته، وما زالت طفلة صغيرة، لذلك لم تستطِع منع نفسها من أن تكون غبية. هل كان بهذا الغباء في الثالثة عشرة من عمره؟

ـ لا. أعني... هيا.

نظرت روز من فوق كتفها إلى الكبار وهم يتناولون الغداء. ليس بوسعها قول «أرجوك» لأن التوسل سيضعف اهتمامه. كان عليها أن تجعل الأمر مغريًا. أرادت التظاهر بأنهما كانا يستكشفان، لكنهما كانا سيستكشفان بالفعل، لذا فلم تكن حتى لعبة.

ـ دعنا نرى ما يوجد هناك.

ـ لا يوجد شيء هناك.

مع ذلك، تساءل نوعًا ما عمَّا يوجد هناك. رؤوس سهام هندية؟ مال؟ غرباء؟ وجد، في الغابات المتنوعة التي زارها في حياته، بعض الأشياء التافهة الغريبة. ثلاث صفحات ممزقة من مجلة قذرة؛ سيدة ذات شعر مصفف على نمط قديم، وبشرة سمراء، وثديين هائلين، تمد جسدها في نتوءات وتثنيه بهذه الطريقة أو تلك. ورقة مالية من فئة الدولار. برطمان مملوء بسائل غير صافٍ تمامًا كان متأكدًا من أنه بول، لكن لم يعرف كيف يثبت ذلك لأنه لم يُرِد أن يفتح برطمانًا قد يحتوي على بول شخص آخر. كانت هناك أمور غامضة في العالم، هذا كل ما كانت روزي تقوله، وهو يعرف ذلك لكنه لم يُرِد أن يسمعه منها.

ـ ماذا لو كان هناك؟ ربما يوجد منزل هناك؟

كانت تتخيل شيئًا غير واضح بعد حتى بالنسبة إليها.

ـ لا توجد منازل أخرى في أي مكان بالقرب من هنا.

قالها آرتشي كما لو كان لا يصدق الأمر، أو كأنه متحسر على ذلك. فهم. إنه ضجر أيضًا.

ـ هناك تلك المزرعة. رأيناهم يبيعون البيض، أتذكر؟

ربما لدى هؤلاء المزارعين أطفال، ربما لديهم ابنة، ربما اسمها كايلا أو تشيلسي أو ماديسون وربما لديها هاتفها الخاص، وربما لديها مال، أو فكرة لشيء سيكون من الممتع فعله. ربما ستدعوهما إلى الداخل، وسيكون الجو مكيفًا، وسيلعبون بألعاب الفيديو، ويأكلون «فريتوس»، ويشربون «دايت كولا» مع الثلج.

كانت روز تشعر بالحر والحكة. أرادت الذهاب إلى داخل الغابة مع أخيها، الذهاب إلى حيث لا يستطيع الكبار رؤيتهما، ومضايقتهما. تخيلت دليلًا هناك. آثار أقدام. مسارات. إثباتًا.

استرد آرتشي عصا من الأرض، وقذف بها نحو الأشجار مثل الرمح. يحب الأطفال العصي بالطريقة التي تحبها بها الكلاب. خذ طفلًا إلى المنتزه، وسيلتقط العصي. نوع ما من رد فعل الحيوانات.

ـ هناك أرجوحة. رائع.

تدلت من شجرة طويلة. كانت هناك سقيفة صغيرة ربما كانت منزلًا للعب أو ممتلئة بالأدوات. بعد ذلك، انحسر العشب حتى لم يعد هناك سوى التراب والأشجار. هرولت روز باتجاهها ثم جلست. ألقى آرتشي كلمة بذيئة وشعر كأنه رجل، يتذمر من العقد والصخور تحت قدميه.

ـ سحقًا.

ـ ماذا يوجد في هذا الشيء؟

شيء ما بشأن السقيفة جعل روز حذرة. يمكن لأي شيء أن يكون بداخلها. بدأت روز بالتظاهر، أو أنها لم تتوقف عن التظاهر.

ـ لنفتحه ونرَ.

بدا آرتشي واثقًا لكنه شارك أخته سرًّا في الشعور بالرهبة من هذا الشيء. ربما كان بيت اللعب الخاص بطفل ميت الآن. من الممكن أن يوجد شخص بداخله، ينتظرهما ليفتحا الباب. كان شيئًا من أحد الأفلام، أو نوعًا من القصص التي لم يرغبا في أن تكون قصص حياتيهما مثلها.

كان الكبار خلف السياج، كان الأمر كما لو أنهم كفوا عن الوجود. قفزت روز من الأرجوحة وخطت نحو الهيكل الصغير. مزقت شبكة عنكبوت غير مرئية حتى أصبحت كذلك، شعرت بتلك القشعريرة الرهيبة التي تشعر بها في تلك اللحظة. عرف الجسد ما كان يفعله. كان يخيفك لتبتعد في حال ما إذا كان العنكبوت سامًّا. منعت نفسها من الصراخ؛ ليس لأخيها صبر على مثل تلك الأمور الخاصة بالبنات. انبعث صوت بالطريقة نفسها، نوع من الاشمئزاز المختنق.

ـ ماذا؟

نظر آرتشي إلى أخته، ببعض القلق المختلط بالازدراء. ذلك، أيضًا، كان رد فعل حيوانيًّا، رد فعل الأخ الأكبر.

ـ شبكة عنكبوت.

فكرت في كتاب «شبكة شارلوت» للأطفال. تعرف أن العناكب ليست لها شخصيات وأصوات بشرية، لكنها قلقة بشأن العنكبوت الذي قد تكون أزاحته من مكانه، ولم تستطِع إلّا أن تتخيله أنثى عنكبوت كريمة. لم تكن تعرف أنها تضيف هالة من الأنوثة إلى الكرم، جزءًا من مغزى تلك القصة المحددة. لم تعرف أن أمها احتجت على ذلك، حين قرأتها بصوت عالٍ قبل سنوات قليلة، حين كانا صغيرين بما يكفي ليُقرأ لهما ليلًا.

تحرك الصبي والفتاة معًا خلال العشب السميك، جسداهما شبه عاريين ووورديان بفعل الشمس، مقشعران من الهواء الأكثر برودة تحت الأغصان، بشرتاهما مقشعرتان بفعل حرير العنكبوت والخوف الذي كان أفضل جزء في الاستكشاف. عند رؤيتهما من بعيد، بدوَا مثلما تبدو الظباء حين تراها مبكرًا في الصباح، صغيرة، ومترددة، ومتعثرة، لكنها ظريفة فقط لكونها ما هي عليه.

فكر آرتشي ـ لكنه لم يقل ـ جبانة. كان رد فعل لإدراك الضعف، لكنها كانت أخته الصغيرة.

ـ افتحيه.

ترددت روز ثم كفت عن التردد. عليها أن تكون شجاعة، كانت هذه هي اللعبة. كان هناك نوع من السن الجانبية تضغط عليها بإبهامك، فوق مقبض أمسكت به لكن برفق. كان المعدن متأثرًا بالطقس، وشعرت بالشحنة الكهربائية عند لمسه. سحبت روز الباب لفتحه، مما تسبب في صرير عالٍ. في الداخل لا شيء، أوراق جافة مبعثرة في الركن كادت تبدو متعمدة. كان قلب روز يخفق إلى درجة أنها تمكنت من سماعه.

ـ أوه.

كانت محبطة بعض الشيء، على الرغم من أنه لم يكن بإمكانها قول ما الذي كانت تتوقعه في الداخل.

أقحم آرتشي رأسه في المبنى، لكنه لم يدخله.

ـ هذا المكان الغبي اللعين ممل جدًّا.

ـ نعم.

حفرت روز في الأرض بظفر إصبع قدم طُلي بالأزرق الشاحب قبل أسابيع.

فهم آرتشي الآن أنها كانت لعبة ارتجالية.

ـ ربما كان هذا المكان الذي ينام فيه فحسب. حيث يختبئ ليلًا.

خائفة على الفور:

ـ من؟

هز كتفيه في عدم اكتراث:

ـ أيًّا كان من ترك هذا الانطباع.

أشار آرتشي إلى الأوراق، التي كانت رطبة ذات يوم لكنها جفت لتتحول إلى سطح سميك، محدد.

ـ أعني، إذا كنتِ في هذه الغابة وليس لديكِ مكان للذهاب إليه ولا مكان للنوم، ماذا ستفعلين؟

لم تُرِد التفكير في الأمر.

ـ ماذا تعني؟

ـ ربما يمكنكِ مثلًا... تسلق شجرة، والنوم هناك في الأعلى. لكن أي مكان على الأرض سيكون... غير آمن. ثعابين وأشياء مقرفة من هذا القبيل. حيوانات ضارية. أربعة جدران! وسقف. مكان فاخر أساسًا. وهناك هذه النافذة...

أشار آرتشي إلى اللوح القذر الذي قُطع في جانب السقيفة، الذي لم يلاحظاه حتى فتحاها.

ـ نعم، أعتقد ذلك.

بالتأكيد لن تريد النوم في الخارج. لم يمكنها تخيل النوم على أغصان شجرة. لم تعتقد حتى أنه بإمكانها تسلق شجرة. لقد تسلقا الصخور في

مخيم «بارك سلوب داي كامب» الصيفي قبل عدة أعوام. كانت مربوطة عند خصرها، ارتدت خوذة وواقيات للركبة، لكنها ظلت ترفض التسلق إلى أبعد من منتصف الطريق إلى أعلى الجدار، معلقة هناك وهي تصرخ حتى تعامَل مساعدها دارنيل مع الحبل لإعادتها إلى الأسفل.

سكت آرتشي على نحو ذي مغزى:

ـ ... وهكذا يمكنه أن يرى.

ـ يرى ماذا؟

أحنى آرتشي رأسه ليدخل السقيفة، ونظر من خلال النافذة.

ـ ما بداخل المنزل، بالطبع. انظري بنفسكِ. هناك زاوية رؤية مثالية.

خطت روز إلى الأمام، نافرة قليلًا من القذارة العارية أسفل قدميها، لم يكن عليها الانحناء، لم تكن طويلة كأخيها، لكنها فعلت، ووضعت يدها على ساعده لتدعمها. بإمكانها، في الحقيقة، رؤية المنزل من ذلك الموقع المتميز.

تابع قائلًا:

ـ أليست تلك هي الغرفة التي تنامين فيها؟ يا للروعة. صوبي لي إذا كنت مخطئًا. لكنني متأكد تمامًا أنها هي. فقط تخيلي، حين يحل الظلام هنا ولكن المنزل مضاء بالكامل. مصباح منضدتكِ الجانبية متوهج، وأنتِ تقرئين، هادئة ومرتاحة تحت الأغطية. بإمكانه متابعة هذا الضوء ليصل إليكِ مباشرة. أراهن أن بإمكانكِ الرؤية من خلال النوافذ مباشرة من دون الاضطرار للوقوف على أطراف أصابعكِ.

سحبت جسدها إلى الخلف، صادمة رأسها في العتبة.

ـ اخرس يا آرتشي.

كبت ضحكة.

ـ اخرس وحسب.

عقدت ذراعيها على صدرها.

ـ اسمع. هذا الصباح رأيت غزلانًا. ليس غزالًا. كثيرًا من الغزلان. مائة. ربما أكثر. هنا تمامًا. كان الأمر غريبًا جدًّا. هل يتجولون في مجموعات كبيرة كتلك؟

سار آرتشي إلى الشجرة التي كان بيت اللعب الصغير يعشش في ظلها. مد يده إلى أعلى وقفز بخفة، وأمسك بأدنى الفروع، ورفع ركبتيه إلى صدره، وتأرجح، حيوانًا وشقيًا. سقط على الأرض بصوت مكتوم. بصق في التراب.

ـ لا أعرف أي شيء عن الغزلان اللعينة.

ذاب جسداهما، بلون الخوخ، مزغبين، لزجين، في أوراق الشجر. لم يكن من الممكن رؤيتهما، وسماعهما، والتجسس عليهما، أثناء قيامهما بالتحقيق.

أرادا حدوث شيء ما، لكن شيئًا ما كان يحدث. لم يعرفاه، ولم يشملهما، ليس حقًّا. سيشملهما، بالطبع، انتمى العالم إلى الشباب. كانا طفلين في الغابة، وإذا كانت الحكاية ستُصدَّق، فسيموتان، ستصحب الطيور جسديهما، ربما ترافق روحيهما إلى الجنة. اعتمد الأمر على النسخة التي عرفتها من القصة. الظلام الذي خيم على مانهاتن، ذلك الشيء الملموس، يمكن تفسيره. لكن ما وراء الظلام كان كل شيء آخر، وكان هذا أشد إبهامًا، من الصعب التمسك به مثل حرير العنكبوت، هناك لكنه ليس هناك، في كل مكان حولهما. سارا إلى أبعد داخل الغابة.

٢٠

مرت أربع عشرة دقيقة منذ غادر المنزل. تذكر أنه فحص الشاشة حين شغل السيارة. ربما كانت ست عشرة. ربما أخطأ في التذكر. ربما كان أقل من ذلك! ثم توقف عن تدخين تلك السيجارة، التي كان يقول عادة إنها استغرقت سبع دقائق لكنها استغرقت ما يقرب من أربع. وهكذا كان كلاي يقود سيارته لعشر دقائق، وهو ما لم يكن وقتًا طويلًا حقًّا، والمقصود أنه لا يمكن أن يكون تائهًا حقًّا. طلب من نفسه الهدوء، ثم أوقف السيارة في ممر سيارات مزارع «ماكينون» ليدخن سيجارة. بإمكانه، بالطبع، الاستمرار في القيادة، إلى منزل المزرعة أو أي مبنى آخر حيث سيوجد الناس، لكن هذا سيعني أنه شعر بالهلع حقًّا، وهو ما لم يكن حقيقيًّا. لذا دخن وحاول أن يجد الاسترخاء المتأصل في الفعل، ثم سحق السيجارة ليطفئها قبل أن تنتهي تمامًا، نافد الصبر. لم يتمكن من التذكر، حين قادوا السيارة إلى المنزل في اليوم الأول، إذ كانت سيارتهم هي السيارة الوحيدة. بدا أن ذلك اليوم كان منذ أسابيع.

أغلق الباب بقوة أكبر مما قصد، على الرغم من أنها لم تكن صفقة عنيفة بالضبط. كان الصوت عاليًا بما يكفي ليؤكد الهدوء العام. قال لنفسه إن هذا كان أمرًا طبيعيًّا، وكان كذلك. كان ليبدو مسالمًا إذا كان قد أُعد لإيجاد السلام. بدا الأمر مزعجًا في أفضل الأحوال ومهدِّدًا في أسوئها. الرموز لا تعني أي شيء،

أنت تنسب إليها المعنى، معتمدًا على ما تحتاجه بشدة. مضغ كلاي علكة ثم شغل السيارة. انعطف يسارًا خارج طريق الوصول إلى المزرعة وقاد ببطء، ملاحظًا كل منعطف ممكن عن اليمين. كان هناك واحد، ثم آخر، ثم في النهاية، آخر، لكن لم يبدُ أحدها مألوفًا، ولم يكن أيٌّ منها مجاورًا لكشك لبيع البيض. كانت هناك لافتة كُتب عليها «ذرة» فحسب، لكن لم يبدُ هذا دالًّا على أي شيء مطلقًا، ولا بد أنها كانت قديمة.

فكر في الاستعداد الذهني والفعلي الذي بذلاه لإعداد آرتشي لركوب قطار الأنفاق بمفرده. الطريقة التي أصرًا بها على أن يحفظ الصبي رقمَي هاتفيهما، في حال إذا فُقد هاتفه أو تعطل، الخطة التي اتفقا عليها إذا وجد نفسه في قطار غُير مساره للاتجاه إلى جزء من المدينة لم يذهب إليه قَطُّ. الآن يستقل قطار الأنفاق طيلة الوقت. نادرًا ما فكر كلاي في الأمر. ربما هذه هي الطريقة التي نجح بها الأمر. أنت تعدُّ طفلك للنوم خلال الليل أو استخدام شوكة أو التبول في المرحاض أو قول «من فضلك» أو أكل البروكلي أو احترام الكبار، ثم يكون الطفل مستعدًّا. هذه هي نهاية الأمر. لم يعرف لماذا كان يفكر في آرتشي، وهز رأسه كما لو كان يصفيه مما يشغله. عليه أن ينعطف ويأخذ واحدًا من المنعطفات الثلاثة، الأربعة، الخمسة التي مر بها، وتحديد إلى أين تؤدي، ومعرفة ما إذا كانت تؤدي إلى الطريق الصحيح. يجب أن يكون أحدها. عليه فقط أن يكون منهجيًّا. سيتتبع طريق العودة إلى المنزل، ثم يبدأ مرة أخرى، أشد حذرًا، أكثر انتباهًا، ويتخذ طريقه إلى البلدة، حيث نوى طوال الوقت أن ينتهي به الأمر. حقًّا أراد هذه الكولا الآن. آلمه رأسه من جراء نقص الكافيين.

أُفسدت إجازتهم. أُبطلت التعويذة. حقًّا، ما يجب أن يفعله هو العودة إلى المنزل وجعل الطفلين يحزمان أغراضهما. سيعودون إلى المدينة قبل العشاء. بإمكانهم التبذير في ذلك المطعم الفرنسي على المحيط الأطلنطي، وطلب الأنشوجة المقلية، وشرائح اللحم، و«مارتيني». كان كلاي حاسمًا

فحسب بعد إدراك الحقيقة. والآن كان... حسنًا، كان سيقول إنه عائد أدراجه، ليس تائهًا. شعر برغبة قوية على نحو غريب في رؤية طفليه.

دخل في أول شارع على اليسار، وقاد السيارة أمتارًا قليلة قبل أن يفهم أن هذا لم يكن الطريق، فهو يرتفع صعودًا، وهو يعرف أن الطريق كان مستويًا. استدار بالسيارة وعاد إلى الطريق الرئيسي، يبطئ بالكاد، عالمًا أنه لا توجد حركة مرور في كلا الاتجاهين. دخل في الشارع الثاني، وبدا أن هذا هو الطريق. واصل القيادة، ثم انعطف يمينًا، لأنه تمكن من ذلك. ربما كان هذا هو، وسيكون كوخ البيض المطلي في أول الطريق مباشرة. بدا كل شيء مألوفًا لأن الأشجار والعشب يبدون دائمًا بالشكل الذي تتوقعه فحسب.

انعطف بالسيارة مرة أخرى، عاد إلى الطريق الذي انعطف إليه من الطريق الرئيسي، وهناك، عبر ذلك الطريق الرئيسي، رأى امرأة. كانت ترتدي قميص «بولو» أبيض اللون وبنطالًا كاكي اللون. على بعض النساء كانت ستبدو ملابس لوقت الفراغ، لكن على هذه المرأة، بوجهها العريض، وهيئة السكان الأصليين (دم قديم، كرامة خالدة) بدا مثل زي موحد للعمل. رأته المرأة، رفعت يدها، لوحت له، أشارت إليه، دعته. قاد كلاي في الطريق، بشكل أبطأ الآن، وانزلق إلى وضع التوقف. فتح نافذة الكرسي المجاور وابتسم للمرأة في الخارج، بالطريقة التي تبتسم بها للكلاب كي لا تشي بخوفك منهم.

ـ مرحبًا بك!

لم يكن متأكدًا مما يجب عليه قوله. هل يعترف بأنه تائه؟

ـ مرحبًا.

نظرت إليه ثم بدأت في التحدث، بسرعة كبيرة، بالإسبانية.

ـ أنا آسف.

هز كتفيه. بدا، أنه يكره الاعتراف حتى في أفكاره الخاصة، أنها رطانة. لم يكن يتحدث أي لغات أخرى. لم يحب كلاي حتى محاولة الأمر. جعله ذلك يشعر أنه أحمق، أو طفل.

واصلت المرأة. تدفقت الكلمات منها. بالكاد أخذت نفسًا. كان لديها شيء عاجل لتقوله، وربما نسيت ما كان لديها من الإنجليزية؛ «مرحبًا» و«شكرًا لك» و«لا بأس» و«ويندكس» و«هاتف» و«فينمو» وأيام الأسبوع. تكلمت. واصلت الكلام.

ـ أنا آسف.

هز كتفيه مرة أخرى. لم يفهم، بالطبع. لكن ربما استوعب. أوه، تلك كانت كلمة: «كومبريندِه». يقولونها في الأفلام. لا يمكنك العيش في هذا البلد من دون أن تعرف شيئًا من الإسبانية. إذا كان لديه وقت للتفكير في الأمر، وإذا أجبر نفسه على الهدوء، لكان بإمكانه التواصل مع هذه المرأة. لكنها كانت مذعورة، وكانت تصيبه بالذعر. كان تائهًا ويريد عائلته. أراد شريحة اللحم في ذلك المطعم على «أتلانتيك أفينيو».

ـ لا أتحدث الإسبانية.

قالت المزيد. من هنا وهناك. سمع «بيرة» لكنها قالت «غزلان»، يتشابه صوت الكلمتين في كلتا اللغتين. قالت «هاتف»، لكنه لم يفهم. قالت «كهرباء»، لكنه لم يسمع. ترقرقت الدموع في زاويتَي عينيها الصغيرتين. كانت قصيرة القامة، ذات نمش، عريضة. كان من الممكن أن تكون في الرابعة عشرة أو الأربعين. كان أنفها يسيل. كانت تنتحب. تحدثت بصوت أعلى، أسرعت، كانت غير دقيقة، ربما خرجت من الإسبانية بالكلية إلى لهجة ما، شيء ما زال أشد قِدمًا، اللغة الخاصة بحضارات ماتت منذ زمن، أكوام من ركام في الأدغال. اكتشف قومها الذرة، والتبغ، والشوكولاتة. اخترع قومها علم الفلك، واللغة، والتجارة. ثم كفوا عن الوجود. الآن يقشر نسلهم الذرة التي كانوا أول من عرفها، وينظفون السجاد بالمكانس الكهربائية، ويروون أحواض الزينة المزروعة باللافندر بجانب حمَّامات السباحة في القصور في «هامبتونز» التي تظل من دون استخدام معظم العام. نسيت نفسها، حتى، وضعت يديها على سيارته، وهو ما كان كلاهما يعرف أنه انتهاك. تعلقت

بحافة زجاج النافذة التي برزت من الباب بارتفاع بوصتين. كانت يداها صغيرتين وبنيتين. ما زالت تتحدث من خلال الدموع، كانت تسأله سؤالًا، سؤال لم يتمكن من فهمه ولن يقدر على إجابته على أي حال.

ـ أنا آسف.

هز رأسه، لو كان هاتفه يعمل، لربما جرب ترجمة «جوجل». كان يمكنه حثها على ركوب السيارة، لكن كيف سيجعلها تفهم أنه كان تائهًا، ولا يسير على غير هدى لأنه قصد قتلها أو هدهدتها للنوم، كما يفعل آباء الضواحي مع أطفالهم الرضع؟ كان رجلًا مختلفًا ليستجيب بطريقة مختلفة، لكن كلاي كان الرجل الذي كان عليه، رجلًا غير قادر على توفير ما احتاجت إليه هذه المرأة، رجلًا خائفًا من إلحاحها، من خوفها، الذي لم يكن بحاجة إلى ترجمة. كانت خائفة. يجب أن يخاف. كان خائفًا.

ـ أنا آسف.

قالها لنفسه، أكثر من كونها لها. حررت النافذة حالما بدأ في لف الذراع لرفعها. قاد إلى مسافة أبعد لآخر الطريق، بسرعة، على الرغم من أنه نوى التحقق من جميع مسارات السيارات. احتاج لأن يكون بعيدًا عنها، أكثر حتى من احتياجه ليكون مع عائلته.

٢١

انتابك في الغابة ذلك الإحساس بشيء لا يمكنك رؤيته مهما حاولت. كانت هناك حشرات، وضفادع قاتمة اللون لا تستقر في مكان، فطر بأشكال خيالية بدت عفوية، رائحة العفن «المسكّرة»، رطوبة لا يمكن تفسيرها. شعرت بالصغر، كأحد الأشياء العديدة، والأقل أهمية منها أيضًا.

ربما، ربما، حدث شيء لهما. ربما كان هناك شيء يحدث لهما. لقرون، لم تكن هناك لغة تصف حقيقة أن الأورام تزهر داخل الرئتين، متطوعة جميلة كالنباتات المزهرة التي تتجذر في أماكن مستبعدة. عدم معرفتك بماذا تسميه لا يغير ماهيته، الموت غرقًا بينما يمتلئ صدرك بأكياس السوائل.

شعرت روز بعيون مسلطة عليها، لكنها تظاهرت بعد ذلك، في كثير من الأحيان، بأنها كانت مُراقبة. رأت نفسها في كاميرا الهاتف المحمول. كانت صغيرة ولم تفهم أن هذه كانت الكيفية التي رأى بها الجميع أنفسهم، مثل الشخصيات الرئيسية في قصة، بدلًا من واحد بين مليارات، أو رئتين تمتلئان ببطء بالماء المالح.

في الغابة، كانت الإضاءة مختلفة. تداخلت معها الأشجار. كانت الأشجار حية وشعرت وكأنها مخلوقات تولكين المهيبة. كانت الأشجار تراقب، وليس بحيادية. عرفت الأشجار ما حدث. تحدثت الأشجار فيما بينها. كانت حساسة لدويِّ القنابل الزلزالي على مسافة بعيدة. كانت الأشجار على بُعد

أميال ـ حيث بدأ المحيط في اختراق الأرض ـ تحتضر، على الرغم من أن الأمر سيستغرق سنوات حتى تُختزل إلى جذوع بيضاء. كان لدى الأشجار كل الوقت الذي لا يملكه بقيتنا. يمكن أن تفوقها أشجار «المانجروف» ذكاء، ترفع جذورها مثل تنانير سيدة من العصر الفيكتوري، وترشف الملح من الأرض، لذلك ربما ستكون بخير، مع التماسيح والجرذان والصراصير والثعابين. ربما ستكون أفضل حالًا من دوننا. في بعض الأحيان، يكون الانتحار راحة. كان هذا هو الاسم الصحيح لما كان يحدث. كان المرض في الأرض وفي الهواء وفي الماء تصميمًا ذكيًا. كان هناك تهديد في الغابة وتمكنت روز من الشعور به، وكان يمكن لطفل آخر أن يسميه الله. أيهم ما إذا كانت العاصفة قد تحولت بخطورة إلى شيء لم يوجد له اسم بعد؟ أيَهم إذا تداعت الشبكة الكهربائية مثل شيء مبني من «الليجو»؟ أيهم إذا لم يتحلل «الليجو» بيولوجيًا قَطُّ، أسيصمد أكثر من «نوتردام»، الأهرامات في الجيزة، الصبغة المطلية على الجدران في «لاسكو»؟ أيهم إذا أعلنت دولة ما مسؤوليتها عن انقطاع الكهرباء؟ أيَهم أنه أُدين كعمل من أعمال الحرب؟ أيَهم إذا كان هذا ذريعة للثأر المأمول منذ زمن؟ أيَهم إثبات أن ما فعله شخص مجهول بواسطة الأسلاك والشبكات كان وارد الحدوث حقًّا؟ أيَهم إذا ماتت امرأة مصابة بالربو تُسمى ديبورا بعد أن علقت لست ساعات في قطار «إف» المتوقف في نفق تحت نهر «هدسون»، وأن الأشخاص الآخرين في قطار الأنفاق ساروا أمام جثتها ولم يشعروا بشيء محدد؟ أيَهم أن الآلات المخصصة لدعم الحياة توقفت عن القيام بذلك العمل الشاق بعد تعطل المولدات الاحتياطية في ميامي، في أتلانتا، في شارلوت، في أنابوليس؟ أيَهم إذا كان حفيد الرئيس الأبدي الذي يعاني من السمنة المفرطة قد أرسل بالفعل قنبلة، أم أن المهم ببساطة أنه يستطيع، إذا أراد ذلك؟

لم يعرف الطفلان أن بعضًا من ذلك قد حدث. أنه في منزل عتيق في بلدة ساحلية تُسمى «بورت فيكتوري» كان طبيب بيطري فيتنامي يُسمى

بيتر ميلر يطفو على ماء راكد بعمق قدمين ووجهه إلى أسفل. أن شركة «دلتا» فقدت طائرة مسافرة بين دالاس ومينابولس أثناء اضطراب عمل نظام مراقبة الحركة الجوية. أن خط أنابيب كان يصب النفط الخام على الأرض في جزء غير مأهول من وايومينج. أن نجمًا تلفزيونيًّا كبيرًا صدمته سيارة عند تقاطع الشارعين التاسع والسبعين وأمستردام ومات لأن سيارات الإسعاف لم تتمكن من الوصول إلى أي مكان. لم يعرفا أن الصمت الذي بدا استجماميًّا للغاية في الريف بدا مهددًا للغاية في المدينة، التي كان الجو فيها حارًّا، وساكنًا، وهادئًا بشكل غير منطقي. لا شيء مهمٌّ بالنسبة إلى أطفال سوى أنفسهم، أو ربما كانت هذه هي الحالة البشرية.

حافيا الأقدام، وبرأسين حاسرين، وبصدرين عاريين، تحرك الطفلان بحذر، بأقدام تتقوس، وأصابع أقدام تنفر. سحجت الأغصان بشرتيهما، ولم يكن بإمكانك رؤية العلامات التي صنعتْها. لم يكن مرض الكوكب سرًّا قَطُّ، ولم تكن طبيعة الأمر كله موضع شك مطلقًا، وإذا تغير شيء (لقد تغير) فإن حقيقة أنهما لم يعرفاه بعد ليس لها تأثير على الأمر على الإطلاق. كان الأمر بداخلهما الآن، أيًّا كان. عمل العالم وفقًا للمنطق، لكن المنطق كان يتطور منذ فترة من الزمن، وكان عليهما الآن أن يضعا ذلك في الحسبان. أيًّا كان ما اعتقدا أنهما فهماه لم يكن خطأً لكن لا صلة له بالموضوع.

ـ آرتشي، انظر.

خرج النداء على شكل همسة. لقد خفضت صوتها، لتكلف الاحترام، كما تفعل داخل مكان مقدس. أشارت. سقف. مساحة خالية أصبحت مرجًا. منزل من الطوب، مثل المنزل الذي كانوا يقيمون فيه، وحمَّام سباحة، ومجموعة من الأراجيح الخشبية المتينة.

ـ منزل.

لم يكن حتى متهكمًا، فقط معلنًا. لم يتوقع آرتشي العثور على أي شيء. أخبرتهم روث أنه لا يوجد شيء هنا، لكنهم ذهبوا إلى أبعد مما ذهبت إليه

روث، وكانوا فضوليين بشأن العالم بطريقة لم تكن عليها روث. كان هذا اكتشافًا مُرضيًا. أشخاص آخرون. ترك آرتشي هاتفه للشحن في غرفة نومه. تمنى لو أنه أحضره، وحاول استعارة شبكة واي فاي الخاصة بهؤلاء الناس.

ـ هل يجب أن نذهب إلى هناك؟

كانت تفكر في مجموعة الأراجيح وأن الأطفال ربما أصبحوا أكبر من أن يلعبوا بها. كانت تفكر في أن عدم التحدث إلى الغرباء هو أمر يخص المدينة فقط.

ـ لا. هيا نرحل.

استدار آرتشي نحو ما اعتقد أنه الاتجاه الذي أتيا منه. لم يشعر بالقراد يخترق كاحله أكثر مما أمكنه الشعور بالدوران اليومي المتعمد للأرض. لم يشعر بأي شيء في الهواء لأنه بدا أنه لم يتغير.

ساراً، ليس ببطء، لكن ليس بتعجل. مر الوقت على نحو مختلف في الغابة. لم يعرفا كم من الوقت مضى على رحيلهما. لم يعرفا ما ينويان فعله. لم يعرفا سبب شعورهما بالرضا، مجرد التنزه في ظلال الأشجار والهواء والشمس والبق والعرق على الجلد. لم يعرفا أن أباهما كان يقود سيارته في ذلك الوقت، على بُعد أقل من نصف ميل، وأقل من ربع ميل، بالقرب منهما بما يكفي للركض إليه وإنقاذه. من مكان وقوفهما لم يتمكنا من سماع ضوضاء الطريق، ولم يفكرا في أبيهما، أو أمهما، أو أي أحد.

بينما كانا يسيران، بالكاد تحدث آرتشي وروز، وهما يتمايلان عبر الأوراق، ويرتجفان قليلًا. عرف جسداهما ما لا يعرفه عقلاهما. الأطفال والطاعنون في السن لديهم هذا القاسم المشترك. وُلدت، فأنت تفهم شيئًا عن العالم. لهذا السبب يبلِّغ الأطفال الصغار عن التحدث مع الأشباح ويثيرون أعصاب أهلهم. يبدأ الطاعنون في السن في تذكر الأمر، لكن نادرًا ما يستطيعون التعبير عنه، ولا أحد يستمع إلى الطاعنين في السن على أي حال.

لم يكونا خائفين، الطفلان، ليس حقًّا. كانا في سلام. كان التغيير ساريًا

عليهما. كان التغيير ساريًا على كل شيء. لا يهم ماذا أسميته. في الأعلى، تحركت الأوراق وتنهدت، وكان هناك صوتا آرتشي وروز يقولان شيئًا لبعضهما البعض، شيئًا من المستحيل تمييزه، شيئًا موجودًا بينهما فقط، لغة الشباب الخاصة. وباستثناء ذلك لم يكن هناك سوى حفيف الأشجار اللطيف التي تعدل أطرافها وهسيس الحشرات غير المرئية. ستسكن تلك الحشرات، قريبًا، بالطريقة التي تسكن بها الأشياء قبل العاصفة الممطرة الصيفية المفاجئة، لأن الحشرات كانت تعلم، وستثبِّت أجسادها بقوة على لحاء الأشجار المرقط وتنتظر ما سيأتي أيًّا كان.

٢٢

وهكذا فقد غادر منذ خمس وأربعين دقيقة. ما يعني أنه توقف للتدخين. ما يعني أنه توقف لشراء البقالة. أماندا: «ماذا، هل أنا قلقة؟».

وضعت روث سلطانية من الكرز، أسود أكثر من كونه أحمر، على الطاولة. كان له جو الاحتفال.

ـ شكرًا لكِ.

لم تعرف أماندا سبب شكرها للمرأة. ألم تنفق أحد عشر دولارًا على هذا الكرز؟

سحابة، واحدة من تلك السحب القطنية الناعمة، وكلها منحنيات مثل رسم طفل، مرت عبر السماء. كان التغيير حادًّا بما يكفي إلى درجة أن جي إتش ارتجف.

ـ بإمكاني تقريبًا تمضية برهة في حوض الاستحمام الساخن.

أخذت أماندا هذا على أنه دعوة. غادرت الطاولة، وغرقت في الزبد بجانب الرجل الغريب. جعلك الماء طافيًا، مما جعل الجلوس صعبًا. انحنت أماندا إلى الأمام لتنظر نحو الأشجار. لم يعد بوسعها رؤية الطفلين.

ـ إنهما بخير، كما أتوقع.

فهم جورج. يصبح لديك طفل فتصبح يقظًا إلى الأبد.

ـ لا يوجد هناك شيء سوى مزيد من الأشجار.

نظرت روث إلى الاثنين. جعلها النبيذ مع الغداء تشعر بالنعاس.

ـ قد أعد بعض القهوة بعد ذلك.

ـ سيكون ذلك لطيفًا، يا حبيبتي، شكرًا لكِ.

ابتسمت أماندا.

ـ هل يمكنني فعل أي شيء؟

مكتبة
t.me/t_pdf

ـ يمكنك الاسترخاء.

عادت روث إلى المنزل.

ـ حمّام السباحة. حوض الاستحمام الساخن. يكلفان ثروة من الكهرباء. سنركب ألواح الطاقة الشمسية. لم أكن أرغب في القيام بذلك خلال الموسم، عندما نستخدم المنزل. أنا أنتظر حتى سبتمبر، أكتوبر. أخبرني المقاول أنه يولد ما يكفي لبيع الكهرباء مرة أخرى إلى الشبكة. لا بد أن يفعل مزيد من الناس ذلك.

كان جي إتش قد بدأ تقريبًا بالاستمتاع بصحبة هذه المرأة. كان يحب أن يكون له جمهور.

ـ الطاقة النظيفة. يجب أن تنقذ الكوكب. يجب أن تكون قانونًا.

في بعض الأحيان، في السينما أو على الرصيف، كانت أماندا ترى مروِّجين لطاقة الرياح مع كتيبات وأزرار مجانية، لكن الأمر بدا دائمًا وكأنه عملية احتيال.

ـ كيف دخلت مجال عملك؟

مزيد من اللغو.

ـ كان لديَّ معلم في الكلية. كان هو الذي جعلني... أعني، لم أكن أعرف ما الذي يفعله الناس من أجل لقمة العيش. كانت والدتي تدير صالونًا لتصفيف الشعر.

كانت لهجته تعبر عن احترامه لعمل والدته. ماتت بسبب السرطان ـ

الكبد والمعدة والبنكرياس ـ ربما بسبب التعامل مع المواد الكيميائية التي تستخدمها النساء من أمثالها لجعل شعرهن محترمًا.

ـ ستيفن جونسون. رحل الآن، ولكن يا لها من حياة.

ـ أعتقد أن الأمر يشبه قدرتك على الاعتناء بالحياة النباتية. أو أن تكون جيدًا في حل مكعب «روبيك». يمكن لبعض الناس كسب المال، والبعض الآخر لا يمكنهم ذلك.

كان يعرف من كانت هي ومن كان كلاي.

كان هذا أحد الأمور التي يتحدث عنها جي إتش باستمرار.

ـ هذه هي الحكمة السائدة. عليك أن تسأل نفسك ما السبب. من يريدك أن تصدق أنه ليس من الممكن أن تصبح مرتاحًا على الأقل، إن لم تكن غنيًّا؟ إنها مهارة. يمكنك أن تتعلم. الأمر يتعلق فقط بالمعلومات. عليك أن تقرأ جريدة. عليك أن تستمع إلى ما يحدث في العالم.

بالطبع، كان يعتقد أنه يجب أن تكون ذكيًّا، لكنه اعتبر ذلك أمرًا مسلَّمًا به.

ـ أنا أقرأ الجريدة.

إنها امرأة تمتلك كثيرًا من الخبرات ولا يدهشها شيء، كما كانت تعتقد. أرادت أن تقول شيئًا عن عملها، لكن لم يكن هناك الكثير لتقوله.

ـ ما عليك سوى فهم الأنماط التي تحكم العالم. هل سمعت يومًا عن ذلك الرجل الذي تغلب على برنامج الألعاب «برِس يور لَكْ»؟

نظر جي إتش إليها من فوق حواف نظارته «الريبان». أراد جريدة الآن. فكر في الأرقام. تساءل ما الذي تحرك.

ـ برنامج «وامي»؟ لا «وامي»؟

ـ كل ما فعله هو الانتباه وتعلُّم أن تغيير مكان ظهور «وامي» لم يكن عشوائيًّا على الإطلاق. كان يظهر دائمًا بتسلسل معين. كانت هذه المعلومات موجودة هناك فحسب، ولكن لم يكلف أحد نفسه عناء البحث عنها.

لم تكن لدى الأغنياء سلطة أخلاقية. لقد عرفوا مكان «وامي» فحسب. قالت:

ـ هذا مثير للاهتمام.

ما يعني أنها لم تجده كذلك على الإطلاق. أين الطفلان؟

ـ أنا مسرورة لأنني بعيدة عن عملي في الوقت الحالي. لا تفهمني خطأ؛ إنه أمر مثير للاهتمام، بالنسبة إليَّ، على أي حال، مساعدة الناس على سرد قصص شركاتهم، ومساعدتهم في العثور على المستهلكين، وإقامة تلك الصلة. لكن ذلك يتطلب قدرًا كبيرًا من الدبلوماسية. يصبح الأمر متعبًا.

تابع جورج:

ـ كان معلمي من أوائل الرجال السود في إحدى المؤسسات في «وول ستريت». تناولنا الغداء بعد ظهر أحد الأيام... الغداء! كنت في الحادية والعشرين.

كيف يوصل لها أنه لم يسبق له قَطُّ التفكير في تناول الغداء في مطعم، ناهيك عن أن يكون مثل ذلك المطعم، مغطى بالسجاد، وبالمرايا، منافض سجائر نحاسية وفتيات يرتدين الزي الرسمي ذوات شعور مصففة على شكل ذيل حصان؟ لقد ظهر من دون ربطة عنق، وأخذه ستيفن جونسون إلى «بلومينديلز»، واشترى له أربعًا من تصميم «رالف لورين». لم يعرف جي إتش كيف يرتديها؛ كانت ربطات العنق التي يرتديها في عيد الميلاد تُثبت بمشبك.

ـ دائمًا ما اعتقدت أن النساء بحاجة إلى التكاتف معًا في صفوف القوة العاملة. أو ربما في كل مكان. لم أكن لأصبح في أي مكان من دون معلماتي.

لم يكن هذا صحيحًا تمامًا. عملت أماندا تحت رئاسة النساء، لكنها فضَّلت سرًّا العمل مع الرجال. كانت دوافعهم بسيطة للغاية.

ـ قال لي: «كلنا آلات». هذا ما في الأمر. عليك أن تختار طبيعة الآلة التي تُعبر عنك. نحن جميعًا آلات، لكن البعض منا يتمتع بالذكاء الكافي إلى الدرجة التي تمكننا من تحديد برامجنا.

ما قاله: يعتقد الحمقى أن التمرد ممكن. رأس المال يحدد كل شيء. يمكنك إما أن تتكيف مع ذلك أو تعتقد أنك ترفضه. لكن هذا الاعتقاد الأخير، كما قال ستيفن جونسون، كان وهمًا. إما أنك ستصبح ثريًا أو لا. ليس عليك سوى الاختيار. كان هو وستيفن جونسون من النوع نفسه من الأشخاص. كان هو من هو ـ البطريرك، القادر على التفكير، الزوج، جامع الساعات الفاخرة، المسافر في الدرجة الأولى ـ لأنه اختار أن يكون كذلك.

كانت أماندا تائهة. كانا يتحدثان عن بعضهما البعض، وليس مع بعضهما البعض.

ـ لا بد أنك تحب ما تفعله.

أهو مهتم بالأمر، أم أنه صار مهتمًّا بالأمر، كما يجد الزوجان في زواج مرتب، بمرور الوقت، صفقة أُبرمت في شيء مثل المودة؟

ـ أنا رجل محظوظ.

كانت الحرارة تتضح على طريقة النشوة الجنسية، مثلما تمخط أنفك. الشمس الحارقة، والماء الساخن، ولكن لا تزال هذه الطاقة: كان بإمكانها الركض حول المبنى، أو أخذ قيلولة، أو ممارسة تمرين العقلة. كانت تنتظر كلاي ليقترب من الطريق. لقد مرت ساعة، أليس كذلك؟ أنصتت انتظارًا لصوت السيارة.

يجب أن يغادروا. إذا ضبطوا الوقت بشكل مناسب، فسيكونون في المنزل لتناول العشاء. بإمكانهم تدليل أنفسهم في أحد مطاعم الحي التي كانت عالية التكلفة بعض الشيء للتردد عليها بانتظام. لم تكن تعرف، بالطبع، أن كلاي كانت لديه الفكرة نفسها. لم تكن تعرف كيف أشار هذا إلى أي مدى كانا ملائمين لبعضهما البعض.

كان الفناء هادئًا باستثناء التموج البخاري للحوض. نظرت إلى الغابة، واعتقدت أنها رأت شيئًا متحركًا لكنها لم تتمكن من تمييز جسديهما. اعتقدت أن الأم يجب أن تكون قادرة على فعل ذلك، في يوم من الأيام، لكنها بعد ذلك كانت تأخذ الطفلين الصغيرين إلى الملعب وتفقد أثرهما على الفور، بحر من البشر الصغار الذين لا علاقة لهم بها. كانت سعيدة لأن علاقة الطفلين بعضهما ببعض ممتازة، وكانا لا يزالان طفلين بما يكفي كي لا يضيعا في ألعابهما، ويتسللا عبر الغابة كما تخيلت أن أطفال الريف يفعلون.

كانت جالسة هناك، لا تفعل أي شيء أكثر من ذلك، عندما حدث الأمر، عندما كان هناك شيء ما. ضوضاء، لكن تلك الكلمة لم تصف ما حدث. كانت «الضوضاء» اسمًا غير كافٍ، أو ربما كان من المستحيل دائمًا وصف الضوضاء بالكلمات. ماذا كانت الموسيقى سوى أنها ضوضاء، أتمكنت الكلمات من إزعاج بيتهوفن؟ كانت هذه ضوضاء، نعم، لكنها مرتفعة للغاية إلى درجة أنها تقريبًا كانت ذات وجود مادي، مفاجئة للغاية لأنه بالطبع لم تكن لها سابقة. لم يكن هناك شيء (الحياة الحقيقية!)، ثم كانت هناك ضوضاء. بالطبع لم يسمعوا مثل هذه الضوضاء قَطُّ. أنت لم تسمع مثل هذه الضوضاء؛ لقد عايشتها، تحملتها، نجوت منها، شاهدتها. يمكنك بإنصاف القول إن حياتهم يمكن تقسيمها إلى قسمين: الفترة التي سبقت سماعهم تلك الضوضاء والفترة التي أعقبت ذلك. كانت ضوضاء، لكنها كانت تحولًا. كانت ضوضاء، لكنها كانت تأكيدًا. حدث شيء ما، كان هناك شيء ما، كان جاريًا، كانت الضوضاء تأكيدًا حتى عندما كانت الضوضاء لغزًا.

جاء الفهم بعد الحقيقة. كانت هذه هي الكيفية التي تعمل بها الحياة: تصدمني سيارة، أعاني من نوبة قلبية، هذا الشيء الرمادي الأرجواني الذي يبرز من بين ساقَي هو رأس طفلنا. تجليات. كانت نهاية سلسلة من الأحداث غير المرئية حتى يتم الوصول إلى ذلكِ التجلي. كان عليك أن تعود إلى

الوراء وأن تحاول أن تكون منطقيًّا. هذا ما فعله الناس، هكذا تعلم الناس. نعم. إذن. كان الشيء عبارة عن ضوضاء.

ليس دويًّا، وليس قصفًا. أكثر من الرعد، أكثر من انفجار. ما من أحد منهم لم يسمع صوت انفجار من قبل. بدت الانفجارات شائعة لأن الأفلام غالبًا ما تصورها، لكن الانفجارات كانت نادرة، أو كانوا جميعًا محظوظين لأنهم كانوا بعيدين عن الانفجارات. كل ما يمكن قوله، في الوقت الحالي، هو أنها كانت ضوضاء، كبيرة بما يكفي لتغير إلى الأبد تعريفاتهم العملية عن الضوضاء. ستبكي إذا لم تكن خائفًا للغاية أو متفاجئًا أو متأثرًا بطريقة يستحيل فهمها. قد تبكي حتى مع ذلك.

كانت الضوضاء سريعة، ربما، لكن الجو ظل يطن بها لما بدا أنه مدة طويلة. ماذا كانت الضوضاء، وماذا كان تأثيرها؟ أحد تلك الأسئلة غير القابلة للإجابة. وقفت أماندا. ومن ورائهم، تصدع اللوح الزجاجي للباب الموصل بين غرفة النوم والشرفة غير المسقوفة، صدع ناعم ولكنه طويل، جميل وحسابي وشيء لن يلاحظه أحد لفترة من الوقت. كانت الضوضاء عالية بما يكفي لجعل رجل يسقط على ركبتيه. هذا ما فعله آرتشي، بعيدًا، في الغابة: سقط على ركبتيه العاريتين. الضوضاء التي يمكنها أن تجعل الشخص يسقط على ركبتيه ليست ضوضاء إلَّا بالاسم فحسب. لقد كانت شيئًا آخر لم يكن من الضرورة أن يكون لها اسم، لأنه كم مرة سيستخدم المرء مثل هذه الكلمة؟

ـ ما هذا بحق الجحيم؟

كان هذا، ربما، الرد المناسب الوحيد. لم تكن أماندا تكلم جورج. لم تكن تكلم أي شخص.

ـ ما هذا بحق الجحيم؟

قالتها لمرة ثالثة، ورابعة، وخامسة، لا يهم. ظلت تقولها، وكانت بلا إجابة، مثل صلاة.

كانت أماندا ترتعد. ليست مهزوزة بل تهتز، ترتج. هدأت. ضوضاء كبيرة جدًّا، كيف يمكنك مواجهتها إلا بالصمت؟ ظنت أن ما فعلتْه كان صراخًا. شعورًا بالصراخ، عاطفة الصراخ، لكنها في الحقيقة لهثت، مثل سمكة قفزت خارجة من بركتها، الضوضاء التي يصدرها الصم والبكم في لحظات العاطفة، الظل، الصورة الظلية، للكلام. كانت أماندا غاضبة.

ـ ماذا...؟

لم تشعر بأي حاجة محددة لإنهاء جملتها لأنها كانت تكلم نفسها.

ـ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟

قفز جورج من حوض الاستحمام، ولم يُغطِّ جسده بمنشفة. كان كل شيء في العالم هادئًا، ما عدا، ربما، ذلك الشعور بالتوهج اللاحق، الخواء حيث كانت الضوضاء للتوِّ. ربما تضررت أذناها، وكان ذلك وهمًا. ربما تضرر دماغها. كانت هناك قصة عن موظفين قنصليين في هافانا ظهرت عليهم أعراض عصبية يعتقد أنها مرتبطة بالضوضاء. لم يخطر ببال أماندا قَطُّ أن السلاح يمكن أن يكون صوتيًّا، ولم يخطر ببالها قَطُّ أن الضوضاء قد تكون شيئًا يدعو للخوف. أنت تطلب من الأطفال والحيوانات الأليفة عدم القلق أثناء العواصف الرعدية.

كانت أماندا ترتجف. كان هناك طعم حاد، مثل نصف دولار من حقبة كنيدي مستقر فوق لسانها. إذا تحركت، قد تتكرر الضوضاء. إذا حدث ذلك، فهي ليست متأكدة من أنها ستقدر على تحمله. لم ترغب في سماعها مرة أخرى أبدًا.

ـ ماذا كان هذا؟

كان هذا لنفسها أكثر من أي شيء آخر. هل كان موضعيًّا ـ داخل المنزل، في الإطار المحيط ـ أم كان شيئًا مرتبطًا بالطقس أو بين النجوم أو افتراق السماوات للتبشير بوصول الله نفسه؟ وبينما سألت، عرفت أن الضوضاء لن تُفسر أبدًا بشكل مُرضٍ. كانت تتعدى المنطق، أو التفسير، على الأقل.

كانت بطيئة جدًّا في البداية. سارت ثم قفزت إلى أسفل الدرج. كانت فقط تنظر إلى الأشجار في الخارج. حاولت أن تجد جسديهما في كل ذلك الأخضر والبني. كان عليها أن تناديهما، وبدا الأمر كما لو أنها فعلت، لكنها لم تفعل. صوتها لم يعمل، أو لم يستطِع اللحاق بجسدها. لقد انتقلت للتوِّ. ببطء، ثم بسرعة، هرولت ثم ركضت، نزلت أماندا ومضت بعد حمَّام السباحة، تدفع البوابة لفتحها، وإلى العشب. كان طفلاها، بوجهيهما المثاليين، وجسديهما الخاليين من العيوب، هناك، في مكان ما. كان بإمكانها رؤية الكتلة المنفردة للمناظر الطبيعية. بدا لها أنها كما لو كانت قصيرة النظر ومن دون نظارتها، ضبابية، ومتوهجة، ومستحيلة.

ركضت إلى أبعد. لم يكن الفناء كبيرًا جدًّا، ولم يكن هناك كثير لمصادفته. مع ذلك لم تُنادِ، ركضت فحسب. كانت هناك سقيفة صغيرة في الظلال. فتحت الباب وكانت خاوية. كل ذلك في حركة واحدة ـ لم تتوقف عن الركض حقًّا ـ واصلت السير على حافة الفناء، والتراب الناعم والأوراق الجافة. كانت الضوضاء قد انتهت، لكن ما زالت هناك ضوضاء، ودمها في عروقها، وقلبها مرن بما فيه الكفاية. كانت بحاجة إلى جسدَي طفليها على جسدها.

قفزت أماندا فوق عصا، صغيرة بما يكفي إلى درجة أن بإمكانها تخطيها، وأصبحت قدماها في سجادة من البقايا النباتية والحيوانية المتحللة، هنا تلتقط حصاة، ولحاء مدببًا، وشوكة، وشيئًا مبللًا وغير سار. كان عليها أن تناديهما لكنها لا تريد التغطية على صوتيهما إذا كانا يناديانها، عدد من نداءات «ماما» المعبرة عن حاجة ماسَّة، مثلما يُقال عمَّا تلفَّظ به المدانون عند إعدامهم.

الطفلان، أين طفلاها؟ بدا أن الأشجار تتحرك بالكاد. لقد انتصبت فقط، غير مبالية بها. انهارت أماندا على الأرض. كانت ترتدي بنطالًا قصيرًا. كانت لمسة الأوراق واللحاء والتراب أشبه بالمواساة. كاد الطين على ركبتيها الورديتين أن يكون بلسمًا. كان إخمصا قدميها النظيفتين مسودين

ومتقرحين ولكنهما لم يؤلماها. في النهاية تمالكت نفسها. كانت تنوي أن تنادي الطفلين، وأن تنادي الأسماء التي اختاراها بكل حب، ولكن بدلًا من آرتشي وروزي (لأن أسماء التدليل ستظهر بالتأكيد، الحب والشوق)، صرخت أماندا فقط، صرخة حيوانية فظيعة، ثاني أكثر ضوضاء صادمة سمعتها على الإطلاق.

٢٣

تحدثوا بهدوء أكثر من المعتاد. أظهروا الإجلال، بالطبع، للضوضاء. كانوا ينتظرون عودتها. لم يريدوا أن يُباغتوا من دون علم، لكن هل يمكنك توقع ذلك، حتى لو سمعته من قبل؟ ومع ذلك كان هناك خلاف.

لم يصدق جي إتش تمامًا ما كان يقوله:

ـ يمكن أن يكون الرعد، كما أعتقد.

في بعض الأحيان يمكنك أن تأمر نفسك لتصدق ما قلته.

ـ لا توجد غيوم!

خفت حدة غضب أماندا قليلًا، بارتياح. لقد وجدت طفليها، عيونهما مفتوحة على اتساعها وقذرين كالشحاذين، ولم تسمح لهما بالذهاب. كانت تضع يد روز اليمنى في يدها كما اعتادت، منذ سنوات، عندما كانت الفتاة تسيء التصرف. على يد الفتاة اليسرى، كانت راحة اليد اليسرى مسحوجة، خط أحمر، مثالي غير منقطع. جلد متآكل على ركبتها اليسرى، ولطخات على ذقنها وكتفها وعلى الجزء الناعم الظاهر من بطنها ـ لقد شنَّت حملة لأشهر من أجل أن ترتدي لباس سباحة من قطعتين ـ وشعرها لزج وعيناها حمراوان، لكن فيما عدا ذلك كانت الفتاة بخير. بدا الطفلان بخير. بدوا بخير.

كانت أماندا قد اندفعت في الغابة بتهور ووجدتهما بشيء من الغريزة

التي نسيت أنها لديها، أو ربما كانت ضربة حظ. دفعت الضوضاء ثلاثتهم إلى الركض، وتصادف أن تقاطعت مساراتهم. وشهدت الضوضاء كلاي يوقف السيارة على جانب الطريق الخالي بجنون، ويفتح الباب، ويتأمل السماء. أذهل الضجيج روث، وهي تملأ إبريق القهوة، وتسقط ملعقة على الأرض. أمرت الضوضاء تلك الغزلان، التي يزيد عددها على ألف، غير المكترثة بالفعل لحدود الملكية التي رسمها البشر، بالتدافع خلال الحدائق من دون التوقف حتى لأخذ قضمة. كان أصحاب المنازل مشتتين للغاية؛ بالنوافذ المحطمة، وبصراخ الأطفال، وبطبلة أذن كل رضيع، أصيبت بضرر دائم، إلى درجة أنهم لم يتمكنوا من التحديق في كل تلك الحيوانات.

خرجت أماندا والطفلان من الغابة، وعلى الرغم من أنهم غرباء، كان هناك فرح حقيقي عند لمِّ شملهم. وضعت روث ذراعها حول كتفَي الصبي العاريتين. ضغط جي إتش على ساعد أماندا بارتياح الأب. بدا أن آثار الضوضاء ـ طنين، إحساس بالاهتزاز ـ ماكثة. كانت مثل سرب من الحشرات اللحوحة، الذباب اللاسع الذي تصادفه أحيانًا على الشاطئ. هناك وليس هناك. حرون. اقترحت أماندا أن يذهبوا إلى الداخل، معربة عمَّا يشعر به الجميع. كانت السماء زرقاء تمامًا وجميلة جدًّا، ولكن بدت الأماكن في الهواء الطلق غير جديرة بالثقة إلى حد ما. بدت الضوضاء من الطبيعة، ولكن كما تعرف روث، لم يكن الطوب كافيًا لإبعاد الصوت.

ـ هل كانت تلك قنبلة؟

رؤى عن غيوم عش الغراب.

ـ أين أبي؟

متراجعًا كما تفعل بعد الصدمة، تقطَّع صوت آرتشي، مرتفعًا وأخرق، عندما نطق كلمة «أبي». أين كان أبي؟

ـ ذهب لأداء مهمة.

كانت أماندا مقتضبة.

ـ أنا متأكدة من أنه سيعود في أي لحظة.

ملأت روث الكؤوس بالماء. كان الطفلان قذرين ومتعرقين. لم تكن متأكدة من كيفية المساعدة، وهذا ما أرادت فعله. لم تستطِع الاقتراب من أحفادها. يمكنها أن تحضر لطفلَي هذه الغريبة كأسًا من الماء.

ـ شكرًا لكِ.

تذكر آرتشي أخلاقه الحسنة. كانت تلك علامة جيدة.

ـ لماذا لا تذهبين للاغتسال؟ يمكنني البقاء مع آرتشي.

انحنت روث لالتقاط الملعقة الصغيرة التي سقطت بينما تكيل بها البن المطحون. أرادت المساعدة، لكنها على الأغلب أرادت شيئًا لتشتيت الانتباه.

أخذت أماندا روز إلى الحمَّام، ونظفت جروحها. كانت طفيفة. كانت ممارسة هذا الطقس مواساة لكلتيهما: ورق التواليت المُندَّى ودهان «نيوسبورين»، وجه طفلتها قريب بما يكفي إلى درجة تمكنها من شم أنفاسها الساخنة. بعد الإبادة الجماعية، ساعدت صالونات التجميل الرونديين على التأقلم. كان لمس إنسان آخر شافيًا. مسحت وجه الطفلة بمنشفة وجه ندية، وألبستها كنزة وبنطالًا قصيرًا. روز، التي لم تعد تريد أن تُرى عارية، لم تعترض حتى على ذلك. لقد أرعبتها الضوضاء.

كان على روث أن تفعل شيئًا.

ـ اشرب الماء، يا حبيبي.

لم يأتِ التملق على نحو طبيعي. في المدرسة، أطلقوا على كل طفل لقب «صديق». حتى في المشكلات لم يستخدموا «سيدتي» و«سيدي» بل «صديق». يا صديق، نحن بحاجة إلى التحدث عن سلوكك. أيها الأصدقاء، يُرجى خفض أصواتكم. كانت مقدسة بطريقة غير ملزمة.

كان ظهر آرتشي الخالي من الشعر مكسوًّا بمعجون من العرق والغبار. بإمكانك أن تنقش كلمة في القذارة التي على جلده، بالطريقة التي كتب بها

محبو المزاح «اغسلني» على السيارات التي تفتقر للعناية. لأنه مطيع، أخذ رشفة.

ـ أشعر بالغرابة في أذني.

ـ من المحتمل أن يكون ذلك طبيعيًا.

لم تكن روث تشعر بالغرابة في أذنيها، لكنها شعرت بالغرابة في كل شيء آخر فيها.

ـ كان ذلك... عاليًا.

ربما أضر بطبلات آذانهما.

عادت أماندا، والفتاة الصغيرة النظيفة التي تمسك بيدها، جعلتها طفلة مرة أخرى.

ـ أوه آرتشي. أنت في حالة مزرية.

مسَّدت ظهره المتسخ مطْمئنة ومطَمئنة.

أطل جي إتش من النافذة، مرتابًا من كل شيء يمكن أن يراه، حمَّام السباحة، حفيف الأشجار. كان هذا كل ما كان هناك، كان هذا كل ما يمكن أن يراه، لكنه لم يكن يتوقع أن يرى... ماذا؟ قنبلة؟ صاروخًا؟ هل كانا نفس الشيء؟

ـ هل كانت طائرة؟

كانت أماندا تحاول إعادة بناء الأمر، لكن الضوضاء كانت مثل الألم؛ لا يستطيع جسمك تذكر تفاصيله. ربما كانت ميكانيكية، وبدا أن الطائرات شكل أعلى من أشكال الآلات.

ـ تحطم طائرة؟

لم تكن روث تعرف ما إذا كان هذا هو ما قصدته ولم تستطِع تخمين نوع الصوت الذي سيصدره؛ انفجار طائرة مثل تلك التي انفجرت فوق «لوكربي» أو سقوطها مثل تلك التي كانت متجهة إلى مبنى «الكابيتول» الأمريكي. مرة أخرى كان لديها فقط أفلام «هوليوود».

ـ أو كسر حاجز الصوت. قنبلة صوتية. هل كانت تلك قنبلة صوتية؟

لقد طارا على متن «الكونكورد» مرة واحدة، مغامرة رغيدة، ذكرى زواجهما الخامسة عشرة. كان فرانسوا ميتران على متن الطائرة نفسها.

ـ أعتقد أنه لا يمكنك كسر حاجز الصوت عندما تكون فوق اليابسة. لكنه يضيع فوق المحيط. أعتقد أن ذلك صحيح.

ـ الطائرات عادةً لا تكسر حاجز الصوت.

كان آرتشي قد أعد تقريرًا عنها في الصف السادس.

ـ لم تعد «الكونكورد» تطير.

كان محقًّا في أن «الكونكورد» لم ترعب سوى الحيتان في شمال المحيط الأطلسي. لكن هذه كانت أوقاتًا غير عادية. لم يكن يعلم أن الطائرات المرسلة من روما، إلى نيويورك، عادة ما كانت تحلق شمالًا، وهو الطريق الأكثر مباشرة إلى البحر المفتوح. لكنها كانت في طريقها لاعتراض شيء اقترب من الجناح الشرقي للأمة. كان محيط الضوضاء التي أحدثتها نحو خمسين ميلًا، شق في السماء فوق منزلهم الصغير.

كانت روث قد فكرت في الأمر أثناء تناول وجبتهم من الشطائر الغريبة.

ـ لاحظتُ اليوم... ألم تلاحظوا؟ لم تكن هناك حركة جوية. لا طائرة واحدة، ولا مروحية واحدة.

عرف جي إتش، حالما نطقت زوجته، أن هذا صحيح.

ـ أنتِ على حق. أعني، عادة ما نسمع الكثير. طائرات ومروحيات.

سألت أماندا:

ـ ماذا تقصد؟

ـ لا بد أنه كان هناك...

ـ هواة يدرسون. ناس متلهفون يطيرون من مانهاتن. إنها مشكلة كبيرة، يُكتب عنها في صفحات مقالات الرأي.

أصبحت روث نفسها معتادة على التلوث الضوضائي الذي لاحظت غيابه. لم تكن تعرف ما يعنيه هذا، لكنها اعتقدت أنه قد يعني شيئًا ما.

أرادت أماندا إخراج الأطفال من الغرفة، لكن لم يكن هناك تلفزيون لإلهائهم.

ـ آرتشي، لماذا لا تذهب لارتداء ملابسك؟

وضعت يدها على ظهره الرملي. كان ساخنًا عند لمسه.

ـ اشرب مزيدًا من الماء. ربما يجب أن تستحم؟

فهمت روث. ربما أي والد أو والدة سيفهمان.

ـ روز، ربما يجب أن تذهبي لتستلقي.

لم تعرف الفتاة ما إذا كان من المفترض طاعة هذه المرأة الغريبة. نظرت إلى والدتها لترى ماذا تفعل.

ـ هذه فكرة جيدة يا عزيزتي.

كانت أماندا ممتنة.

ـ اذهبي إلى سرير أمكِ. اقرئي كتابكِ.

ـ سأذهب لأستحم.

أدرك آرتشي فجأة أنه لا يرتدي ملابسه. لم يستطِع الاعتراف بالأمر، لكنه كان غاضبًا وهو يرتدي ملابس السباحة عندما سمع تلك الضوضاء، مثل طفل رضيع. كانت هناك فترة، حين كان أصغر سنًّا، يحلم فيها بفهم محادثة الكبار. الآن يمكنه ذلك، وأدرك أنه بالَغ في تقديره.

ـ تعالي يا روز.

لطف الأخ الأكبر.

انتظرت أماندا حتى غادر الطفلان.

ـ ماذا كان هذا؟

نظرت روث من خلف زوجها إلى النافذة، السماء الزرقاء المسطحة.

ـ إنه ليس الطقس...

يوم مثالي للسباحة، وعلى أي حال لم يكن هناك رعد عالٍ قَطُّ، إلى درجة أنه دام لفترة طويلة. إذا كانوا يعيشون في هاواي، فربما قالت إنه بركان.

كان جي إتش نافد الصبر. اكتفى من هذا. قال:
ـ يمكننا أن نتفق على أننا لا نعرف ما حدث.
ـ أين كلاي؟
نظرت أماندا إلى روث كما لو كانت المرأة مسؤولة. كما غيَّر الضجيج الفتاة من مراهقة إلى طفلة، ترك أماندا لينة وعاجزة.
فقدت روث الإحساس بالزمن.
ـ لم يمضِ وقت طويل. فقط يبدو الأمر كذلك.
ـ سيعود قريبًا.
كان جي إتش يقدم وعودًا.
ـ هذا يحسم الأمر، على أي حال. شيء ما... يحدث.
كان عدم وجود إشارة للهاتف المحمول اعتداء. كان غياب التلفزيون تكتيكًا.
ـ علينا أن نفعل شيئًا!
ـ ماذا علينا أن نفعل يا حلوتي؟
لم تعارض روث، لكنها كانت في حيرة.
ـ نحن نتعرض للهجوم. هذا هجوم. ماذا يفترض أن تفعل في حالة وقوع هجوم؟
ـ نحن لا نتعرض للهجوم.
لم يكن جي إتش متيقنًا تمامًا، مع ذلك، وكان ذلك ظاهرًا.
ـ لم يتغير شيء.
أصبح صوت أماندا أعلى.
ـ لم يتغير شيء؟ نحن نجلس هنا فحسب، مثل، لا أعرف ماذا. أهذا هو البط الجالس؟ بط جالس فحسب وينتظر إطلاق النار عليه؟
يا له من تعبير غبي. لماذا تجلس البطة؟
ـ أعني، ما زلنا لا نعرف ماذا يحدث. يجب أن ننتظر عودة كلاي، وسنرى ما عرفه.

ـ هل عليَّ أن أقود إلى البلدة وأبحث عن كلاي؟

لم تكن تريد مغادرة المنزل، لكنها أرادت ذلك. كان لا بد من فعل شيء.

ـ هل يجب أن نملأ أحواض الاستحمام؟ هل لدينا بطاريات و«تيلينول» خافض للحرارة؟ هل يجب أن نجد الجيران؟ هل يوجد طعام كافٍ؟ هل هذه حالة طارئة؟

وضع جي إتش يديه البنيتين على سطح النضد المصنوع من أحجار «فيرمونت».

ـ هذه حالة طارئة. نحن جاهزون. ونحن هنا بأمان.

تلك كانت الحقائق: عبوات بسكويت الطاقة الخاصة به، وصندوق النبيذ الخاص به.

ـ هل يوجد مولد؟ هل يوجد ملجأ من القنابل؟ هل هناك... لا أعرف. راديو يُدار يدويًّا؟ واحدة من تلك الماصات التي تجعل من الآمن شرب المياه القذرة؟

ـ أنا متأكد من أنه سيعود قريبًا.

كان جي إتش يحاول إقناع نفسه أيضًا.

ـ سنبقى هنا. نحن بأمان هنا. جميعنا. سنبقى هنا.

ـ الرحلة تستغرق خمس عشرة دقيقة إلى المدينة. ثم خمس عشرة دقيقة للعودة. تلك نصف ساعة. على الأكثر.

تململت روث. ماذا كانوا يفعلون؟

ـ ربما يكون الأمر أطول إذا كنت لا تعرف الطريق. ربما يكون عشرين دقيقة. أربعين، ذهابًا وإيابًا.

كانت أماندا غاضبة منهم جميعًا.

ـ ماذا لو لم يعد؟ ماذا لو تعطلت السيارة، أو أن هذه الضوضاء تسببت له بشيء، أو...؟

ماذا تصورت؟ كلاي رحل إلى الأبد.

ـ جورج على حق. نحن بأمان. فقط لنلزم مكاننا.

ـ كيف يمكنك القول إننا بأمان وأنتِ لا تعرفين ما يحدث لنا؟

كانت أماندا تأمل ألا يسمعها الطفلان. انتحبت الآن.

كانت روث منطقية.

ـ سمعنا تلك الضوضاء. علينا فقط الانتظار. لنرى ما سنفعله بعد ذلك.

استشاطت أماندا غضبًا.

ـ ليس لدينا إنترنت، ليست لدينا هواتفنا، لا نعرف شيئًا عن أي شيء.

ألقت باللوم على هؤلاء الناس. لقد طرقوا الباب وخربوا كل شيء.

ـ ربما كان الأمر مثل... ماذا كان ذلك؟ حادثة جزيرة الأميال العشرة؟

أرادت روث شرابًا، لكنها لم تستطِع تحديد ما إذا كانت هذه فكرة جيدة.

ـ هناك محطات لتوليد الطاقة هنا، أليس كذلك؟

ـ جزيرة الأميال الثلاثة(*).

عرف جي إتش دائمًا هذا النوع من الأشياء.

عرفت أماندا ذلك من كتب التاريخ.

ـ حادث نووي؟

مصدر الخوف الدائم في شبابها: هواتف رئاسية حمراء، ومضات ضوئية، وسقوط. لقد نسيت كل ذلك في مرحلة ما.

ـ يا إلهي. هل يجب علينا غلق النوافذ بالشريط اللاصق؟ هل سنمرض؟

ـ لا أعلم إذا كان ذلك من شأنه أن يفسر الضوضاء.

حاول جي إتش أن يتذكر: نتج البخار من مياه البحر المستخدمة في تبريد المادة التي نتج عنها التفاعل الذي ولَّد الطاقة. لقد أظهر زلزال في اليابان هذه المغالطة. يمكن أن تتدفق مياه البحر مرة أخرى، ويمكن أن ينتقل السم عبر المحيط. عثروا على حطام في ولاية أوريجون. هل ستتسبب حادثة نووية

(*) حادثة انصهار نووي جزئي، وقعت في بنسلفانيا في العام ١٩٧٩. (المترجمة).

في مثل هذه الضوضاء؟ هل أمدت المحطات النووية هنا المدينة بالطاقة، وهل سيؤدي تضررها إلى إعتام؟

كانت أماندا تفكر بصوت عالٍ.

ـ صاروخ؟ كوريا الشمالية. روث، لقد ذكرتِ كوريا الشمالية.

قال جي إتش من دون قصد:

ـ إيران.

ـ إيران؟

قالتها أماندا كما لو أنها لم تسمع عن المكان من قبل.

ـ لا يجب علينا التكهن.

أسف جي إتش لذلك.

ـ ربما إذن كان هذا. كما تعرف. الإعتام، مصدر تلك الضوضاء، قنبلة أو أي شيء آخر.

كان الإرهابيون مخططين. بدا الحدث نفسه كما لو كان خاطفًا، لأن أجهزة التلفزيون لم تستطِع إظهار ما سبقه: الاجتماعات، والاستراتيجية، والرسومات، والمال. هؤلاء التسعة عشر تدربوا في أجهزة محاكاة الطيران! أين ستجد جهاز محاكاة الطيران؟

ـ نحن نتحول إلى مشوشين فحسب.

ستتناول روث شرابًا. وجدت فتاحة النبيذ. ذهبت إلى الخزانة وأخذت زجاجة «كابرنيه».

ـ لكن... كلاي. ماذا لو... ماذا لو وجد شيئًا ما؟

أو ما هو أسوأ: لم يعد، أو أنه، وجد شيئًا ما في العالم لا يُحتمل حقًا، أسوأ مما كانوا قادرين على تخمينه، وكان عليه العودة بأخبار عن ذلك الشيء وإجبار هؤلاء الأشخاص على تحمله معه؟

انتحبت أماندا أكثر الآن.

ـ لكننا لن نعرف ما يحدث حتى نعرف. نحن مجرد...

نظرت إلى المصابيح المتدلية، جديدة ولكنها صُنعت لتبدو وكأنها شيء من مبنى مدرسة في مطلع القرن، إلى الخزانة الذكية التي تخفي غسالة الأطباق المصنوعة من الفولاذ المقاوم للصدأ، إلى وعاء زجاجي مليء بالليمون. بدا المنزل مغويًا للغاية. لم يعد يبدو آمنًا، لم يبدُ كما كان، لا شيء بدا كما كان.

ـ ربما سيعود التلفزيون للعمل مرة أخرى.

حاولت روث أن تبدو متفائلة.

ـ أو ستعمل هواتفنا المحمولة مرة أخرى.

قالت أماندا ذلك كأنه دعاء. نظرت إلى نضد المطبخ، ولاحظت، ربما لأول مرة، التجريد الجميل للحجر. لم يبدُ قويًّا أو صلبًا، لكنه بدا جميلًا وحديثًا. كان هذا شيئًا مميزًا.

٢٤

كانت المسؤولية الجسدية، كما أدرك كلاي، هراء محضًا. زهو الرغبة في إنقاذهم! جعلته تلك الضوضاء يريد أن يكون في المنزل. لم يكن يريد أن يحمي. أراد أن يكون محميًّا. جلبت الضوضاء البكاء، والإحباط، ودموع الغيظ. انعطف وشعر بالضياع التام. لم يكن يريد حتى أن يدخن، لكنه كان يبطئ السيارة لتتوقف عندما حدث ذلك، عندما انفتحت السماوات وسقط هذا الشيء غير المادي حولهم في كل مكان. ولم يلاحظ لو أنه أفزع الطيور والقوارض والسنجاب والعث والضفادع والذباب والقراد. كان منتبهًا فقط لنفسه.

تباطأ كلاي هناك، لأنه لم تكن هناك حركة مرور لإعاقتها. انتظر ثماني دقائق، واثقًا من أن الضوضاء ستعود. لقد فعلت ذلك، ولكن فوق حي «كوينز»؛ بعيدًا بما يكفي إلى درجة أنه لم يستطِع سماعه. جعلت العزلة الضوضاء لا تُطاق بالنسبة إلى كلاي، ولكن نقيض العزلة فعل ذلك أيضًا. في «كوينز»، تشكلت حشود وانتشر الذعر. ركض الناس. انتحب الناس. بالكاد كلفت الشرطة نفسها عناء التظاهر بفعل أي شيء.

ثم: وجد كلاي الطريق. كان الأمر كما لو أن الدقائق الأربع والأربعين السابقة لم تحدث قَطُّ. انعطف يمينًا ورأى اللافتة الواعدة بالبيض. كان الأمر شديد السخف للتفكير فيه. لم يكن لدى كلاي أي معلومات، ولا كولا باردة.

قبل دقائق، كان قد قرر أنه عندما يعود إلى المنزل، سيجمع عائلته في السيارة ويغادر هذا المكان. لم يكن يريد أن يرى المنزل مرة أخرى أبدًا.

الآن حيَّاه الطوب الملون كصديق قديم. بكى بفعل الارتياح بدلًا من الخوف. أطفأ السيارة. نظر إلى السماء. نظر إلى السيارة. نظر باتجاه الأشجار. وبينما كان يركض نحو المنزل، بدأ يروي ما يعرفه.

قيل إن البحار آخذة في الارتفاع. تحدث الناس كثيرًا عن جرينلاند. كان موسم الأعاصير سيئًا على نحو خاص. يبدو أن الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة مصاب بالخرف. يبدو أن أنجيلا ميركل مصابة بمرض «باركنسون». عاد فيروس «إيبولا». كان هناك شيء ما يحدث فيما يتعلق بأسعار الفائدة. كان هذا هو الأسبوع الثاني من شهر أغسطس. ستبدأ الدروس قريبًا بما يكفي لقياس الوقت بالأيام. ربما أرسلت محررته في «نيويورك تايمز بوك ريفيو» تعليقاتها على مراجعته عبر البريد الإلكتروني.

إذا عادت الضوضاء، الليلة على سبيل المثال، بمجرد غروب الشمس ـ بمجرد أن يؤكد ظلام الأراضي الزراعية العميق من حولهم نفسه ـ فلن ينجو منها. لن يمكنك ذلك. كانت هذه طبيعة الضوضاء. لقد كانت رعبًا، بطريقة مقطَّرة على نحو ما، في لحظة واحدة، وجيزة للغاية. اقشعر جلده لمجرد إعادة النظر في الأمر، محاولًا تذكر ما بدا عليه كوسيلة لاستنباط ما كان عليه. خشي حتى الذهاب للنوم. كيف كان من المفترض أن يقود سيارته بعيدًا؟

فكر كلاي في أبيه. بدا من المحتمل جدًّا أن أباه، في المنزل، يشاهد التلفزيون في مينابوليس، لم يعرف شيئًا عن ضوضاء غامضة فوق لونج آيلاند. لا بد أنه شيء كبير حقًّا إلى درجة التأثير على الحياة. عندما كان مراهقًا، عانت أمه مما افترضت أنه أنفلونزا، وهو نعاس لا تستطيع التخلص منه. ماتت من اللوكيميا بعد بضعة أشهر. تعلم كلاي البالغ من العمر خمس عشرة سنة طهي منتجات «همبرجر هلبر» سابقة التجهيز وفصل

الغسيل الأبيض عن الغسيل الملون. سقط الناس صرعى، لكنك ما زلت بحاجة لتناول العشاء. ربما تكون الحرب قد بدأت، ربما كان هناك نوع من الحوادث الصناعية، ربما حُوصر الآلاف من سكان نيويورك تحت الأرض في عربات قطار الأنفاق، ربما أُطلق صاروخ، وربما أُزيح الغطاء عن شيء لم يتخيلوا قَطُّ أنه ممكن الحدوث ـ كل هذا كان صحيحًا إلى حد ما، في الواقع ـ لكن ما زال كلاي يشعر وكأنه يدخن سيجارة، أو أنه قلق بشأن حسن خلق الطفلين، ويفكر فيما سيأكلونه على العشاء. العمل كالمعتاد، عمل البقاء على قيد الحياة.

كانت أماندا، وجي إتش، وروث بالداخل. نظروا إليه كما لو كانوا أشخاصًا في مسرحية، كما لو كانوا يتدربون في هذه اللحظة؛ أنت تقف هنا، أنت تقف هنا، أنت تقف هنا، أنت تدخل. لقد شعر أنه يجب أن ينتظر التصفيق، ثم انتظر حتى يتلاشى ذلك قبل أن يتكلم. ماذا كانت جملته، على أي حال؟

ـ يا يسوع المسيح.

لم تسرع أماندا لمعانقته، ولم تصرخ بالعبارة، بل سقطت منها فحسب، هدَّة ارتياح.

هز كلاي كتفيه.

ـ لقد عدت. هل الجميع بخير؟

بدا جي إتش منتقمًا. بدا مسرورًا.

عانقته أماندا. لم تقل أي شيء. ابتعدت ونظرت إليه، ثم عانقته مرة أخرى.

لم يكن يعرف ماذا يقول غير ذلك. لقد سمع الضوضاء وجفل ثم خمدت الضوضاء واستطاع سماع الدم ينبض في جسده.

ـ أنا بخير. أنا هنا. هل أنتِ بخير؟ أين الطفلان؟

أكد جي إتش:

ـ نحن بخير. الجميع هنا. الجميع بخير.

دفعت روث زجاجة النبيذ في اتجاهه مثل نادل في فيلم.

ـ ربما ترغب في الانضمام إلينا.

كانت مرتاحة أكثر مما كانت تعتقد أنها ستكون. لقد أدركت ذلك بخزي، ثم بإحساس مرعب؛ لم تكن تتوقع في الواقع عودة كلاي.

حكَّ كلاي أرجل الكرسي على الأرضية الخشبية وجلس.

ـ هل سمعتم ذلك؟

أمسكت أماندا بيد زوجها.

ـ هل ذهبت إلى البلدة؟ ماذا حدث؟

لم يستطِع كلاي أن يتعامل مع تلك الضوضاء، كان عليه أن يتعامل مع شعوره بالخزي. لم يكن يعرف ما إذا كان يمكنه الاعتراف بذلك.

ـ لم أفعل.

قالها فحسب، فاترة، من دون نبرة.

ـ لم تفعل؟

كانت أماندا مشدوهة، لكنهم كانوا جميعًا مشدوهين.

ـ أين كنت؟

كانت غاضبة.

صار كلاي أحمر اللون.

ـ لم أذهب بعيدًا. ثم سمعت هذه الضوضاء...

ـ ولكن ماذا كنت تفعل؟

كانت أماندا في حيرة من أمرها.

ـ لقد كنا في انتظارك، كنت سأصاب بالجنون.

ـ لا أعرف. دخنت سيجارة. كنت أستجمع أفكاري فحسب. دخنت أخرى. بدأت القيادة، ثم سمعت هذه الضوضاء، وعدت على الفور.

كان يكذب لأنه كان يشعر بالخزي.

ضحكت أماندا. جاءت ضحكتها قاسية.

ـ اعتقدت أنك مت هناك!

أراد جي إتش الحفاظ على تركيزهم.

ـ إذن لم ترَ أحدًا. أو أي شيء قد يساعدنا في معرفة ما يحدث.

ـ أنت هنا. هيا بنا. فلنخرج من هنا. لنذهب إلى المنزل!

لم تكن أماندا متأكدة مما إذا كانت تعني ذلك، أم أنها تريد أن يتم إقناعها بخلاف ذلك، أم ماذا.

هز كلاي رأسه. كانت كذبة. لقد رأى تلك المرأة. كانت تبكي. هل وجدت من يساعدها؟ لم يستطِع تحمل الاعتراف بأي نوع من الرجال كان عندما تعرض لاختبار. كان من السهل أن يقول لنفسه إن تلك المرأة لا تهم. بالكاد استطاع أن يتذكر شكلها. تساءل عما فعلته عندما سمعت الضوضاء.

ـ لم أرَ أي شيء أو أي شخص. لا سيارات، لا شيء.

ـ هذا ما يبدو عليه الأمر هنا.

حاول جي إتش أن يكون عقلانيًّا.

ـ لهذا نحب المكان هنا. غالبًا لا ترى أحدًا.

كانوا جميعا هادئين.

كانت روث تنظر من النافذة باتجاه حمَّام السباحة.

ـ حل الظلام في الخارج. كان الأمر واضحًا جدًّا فحسب.

وقفت، تابعت:

ـ عاصفة. ربما كان ذلك رعدًا.

ـ لم يكن ذلك رعدًا.

كان الأمر حقيقيًّا، السماء الآن، مثقلة بسحب رمادية ضاربة إلى السواد. لكن كلاي كان يعرف ذلك جيدًا. التفتت روث لتنظر إليهم.

ـ منذ سنوات، أخذني جي إتش إلى الباليه. «بحيرة البجع».

هذا النوع من الأمور التي ادعى كلاي أنها سبب العيش في نيويورك منذ البداية. لكنه كان كابوسًا لوجستيًّا. تذاكر لليلة يتفق عليها الطرفان، مكان

لتناول العشاء الساعة ٦:٣٠، ثمانية عشر دولارًا في الساعة لجليسة الأطفال. كانا مشغولين للغاية، وملتزمين بفكرة التزامهما المفرط. ألا يستطيعان توفير ساعات قليلة من أجل التسامي؟

ـ أتذكر التفكير في البداية، أوه، هذا غريب جدًّا. أشخاص في أزياء متلألئة. كانوا يرقصون لدقائق قليلة، ثم ينطلقون من المسرح، ثم يفعلون ذلك مرة أخرى. اعتقدت أنها كانت قصة، لكن الباليه مجرد مجموعة من الأشياء القصيرة المنظمة بشكل فضفاض حول موضوع لا معنى له منذ البداية.

مثل الحياة، لم يقلها كلاي.

واصلت روث.

ـ طيور بالأبيض وطيور بالأسود، موسيقى جارفة جبارة. اهتممت بالأمر. أعتقد أنها كانت أجمل موسيقى سمعتها في حياتي. كانت هناك تلك الرقصة التي لم أسمع بها من قبل، ولا أعرف لماذا لا يستخدمونها في الأفلام والإعلانات التجارية، إنها جميلة جدًّا. اشتريت الأقراص المدمجة. «بحيرة البجع» بقيادة أندريه بريفين. أتذكر اسم القطعة. «با داكسيون: أوديت والأمير».

ـ لن تسمع أبدًا أي شيء جارف ورومانسي أكثر من ذلك، ثم حلو وحيوي.

ـ احتمال.

لم يكن لدى أماندا أي فكرة عن الباليه. كانت سعيدة لأن المرأة كانت تتحدث، وتملأ الصمت.

ـ كان تشايكوفسكي في الخامسة والثلاثين من عمره عندما أَلَّف موسيقى «بحيرة البجع»، هل كنتم تعلمون ذلك؟ كان ذلك يُعد فشلًا، لكن كما تعلمون، إنها فكرة الباليه ذاتها: راقصة ترتدي زي طائر.

ترددت.

ـ أتذكر أنني كنت أفكر ـ حسنًا، أنها فكرة عاطفية، لكنني أفترض أن لدينا جميعًا أفكارًا كهذه من وقت لآخر ـ إذا كان عليَّ أن أموت، وكلنا نفعل ذلك، إذا كان بإمكاني سماع الموسيقى، أثناء احتضاري، أو لديَّ قطعة موسيقية كنت أعرف أنها ستكون آخر شيء سمعته قبل وفاتي، أو خطرت ببالي أثناء احتضاري، حتى لو كانت مجرد ذكرى لها، أود أن تكون تلك الموسيقى. تشايكوفسكي، هذه الرقصة من «بحيرة البجع». هذا ما أنا جالسة هنا أفكر فيه. على الرغم من أنكم ربما لن ترغبوا في سماع ذلك، لكنني كنت أفكر، اللعنة، لديَّ تلك الأقراص المدمجة في شقتي.

ـ لن تموتي هنا يا روث.

هنا؟ في هذا البيت الصغير الساحر؟ مستحيل. قال كلاي:

ـ نحن آمنون هنا.

كان الأمر مثل اللعب بالهاتف في الطفولة. كانوا يتحدثون فيما بينهم وفقدوا الإحساس بمجرى الأمور.

ـ كيف علمت بذلك؟

كانت هادئة.

ـ الحقيقة، الحقيقة المؤسفة، هي أنك لا تعرف ذلك. لا نعرف ماذا سيحدث. قد لا أسمع أبدًا «با داكسيون: أوديت والأمير»، مرة أخرى. أعتقد أنها لديَّ هنا.

نقرت على صدغها. تابعت:

ـ أعتقد أنني أستطيع سماعها. القيثارة. الأوتار. لكن قد أكون مخطئة. ما لديَّ هنا جميل مع ذلك.

ـ نحن لسنا على المريخ. هناك أناس على بُعد أميال قليلة. سنسمع شيئًا. سمعنا شيئًا. ربما سنسمعه مرة أخرى.

كان هذا هو جي إتش، يحاول أن يكون مطمْئنًا وعقلانيًّا في الوقت نفسه.

ـ سنقود السيارة خارجين إلى الجيران. أو سيأتي شخص ما. إنها فقط مسألة وقت.

ـ لا أريد أن أسمع هذا الشيء مرة أخرى.

تمنى كلاي أن ينكر سماع الضوضاء تمامًا. تمنى لو أمكنه تخيل فعل ما وصفه جي إتش، لكنه لم يستطِع. كان خائفًا. لم يكن يريد الرحيل، ليس لأنه لم يكن متزنًا ولكن لأنه كان خائفًا للغاية.

ابتعدت أماندا عن زوجها، الذي كان ما زال يضع ذراعه عليها، في راحة ذاهلة، ونظرت إلى جي إتش.

ـ هل تعلم، تبدو مثل دِنزِل واشنطن قليلًا.

لم يكن جي إتش متأكدًا من كيفية الرد، كما أنها لم تكن المرة الأولى التي يسمع فيها هذا.

ـ هل سبق وأخبرك أحدهم بهذا؟ واسم عائلتك هو واشنطن! أي علاقة؟

نظرت أماندا إلى زوجها.

ـ اسمه جورج واشنطن. لا أعرف... أنا آسف، أعلم أنها وقاحة.

ضحكت ولم يقل أي منهم شيئًا.

٢٥

من الغرف الأخرى، لم يتمكن الطفلان من سماع ضحك أمهما. من الغرف الأخرى، لم يسمع الطفلان بعودة أبيهما. كان المنزل الصغير جدًّا مبنيًّا بشكل جيد للغاية (جدران متينة للغاية!) ومغريًا أيضًا إلى درجة أنه جعلك تنسى الأشخاص الآخرين تمامًا.

رفع آرتشي حرارة ماء الدش للغاية. كانت خصيتاه مشدودتين للغاية على جسده، صفنهما كثير التعرجات كما لو كان قد خرج للتوِّ من حمَّام السباحة. لانت عضلات ظهره عندما شاهد الماء يلتوي في البالوعة، متسخًا ثم صافيًا. جفف جسده بمناشف بيضاء. ارتدى بنطالًا قصيرًا ونام، حيث، لم يكن قادرًا على مشاهدة مسلسل «ذا أوفيس»، فسلى نفسه بتلك الذخيرة المهمة، الألبوم المخفي على هاتفه. كانت الصور جميلة في الغالب. لم تكن الأشياء التي أحبها آرتشي أكثر من غيرها شديدة الفظاعة. لقد كان يشعر بالغرابة بسبب التكوينات المعقدة للإنترنت: ثلاث نساء، خمس نساء، سبع نساء، قضبان ضخمة (كان قلقًا من أن قضيبه لن يكبر أبدًا)، رجلان، ثلاثة رجال، سفاح القربى، العنف العنصري، البصق، الحبال، المعدات الرياضية، العرض العلني، أضواء المسرح، الإخراج المشوش، حمَّامات السباحة، الألعاب والأدوات التي لم يكن يعرف اسمها، والجمال المفترض للعقاب. لقد أحب النساء فقط. الشعر الداكن والبشرة السمراء. فضَّل أن يكن عاريات

تمامًا، بدلًا من تموضعهن بملابس لتأكيد أجزاء من أجسادهن من أجلك لتراها؛ سترة صوفية مرفوعة فوق ثديين ثقيلين بحلمتين حريريتين، وتنورة منقوشة فوق وركين شاحبين لإظهار ما سماه فرجًا لأنه كان متأكدًا من أنه يعرف الكلمة الدقيقة التي يُسمَّى بها، بناطيل قصيرة من قماش «دينيم» مشقوقة أو ممزقة، وشفاه بارزة. كان يحبها أن تبدو جميلة وسعيدة. أراد آرتشي أن يُسَر ويَسُر.

سحبت روز لحاف سرير والديها حتى ذقنها، ثم فوقه، حتى أنفها، مستنشقة رائحة المطهر وصابون الاستحمام وبشرتها والآثار الباقية من التوقيع الكيميائي لوالديها. كان هذا مريحًا، كلبيًّا تقريبًا. لم يكن كتابها مهربًا (محاكمات المراهقة، خيانات الجسد، رغبات القلب الجديدة) ولكنه تحضير، أحد أعمال أدب الرحلات لفودور عن بلد تخطط لزيارته قريبًا. لكنه لم يستطِع جذب انتباهها. فكرت في هدوء الغابة، الذي ثقبه ذلك الانفجار فوق رأسها. تمكنت بالكاد من تصور غرفة نومها الصغيرة في بروكلين. هزت رأسها لطرد الأمر، لكن ذلك لم يفعل شيئًا.

لم تُرِد الاختباء في السرير. لم تُرِد روز الاختباء على الإطلاق. وقفت وتمددت قدر المستطاع كما قد تفعل بعد نوم الليل المجدِّد للطاقة. مدت ذراعيها وساقيها، وشعرت في كلتيهما بالقوة والحيوية. سارت روز إلى النافذة وحاولت رؤية الأشجار. لم تكن متأكدة مما كانت تبحث عنه، لكنها ستعرفه عندما يظهر، وعرفت أيضًا، أنه سيظهر. في وقت سابق، أرادت أن تثبت أنها قد رأت تلك الغزلان، لكن الأرض لم تظهر أي أثر لها. داست الحيوانات بخفة على هذه الأرض.

كانت تقف أمام الباب الخلفي الزجاجي، تنظر إلى السماء المسطحة، الغيوم قريبة بما يكفي للمسها. رأت أن هناك صدعًا في اللوح الزجاجي وفهمت أن هذا لم يكن موجودًا من قبل. أمر منطقي. كان المطر كما كان دائمًا: مترددًا في البداية، ثم واثقًا. كانت الأشجار كثيفة الأوراق، وكانت

تمتص معظم المياه قبل أن تلمس الأرض. صنع الفائض من المجرى فوق الباب نوعًا من الشلال. ماذا فعل الغزال عندما هطل المطر؟ هل تهتم الحيوانات بالبلل؟ تمنت روز أن تتمكن من السباحة مرة أخرى أو الجلوس في حوض الاستحمام الساخن فحسب. كانت تتمنى الاستمتاع بالإجازة أكثر من ذلك بقليل، ولو لساعة واحدة فقط.

الهاتف في يد وهو في اليد الأخرى، لم يستجِب جسد آرتشي كما هو معتاد. بإمكانه أن يقذف في الحمَّام الصباحي وليلًا في غرفة نومه المضاءة بجهاز الكمبيوتر المحمول، بصوت منخفض. أحيانًا بعد الظهر أيضًا، مكومًا في حجيرة معرضة للتيارات الهوائية تفوح منها رائحة البول، يبصق على راحة اليد. أول حبال القذف، ثم عطسة مختصرة بفعل تلك الأشياء، وأخيرًا قشعريرة جافة، قضيبه أحمر ومتعب وربما يؤلمه قليلًا. كان يقسم دائمًا أن يكف ولكن الأمر يتسلل إليه بوسيلة ما. كانت الحياة!

كانت هناك عاصفة تتشكل في الخارج، وكان الضوء غريبًا، ولكن حتى لو لم يكن كذلك، فلن يكون لدى آرتشي أي فكرة عن كيفية تخمين الوقت. كان يعلم أنه من الغريب أن الناس الذين يمتلكون المنزل قد حضروا، لكنه لم يأبه، أو أنهم بدوا لطفاء. كان السيد واشنطن قد سأله أنواع الأسئلة التي طالما طرحها الكبار، التي بدت لطيفة. تخلى آرتشي عن هاتفه. لقد انزلق في الخواء الجميل. إذا حلم بأي شيء (الضوضاء؟)، فسيكون ذلك بجزء بعيد جدًّا من عقله إلى درجة أنه بالكاد سيطر عليه.

أشَعَر بالدفء؟ حسنًا، لقد استحم للتوِّ. عندما وضع يده تحت خده، لم يخبره ذلك بشيء. إن لمس بشرتك ليس تشخيصيًّا. كان الجسد عبارة عن آلة رائعة ومعقدة، تكاد دائمًا تطن بسعادة. عندما يحدث خطأ ما، كان الجسم ذكيًّا بما يكفي ليتخذ ترتيباته. كان الضوء مشوشًا وضبابيًّا، وامتلأت الغرفة بموسيقى المطر على السطح العلوي والصوت الهادئ السار للأشياء في الفضاء؛ وجود جسد آرتشي وسريره ووسائده وكأس الماء وكتابه

ذو الغلاف الورقي «تسع قصص»، منشفة مبللة مكورة على الأرض مثل حيوان أليف يأخذ قيلولة. كانت مثل آلة الضوضاء البيضاء التي استخدمها والداه للاحتيال عليه وهو رضيع حتى ينام.

كانت روث تغسل يديها فلم تسمع المطر. ثم غادرت حمَّام الضيوف ورأت سقوط الماء وفهمت. لم يكن للنبيذ أي تأثير عليها. لم تشعر بالنعاس أو الهدوء أو التشتت. جمعت ملابسهما المتسخة في كومة صغيرة. كيف زادت كميتها بهذه السرعة؟ كان هناك شيء مريح بشأن اللون الأصفر لمصابيح المناضد الجانبية للسرير والرمادي خارج النوافذ. كان من الممكن أن تندس في هذا السرير وتقرأ كتابًا. حتى إنها ربما تغفو بهذه الطريقة الخاملة التي تفعلها عندما تكون في منزل لقضاء العطلات؛ ليس من أجل الراحة ولكن لأنك تستطيع ذلك.

وبدلًا من ذلك، ذهبت إلى خزانة الملابس في آخر الرواق، ووجدت سلة غسيل على الرف بجوار جميع مؤن جورج، زجاجات النبيذ، تلك العلب المفيدة، تلك الحاويات البلاستيكية القوية التي تحتوي على آلاف وآلاف من السعرات الحرارية. سمحت لنفسها بالتفكير؛ أمر جيد. كانا مستعدين لأيٍّ ما كان هذا. كانت تعتقد أن هذا قد يواسيها، لكنها لم تكن تريد علب الطماطم أو ألواح الطعام الخفيف اللزجة من إنتاج «كايند». كان من غير المجدي التفكير فيما كانت تريده، الذي ربما يفسر عزمها على مجرد فعل شيء ما. ملأت روث السلة بغسيلها القذر. عدلت وضع الوسائد على السرير. أعادت جهاز التحكم عن بُعد الخاص بالتلفزيون عديم الفائدة إلى خزانة الملابس. أطفأت مصابيح القراءة التي لم يكن أحد يستخدمها. استعادت المناشف المبللة من الحمَّام.

كان الأمر حميميًّا للغاية، لكنها كانت تعلم أن عليها دعوة أماندا لوضع ملابسها المتسخة. سيكون استخدامًا أكثر كفاءة للكهرباء والمياه. سيكون حسن جوار، على الرغم من أن هذه الكلمة لا تصف علاقتهما، ربما لا توجد

كلمة يمكن أن تفعل ذلك. عرفت روث أن هناك ما يبرر إجراء محادثة، وعرفت أن هذا سيطالبها بالتظاهر بأنها شخص أفضل مما تشعر به. فكرت في الشعور المُرضي لثقل حفيديها على جسدها.

وضعت روز يدها على النافذة. كان الجو باردًا، كما مال الزجاج إلى البرودة. كان هناك شيء يبعث على الارتياح بشأن سطح حمَّام السباحة، مشوش ومجعد بفعل المطر المستمر. لم يكن هناك رعد، وعلى أي حال، أدركت روز أن الضوضاء التي حدثت من قبل لم تكن رعدًا. لقد رأت الإغراء في تصديق ذلك، لكنها كانت تعرف بطريقتها في سن المراهقة أن الاعتقاد والحقيقة لا علاقة لهما ببعضهما البعض.

لم يكن السؤال ماذا كان هذا، كان السؤال ماذا سيفعلون بعد ذلك. عرفت روز أن والديها لم يأخذاها على محمل الجد، ولم يفكرا في أنها كبرت. لكن روز عرفت أن مشكلاتهما لم تكن مسألة بعض الأصوات فوقهما. رأت ما المشكلة، وستحاول حلها. ثم تذكرت أن والدتها وعدتها أنه عندما تمطر، سيخبزون كعكة، لذلك نسيت روز كتابها وذهبت لتفعل ذلك بالضبط.

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٦

كان من الممكن أن يكون التلفزيون وسيلة تلطيف. كان من الممكن أن يذهلهم التلفزيون، ويسليهم، ويطلعهم على مجريات الأمور أو يساعدهم على النسيان. بدلًا من ذلك يجلس الثلاثة حول جهاز تلفزيون لم يُظهر لهم شيئًا، أوركسترا المطر السارة على فتحة الإنارة، والسقف، والشرفة غير المسقوفة، والمظلة القماشية، وقمة الشجرة، وقعقعة روز ـ «يمكنني أن أفعل ذلك بنفسي!» ـ في المطبخ، ثم الرائحة الكيميائية لكعكتها المحضرة من علبة، منتفخة في فرن الغاز.

ـ علينا ملء أحواض الاستحمام.

لم تكن أماندا متأكدة مما هو مطلوب. كانت تخمن.

ـ ملء أحواض الاستحمام؟

أخذ كلاي الأمر على أنه تعبير مجازي.

خفضت صوتها:

ـ في حالة... انقطاع الماء.

ـ هل ينقطع الماء إذا انقطعت الكهرباء؟

لم يكن لدى كلاي أي فكرة.

لم ينقطع. في اليوم التالي، أو في اليوم الذي بعد ذلك، وبالتأكيد في اليوم التالي لذلك اليوم، وقع بعض سكان الشقق العلوية في مانهاتن في حالة من الهذيان الذي أنذر بإصابتهم بالجفاف في نهاية المطاف.

ـ أعتقد أن ذلك صحيح. مضخة كهربائية تملأ الخزان. لذلك إذا انقطعت الكهرباء، فإن الماء ينقطع أيضًا.

تعجب جي إتش من أن الكهرباء لديهم لا تزال صامدة. لقد نسب الفضل إلى المنزل الصغير المشيد بإتقان، على الرغم من أنه يعرف أنه لا علاقة له بالأمر.

ـ هل تعتقد أن الكهرباء ستنقطع؟

اعتقد كلاي أن اليوم ـ رائحة الإسفنج الأصفر، ونقر المطر ـ بدا طبيعيًّا بشكل مثير للقلق.

ـ إنها تنقطع في العواصف، أليس كذلك؟ أغصان ساقطة؟ وإذا كان هناك شيء خاطئ في المدينة. ثم تلك الضوضاء، مهما كان ذلك. أعتقد أننا محظوظون لأنها ما زالت تعمل، لكن ربما لا ينبغي لنا أن نعتمد على حظنا.

نظرت أماندا إلى زوجها.

ـ اذهب!

نهض كلاي وذهب ليفعل ما هو مطلوب، من دون أن يذكر حقيقة أنها لم تكن أحواضه ولم يكن ماءه.

انحنت أماندا إلى الأمام في مقعدها، نحو جي إتش الجالس في مواجهتها.

ـ ليس هناك رعد. ولا حتى برق. مطر فحسب.

ـ لم أعتقد حقًّا أنه كان رعدًا على أي حال.

ـ إذن ماذا كان؟

كانت تهمس لأنها لا تريد أن تسمع روز. لم تعتقد أن الفتاة غبية، اعتقدت أنها قد تحميها.

ـ ليتني أعرف.

ـ ماذا نفعل؟

ـ أنا في انتظار الكعكة التي تخبزها ابنتك.

ـ هل يجب أن نغادر؟

نظرت إلى الرجل الأكبر سنًّا كما لو كان الأب الذي لم يكن لديها قَطُّ، الذي يمكن أن تثق به للحصول على المشورة السليمة.

ـ ألن نكون أفضل ـ أكثر أمانًا ـ في المنزل، في المدينة، حول أشخاص آخرين؟

ـ لا أعرف.

ـ كنت سأشعر بتحسن إذا عرفت فقط ما الذي كان يحدث.

نظرت أماندا نحو الرواق، واستطاعت سماع دفق الماء في حوض الاستحمام. لم تكن هذه الكلمات صحيحة، لكنها لم تكن تعلم ذلك. عاد كلاي، وهو يمسح يديه على البنطال القصير.

ـ تم الأمر.

ـ هناك حوض في الطابق السفلي. سأفعل نفس الشيء.

أومأ جي إتش بشكره.

كانت أماندا تحاول إقناع نفسها.

ـ إذن هناك ذلك الحوض. لدينا بعض الماء. ونحن حتى لا نحتاجه. ربما لن نفعل ذلك على الإطلاق.

وافق كلاي على ذلك قائلًا:

ـ من الأفضل أن تكون مستعدًّا.

نظرت أماندا إلى زوجها.

ـ هل تعتقد أننا يجب أن نعود إلى المنزل؟

ـ أو يمكننا فحسب العودة إلى البلدة غدًا؟

صحح جي إتش نفسه:

ـ أو الذهاب لأول مرة.

وضع كلاي يديه على ركبتيه. كانت الإيماءة خجولة.

ـ أنا آسف.

سألت أماندا:

ـ ماذا؟

ـ كان عليَّ أن... سمعت الضوضاء وعدت، كنت قلقًا. لكن! لم أرَ أي سيارات.

لم يخبرهم كلاي عن المرأة. تساءل عما إذا كانت تحت المطر.

كان جي إتش متفهمًا.

ـ اعتقدت أنك... لم أكن أعرف ماذا حدث لك. لا ترى سيارات في كثير من الأحيان. هذا يعتمد على المواسم السنوية، على ما أعتقد. لكن المكان هادئ. لهذا السبب انتقلنا إلى هنا في المقام الأول.

لم يرغب كلاي في العودة إلى تلك الطرق المربكة.

ـ أعتقد أننا يجب أن نبقى في مكاننا.

سألت أماندا:

ـ كيف يمكنك أن تقول ذلك؟

تتطلب الأبوة التظاهر بالشجاعة والجرأة والبسالة والتيقن. لقد كانت مجرد غريزة، كانت مجرد حب.

ـ إنها تمطر بغزارة. ربما ليس الانطلاق في عاصفة أفضل فكرة.

كانت أماندا تدفعه:

ـ لا بأس. لكن غدًا.

قال كلاي:

ـ سنذهب إلى البلدة. ثم يمكننا... أن نقرر. إذا انقطعت الطاقة في المدينة، فربما يجب أن ننتظر انتهاء الأمور.

ـ هنا؟

لديهم عقد الإيجار. يبدو أن هذا لا يهم كثيرًا. سوف تستعد أماندا لإظهار إيمانها. ستحزم أغراضهم وتكون مستعدة للمغادرة. كان ذلك بيانًا للهدف.

ـ غدًا. كلاي، أنا وأنت، سنذهب في الصباح. أنا أعرف الطريق.

لم يصدق جي إتش قصة كلاي، وكان محقًّا في عدم تصديقه.

ـ ثم سنرى أين نحن بعد ذلك. إذا كانت هناك كهرباء، إذا كانت هناك مشكلة، ماذا كانت تلك الضوضاء. سنعرف المزيد، وبمجرد أن نعرف المزيد، يمكننا تحديد أفضل شيء نفعله.

نظر إلى الفتاة وهي تقترب من الكبار. شعر جي إتش بنفس الحافز الذي شعرت به أماندا.

ـ الرائحة لذيذة هنا.

قالها بلطف لكنه كان يقصدها بصدق.

ـ إنها تحتاج فقط إلى أن تبرد قبل أن أضع طبقة الزينة العلوية.

ـ هل نضجت بالفعل؟

حاولت أماندا تحديد الوقت.

ـ يجب أن نبقيها لما بعد العشاء.

ـ لقد صنعتها على شكل طبقات، لذا فهي تنضج بشكل أسرع. كعكتان صغيرتان بدلًا من واحدة كبيرة. أتمنى لو كانت لديَّ أشياء لتزيينها. سكاكر صغيرة لنثرها وما إلى ذلك.

ـ قد ترغبين في البحث في مخزن المؤن. اذهبي واطلبي من السيدة واشنطن أن تريكِ أين تحتفظ بكل مستلزمات الخبز. لن أتفاجأ إذا كان لدينا بعض الإمدادات في المتناول.

لم تكن الفتاة مثل ابنته، ولكن من الطبيعي أن يكون هذا هو ما يفكر فيه.

ـ يجب أن أحضِّر شيئًا للعشاء.

اعتقد كلاي أنه تكفير عن فشله السابق. ملأ الأحواض، وسيعد لهم العشاء ويثبت قيمة ذاته.

ـ روز، قبل أن تبدئي في تزيين الكعكة، دعينا نرتب المطبخ.

ـ أين آرتشي؟

أرادت أماندا الطفلين بعيدين عن الأنظار لكنها لم تستطِع إخراجهما من ذهنها.

هز كلاي كتفيه.

ـ ربما يحصل على قيلولة.

ـ يجب أن أوقظه.

كان هناك ذلك الخطر، كما تعرف، في القيلولة المتأخرة؛ الترنح الذي لن يبدده أي شيء. حين كان طفلًا صغيرًا، كان يستيقظ ووجهه مجعد بسبب حشية الفراش، أحمر بسبب إجهاد الراحة، نكدًا وغير قادر على القيام بأكثر من العبوس لمدة عشر دقائق على الأقل. وجهت لجي إتش عبارة «بعد إذنك»، ثم ذهبت إلى باب غرفة الصبي. طرقت أماندا، لأن المراهقين كانوا بحاجة إلى احترام ذلك أولًا (لقد رأت بعض الأمور)، ثم دفعت الباب لتفتحه، قائلة اسمه.

لم يتحرك الصبي، ولم يشعر بحضورها على ما يبدو.

ـ آرتشي؟

بإمكانها أن ترى قوامه، ملتويًا تحت البطانيات.

ـ عزيزي، هل أنت نائم؟

لم يقل شيئًا، هذا إذا كان سمعها، لذا أزالت أماندا الأغطية عن وجهه، وكشفت عن شعره، في حالة من الفوضى العظيمة، ملتف في حلقات في هذا الاتجاه وذاك مثل جذور شجرة قديمة. نعَّمت خصلاته، ووضعت راحة يدها على جبهته برد فعل لا إرادي. هل كان دافئًا بسبب الحمى أم دافئًا بسبب النوم؟

ـ آرتشي؟

فتح عينيه، من دون أن يرمش. نائمًا ثم غير نائم. نظر إلى أمه، لكنها لم تركز.

ـ آرتشي؟ هل تشعر أنك بخير؟

زفر ببطء، أخذ نفسًا طويلًا ومرتجفًا. لم يكن يعرف أين كان، ولم يفهم ما الذي كان يحدث. جلس، هذه حركة فجائية أيضًا. فتح فمه، ليس ليتكلم، بل ليحرك فكه، الذي يؤلمه، أو الذي كان حسب وعيه به، بطريقة بدت جديدة أو مختلفة أو خاطئة.

ـ لا أعرف.

ـ ماذا تقصد؟ كيف لا تعرف؟

سحبت اللحاف للخلف، كاشفة عن هيكله النحيل، وانطلقت حرارة جسده المشعة، قوية إلى درجة أنها يمكن أن تشعر بها من دون أن تضع يدها عليه.

ـ آرتشي؟

أصدر صوتًا، مثل صوت همهمة. انحنى إلى الأمام وتقيأ في حجره.

٢٧

كونك أحد الوالدين جعلك صلبًا. كانت مهمتك صون الجسد، وقد فهمت ما ينطوي عليه ذلك. مشهد القيء كان يجعلها تتهوَّع في الماضي، لكن أماندا تصدت لمشهد قيء طفليها. جعلتها الأزمة عقلانية. نادت على كلاي. لقد غسلت جسد ابنها تمامًا كما فعلت عندما كان صبيًّا.

حين كان طفلاهما رضيعين، لعب كلاي وأماندا دور الدفاع رجلًا لرجل. في ذلك الشتاء القارس الأول، كان كلاي يأخذ آرتشي إلى متحف مدينة نيويورك لوسائل النقل، وهو مكان جذب داخلي ولكنه دائمًا بارد جدًّا، حيث بُني في محطة مترو أنفاق قديمة. كانت أماندا تقطع الشقة جيئة وذهابًا بروزي، التي كانت في أمس الحاجة إلى الثدي، تستمع إلى الألبوم الذي صنعته بيورك عن مدى روعة ممارسة الجنس مع ماثيو بارني. إذا فكرت أماندا في الأمر، فما زال بإمكانها سماع صرير لوح الأرضية تحت قدميها في تلك البقعة القريبة من المطبخ. إذا فكر كلاي في الأمر، فما زال بإمكانه تصور القطارات من عصر أكثر براءة ـ مقاعد الراتان، مراوح السقف ـ متوقفة على مسارات المتحف التي عفا عليها الزمن. جردت أماندا حشية الفراش الملطخة. أخذ كلاي الصبي إلى غرفة المعيشة.

ـ لدينا مقياس حرارة.

روث، الحريصة، كانت قد موَّنت الحمَّام. مسكنات للكبار والأطفال، وضمادات، ويود، ومحلول ملحي، وفازلين.

ـ سيكون هذا رائعًا.

ساعد كلاي الصبي لارتداء كنزته الكبيرة جدًّا. نعَّم شعره المتعرج. جلس بجانبه على الأريكة، ونظرا باتجاه الجزء الخلفي من المنزل، إلى دراما المطر وهو يملأ حمَّام السباحة.

كانت ذاكرة العضلة الأمومية قوية. عادت روث مع اللوازم.

ـ دعونا نقيس درجة حرارته.

وهكذا، أيضًا، كانت غريزة الأبوة. ساعد جي إتش روز في العثور على المؤن المخفية: سكر للطبقة العلوية، أنابيب الهلام المستخدم للتزيين، شموع عيد الميلاد، سكاكر صغيرة للرش في برطمانات بلاستيكية. لم تكن روز مغفلة، ولكنها سعيدة بما يكفي للتسرية عنها. قاما بمسايرة الكعكة حتى وضعاها على طبق، وأدارتها بخبرة تحت الملعقة المنبسطة الثابتة، بطبقة تزيين جامدة وسميكة.

قال كلاي:

ـ شكرًا.

أمسكت روث ذقن الصبي، ووضعت طرف الأنبوب الزجاجي تحت لسانه.

ـ أنت تشعر أنك دافئ. ولكن دعنا نرى فقط كم أنت دافئ.

ـ كيف تشعر الآن، يا صاحبي؟

اعتمد كلاي على هذه العواطف الذكورية عندما كان أكثر قلقًا. سأل بالفعل. وأجاب آرتشي بالفعل. أراد أن يضع ذراعه حوله، أراد أن يطويه داخل جسده، لكن الصبي لن يحب ذلك لأنه قارب أن يكون رجلًا.

ـ أنا بخير.

تمتم آرتشي من خلال مقياس الحرارة، غير قادر على تحقيق ازدراء البلوغ الذي يميزه.

فحصت روث الأداة الملغزة.

ـ مائة و اثنان فهرنهايت. ليس سيئًا جدًّا. وليس جيدًا جدًّا.

ـ اشرب الماء الخاص بك، يا رفيقي.

ضغط كلاي الكأس في يد الصبي.

ـ خذ هذه.

هزت روث قرصين من «التايلينول» في اللحظة التي كان فيها جي إتش وروز يرشان نثار السكر، عمل ثنائي صغير ولطيف.

فعل آرتشي كما طُلب منه. احتفظ برشفة من السائل في فمه، ثم وضع القرصين في ذلك. ابتلع وحاول أن يعرف ما إذا كان حلقه محتقنًا. أراد مشاهدة التلفزيون، أو العودة إلى منزله، أو تغييب نفسه في هاتفه، لكن لم يكن أي من هذا ممكنًا، لذا جلس هناك فحسب، لا يقول شيئًا.

ـ سأذهب لمساعدة أماندا.

كان من دواعي سرور روث أن تكون لديها مشكلة لحلها، أو مشكلة قد تحلها.

ـ استرِح هنا فحسب.

بعد أن وجدت أماندا حوض الاستحمام ممتلئًا بالماء الذي كان من المفترض أن ينقذ حياتهم، أخذت الملاءات المتسخة إلى الحمَّام الرئيسي، وشطفت القيء (الذي كان رحيمًا لكونه مائيًّا) في موضع الدش المكسو بالبلاط. عصرتها كي تجف قدر استطاعتها، لوت القطن حتى خشيت أن يتمزق. كانت غاضبة، وكان هذا الفعل يتوافق مع هذا الشعور. جففت يديها ودخلت غرفة النوم. إلى أي مدى تنتشر بسرعة: تشابك من الملابس الداخلية المتسخة، ومنديل ورقي مستعمل، ومجلة، وكأس من الماء، كل هذه العلامات الصغيرة التي تدل على وجودهم وبقائهم. ميزت الأشجار حياتها بحلقات لا يمكن رؤيتها، أما الناس فميزوها بالقمامة التي تركوها في كل مكان، طريقة للإصرار على أهميتهم. بدأت أماندا في إصلاح خال الغرفة.

ـ دق دق.

قالتها روث مثل شخصية في برنامج تلفزيوني وهي تسير في الرواق إلى الغرفة وسلة الغسيل على وركها.

ـ لا أقصد المقاطعة. اعتقدت أنني سأغسل على أي حال، لذا...

أدت أماندا نوعًا من الانحناء لسبب ما. حسنًا، كانت غرفة المرأة.

ـ أنا آسفة. يمكنني غسل ملاءات آرتشي.

ـ لا تعتذري. فقط ارميهم هنا. يبدو أنه بخير. درجة الحرارة مائة واثنان.

ـ مائة واثنان؟

ـ تبدو مرتفعة، لكنكِ تعلمين أن حرارتهم ترتفع عندما يكونون أطفالًا. تلك الأجهزة المناعية الجديدة قلبًا وقالبًا تعمل لوقت إضافي. أعطيته بعض «التايلينول».

ـ شكرًا لكِ.

ـ يمكنكِ وضع ملابسكِ أيضًا. أنا فقط... بينما لا تزال الكهرباء موجودة.

كان الأمر حميميًّا للغاية، لكن روث كانت تتمتع ببصيرة. سيوفر ذلك لهما مشوارًا إلى المغسلة عندما يصلان إلى المنزل. لم تكن أماندا تعلم أن المغسلة كانت مغلقة. لم تكن تعلم أن الرجل الصيني الذي أدارها كان داخل المصعد الذي كان يحمل الركاب بين البوابات الدوارة والرصيف في محطة القطار «آر» في «بروكلين هايتس»، وأنه كان هناك لساعات، وأنه سيموت هناك، على الرغم من أن ذلك لم يزل بعد عدة ساعات في المستقبل.

ـ هذا تصرف ذكي. شكرًا لكِ.

تأملت إحداهما الأخرى كما لو كان من المفترض أن تتبارزا. ربما كان هذا حتميًّا. أشفقت روث على المرأة. عرفت ما هو مطلوب منها وكرهته. كان عليها أن تتظاهر بطريقتها لتكون شخصًا صالحًا. لكن ماذا عن مايا والولدين؟

ـ كما تعرفين، يمكنكِ البقاء. إذا أردتِ.

البيت الصغير كطوف نجاة. الجهل كنوع من المعرفة. هذا لم يُغرِ أماندا. أبدية (كأنها مُنحت) مع هؤلاء الناس. ما زال جزء منها يتساءل عمَّا إذا لم تكن هذه عملية احتيال أو تضليل. كان تعذيبًا، اقتحام منزل من دون اغتصاب أو سلاح. ومع ذلك، كانت هذه المرأة أقرب حليف لأماندا. هزت رأسها.

ـ يحتاج آرتشي إلى طبيب.

ـ ماذا لو كنا جميعًا نحتاج إلى طبيب؟ ماذا لو كان بداخلنا؟ ماذا لو كان شيء ما يبدأ، أو أن كل شيء ينتهي؟

لم يكن هناك مفر من هذا النص الفرعي. ظل الناس يطلقون على الأمازون اسم رئتي الكوكب. كانت المياه التي تصل إلى الخصر تتطاير على الرخام الفينيسي، وكان السائحون يبتسمون ويلتقطون الصور. كان الأمر مثل اتفاق ضمني. تنازل الجميع عن أشياء تتداعى. من المعروف أن الأشياء التي كانت سيئة تعني بالتأكيد أنها كانت في الواقع أسوأ. لم تكن روث من هذا النوع، لكنها شعرت بالمرض يتفتح داخل جسدها. كان في كل مكان، أمرًا لا مفر منه.

ـ لا أستطيع التفكير فيما لا نعرفه. أنا بحاجة إلى التركيز على هذا. آرتشي يحتاج إلى طبيب، سآخذه إلى الطبيب صباح الغد.

ـ لكنكِ خائفة. أنا خائفة.

ـ هذا لا يؤدي بنا إلى أي مكان. لا أستطيع البقاء هنا. لا أستطيع الاختباء. أنا أمه. ماذا بوسعنا أن نفعل غير ذلك؟

جلست روث على حافة السرير. لم تستطِع الذهاب إلى البلدة أو إلى أبعد منها، إلى نورثهامبتون. أرادت أن تستلقي على سريرها فحسب.

ـ أظن أنكِ محقة.

ـ قولي شيئًا يجعلني أشعر بتحسن.

كانت أماندا تبحث عن صداقة أو إنسانية أو اطمئنان أو راحة.

وضعت روث ساقًا على ساق ونظرت إليها.

ـ لا يمكنني فعل ذلك. المواساة.

أصيبت أماندا بخيبة أمل على الفور.

ـ ربما أحتاج إليها. المواساة.

كانت متلهفة إلى غسل الملابس. رائحة الصابون المحايدة، هدير الماء.

ـ لذلك لا يمكنني توفيرها. لكن ابقي. أعتقد أنه يجب عليكِ ذلك. أعتقد أنه أمر منطقي. حتى لو لم أستطِع أن أجعلكِ تشعرين بتحسن. لا أستطيع أن أقول لكِ شيئًا حكيمًا وكنسيًّا.

ـ أعلم... أعلم أنكِ لا تستطيعين.

ـ على الأقل لديكِ طفلاكِ هنا معكِ. لا أعرف ماذا يحدث لابنتي. لا أعرف ماذا يحدث لحفيدَيَّ. لا نعرف أي شيء عن العالم. هذه هي الحال.

عرفت أماندا أن هذه هي الحال دائمًا. لم تستطِع إلا أن تتمنى لو كان الأمر بخلاف ذلك. كانت رائحة ملابسها قيء ابنها، ورائحة الهواء كعكة ابنتها.

ـ هيا بنا نأكل شيئًا ما. سأستحم، وبعد ذلك يجب أن نأكل شيئًا. وأعتقد أن ذلك سيساعد.

لا، لم يكن الأمر كذلك تمامًا.

ـ لا يمكنني التفكير في فعل أي شيء آخر.

٢٨

كان هناك شيء احتفالي تقريبًا حول هذا الأمر. مشروب قبل الحرب. يمكن النظر إليه بطريقة ما، كان هادئًا، كان مغريًا، كانت عطلة. أخرجت الباسلة روث علبة من حساء الدجاج، الذي تناوله آرتشي على مضض. دسته أماندا في فراشه المعاد ترتيبه. تذكرت الباسلة روز: لقد حمَّلت فيلمًا على كمبيوتر أمها المحمول قبل سنة. لم تكن مهتمة به إلى هذه الدرجة، لكنه كان أفضل من لا شيء. أرسلتها أماندا إلى الفراش مع شريحة من الكعكة وجهاز كمبيوتر هُجر تقريبًا، وقضى الأربعة الكبار أمسية للبالغين، أو الصراحة التي لم يستمتعوا بها عندما كانت الآذان الصغيرة تستمع. تصفح جي إتش عددًا قديمًا من مجلة «إيكونوميست». ملأت روث زبديات خزفية بالجزر الصغير والحمص. جالست أماندا كأسًا من النبيذ. وقف كلاي على وحدة المطبخ الوسطى، يرتجل مكرونة بالسجق.

خفت حدة المطر، وجفت الشرفة غير المسقوفة تحت الأفاريز. لكنهم كانوا يتناولون الطعام في الداخل، ليس خوفًا من البعوض في النزع الأخير من نهاية الموسم. هددتهم الغابة. كان القمر يعلو في السماء، أصفر شاحبًا، فخورًا من خلال السحب المتكسرة. لم تكن هناك هزة ارتدادية للضوضاء، أو كانت موجودة، وكان كل شيء في رؤوسهم.

ربما ما سمعوه هو السماء نفسها تتصدع، كما تنبأت «هيني بيني»(*). بدا أمرًا مرجحًا مثل أي شيء. لم يعرف أحد ما الذي كان يحدث لهم، وربما بسبب ذلك كان الطقس الذي يمارسونه مبهجًا بشكل غريب، أو ربما كانت هستيريا جماعية، أو ربما كان نبيذ «شاردونيه»، باردًا وبلون عصير التفاح.

بدا الطقس بأنه ممارس أو مألوف مثل عيد الشكر، تمرير الطعام على الأطباق، وملء الكؤوس، والثرثرة. هل رغب أحد في سماع قصص جورج؟ خسر عميل ثروة عندما اكتُشف أن لوحة للفنان باسكيا كانت مزورة، الرجل الذي حول مئات الآلاف من الدولارات إلى ابنه البالغ من العمر سبعة أشهر لتفادي اتفاقية ما قبل الزواج، الرجل الذي فقد ثلاثة ملايين في ماكاو، العميل الذي احتاج إلى نقود لدفع أحد أفراد فريق «نيويورك يانكيز» ليبارك حفل بلوغ ابنه وفقًا للشريعة اليهودية [«بار ميتزفا»]. كانت قصصه عن المال وليس الرجال. المال مهيب وغير عقلاني وتقريبًا قادر على كل شيء. اعتقد جورج أن المال يمكن أن يفسر الذي كان يحدث لهم، وأن الوقت سينبئ ما إذا كان المال سينقذهم منه. إذا غادر هؤلاء الأشخاص في اليوم التالي، فسيتعين عليه أن يتذكر منحهم ألف دولار مقابل العناء الذي تكبدوه. لم يكن جي إتش متأكدًا مما إذا كان يعتقد أنهم سيغادرون، على أي حال.

الحلوى، لمَ لا؟ كانت هناك أجواء من النهاية، على الأقل بالنسبة إلى كلاي. كانت الملابس التي أصبحت نظيفة الآن تتدحرج في حضن المجفف الحار الذي تبلغ تكلفته أربعة آلاف دولار. اعتقد أن حمى آرتشي ستنكسر، واعتقد أنه سيسأل جي إتش عن الاتجاهات، رسم بالقلم الرصاص،

(*) شخصية خيالية من كتاب أطفال بنفس العنوان، هي دجاجة تقع عليها حبة ذرة فتظن أن السماء تسقط. (المترجمة).

الخلاص الآمن. اعتقد أن الصباح سيأتي ويفاجئهم بجماله وسيتوجهون إلى المنزل.

قطعوا كعكة روز. وضعت روث عبوات الآيس كريم سعة نصف لتر على الطاولة. كان المطبخ المجهز جيدًا يحتوي على ملعقتين من الفولاذ المقاوم للصدأ لغرف الآيس كريم. كانت هناك أطباق كافية لملء الغسالة.

قالتها أماندا:

ـ حسنًا، ما زالت الكهرباء تعمل.

توقفتَ عن ملاحظة شيء مثل تدفق الكهرباء، شيء لا يمكنك رؤيته ولكنك تستمد منه بعض الراحة، مثل الله. كان الماء يتسرب ببطء، وببطء شديد، من حوض الاستحمام في حمَّام الأطفال، لكنها لم تكن تعلم ذلك.

تحولت المحادثة إلى الأماكن التي سافروا إليها. قال جي إتش هازئًا:

ـ لا بد أنك حظيت بإجازات ممتعة أكثر من هذه الإجازة.

فكرت أماندا في تلك الأماكن حيث لا تُظلم الليالي أبدًا؛ هلسنكي، سان بطرسبرج، مدن صغيرة في ألاسكا بنيت لرجال يُدفع لهم للقيام بأشياء للأرض. كانت تخشى عودة تلك الضوضاء، التي لا يُدرك كنهها في الظلام. لم يعرفوا شيئًا بالفعل.

ـ ديزني؟

ضحكت. كرهت الأمر في ذلك الوقت لكنها تعتز بالذاكرة.

قال كلاي:

ـ تقيأ آرتشي أيضًا.

أراد أن يفكر في الأمر على هذا النحو؛ تلك العطلة تعني أن الأطفال يستسلمون بشكل طبيعي للفيروس. آرتشي دائمًا ما يتقيأ! آرتشي، كُف عن ذلك! كان هذا أكثر متعة من الاعتقاد بأن آرتشي مريض.

تحدثت روث عن باريس. كانت تقضي مع مايا وقتًا لتناول الشاي في

فندق «جورج الخامس»، وقاستا الأحذية في «جاليريا لافاييت»، وركبتا دوامة الخيل في «توليري»، على الرغم من أن مايا البالغة من عمرها ثلاث عشرة سنة عدَّتها أقل من مستواها.

ـ مدينة رائعة كما قيل لك دائمًا.

ـ يجب أن نفعل ذلك في عطلة الشتاء. باريس جميلة جدًّا إلى درجة أنك لا تهتم حتى إذا كان الجو باردًا. رأى كلاي طفليه على شرفة برج «إيفل»، ينفثان أنفاسهما المتجمدة وهما يستعرضان العالم تحت أقدامهما. لقد تذكر لقطات لفيضانات باريس، متى حدث ذلك؟ نقل متحف «اللوفر» ٣٥ ألف عمل فني حتى لا يدمرها نهر «السين».

ـ سنرى منسوجات «السيدة ووحيد القرن».

ـ تبدو غالية.

أخافت الوعود الفارغة أماندا. ماذا لو كانت حربًا، كبيرة بما يكفي لتوريط العالم بأسره، وأصبحت الحدود الوطنية مثل جدران القلعة؟ لم تكن تعلم أن الأمر أسوأ، أن الحرب لا يمكن أن تصفه. تلك الطائرات قد أرسلت من روما إلى نيويورك لتلتقي بأخرى تقترب من غرب أفريقيا. معلومات استخباراتية مضللة: انتهى بهم الأمر بإزهاق أربعمائة روح غريبة قبل أن يقتربوا من حدودنا بما يكفي لملء أوراق الهجرة الخاصة بهم. اعتادت وتيرة الأشياء أن تكون أبطأ. الآن لم يكن على أحمق ما أن يطلق النار على أرشيدوق؛ كل يوم كان عبارة عن معمعة من الغرابة شبه المتزامنة.

فرغت علب الكرتون. أعجب الجميع بالكعكة المصنوعة من علبة. تجمدت لطخات الشوكولاتة على الصحون. عندما يحل الظلام الحقيقي، ستضرب مخلوقات الليل المجنحة بهدوء على الزجاج، ستُنقر مفاتيح الأضواء الخارجية، لتضيء الأغصان فوقها. استقر الصمت، واحدة من تلك الفترات الطبيعية التي نشهدها أحيانًا في المطاعم أو في الحفلات عندما يهدأ الحديث وتميل الصحبة المتجمعة إلى الأمام، متوترة كأنها تسمع شيئًا

بالكاد يمكن تمييزه. لم يتبقَّ بيض في الثلاجة، لكن ربما بإمكانهم تقديم الحبوب على الإفطار.

قرروا، من دون مناقشة، الجلوس ببساطة والشعور بالرضا. عبث جي إتش بكأسه. ارتعد كلاي بتلك الرغبة الملحة في تدخين سيجارة، وكانت قوية جدًّا إلى درجة أنها كانت مخيفة بعض الشيء. كان عليه أن يواجه حقيقة أنه كان ضعيفًا. نظرت روث نحو النافذة وعلى الأغلب رأت انعكاس صورتها. استعادت أماندا زجاجة الفودكا التي اشترتها يوم وصولهم.

قطع جي إتش الليمون إلى شرائح، عملات صفراء، غنية بالنكهة.

عندما وصلت أماندا إلى قاع الكأس الأولى، حفرت أصابعها خلال الثلج ووضعت الحمضيات على لسانها كما فعل الكاثوليك بجسد المسيح. متحولة إلى شخص جديد. كانت ثملة. كانت القصة هي حجم صوتها.

ـ سأحصل على كأس أخرى.

كان هذا أمرًا أكثر من طلب.

صب جي إتش:

ـ بكل سرور.

فاح كلاي برائحة السيجارة التي عاد لتوِّه من الاستمتاع بها، على الرغم من أن المتعة لم تكن جزءًا كبيرًا منها. تآمُر الصراصير. احتمالية وجود شيء ما هناك. كان يأمل أن يرى إضاءة مصابيح أمامية، ربما طائرة تعبر السماء. كانت هناك دراسات انتهت إلى أن الحبس الانفرادي يجعلك مجنونًا. لقد افتقد وجود البشر الآخرين، وكان يرسم مظهرًا خارجيًّا شجاعًا لأن هذه كانت وظيفته كرجل.

ـ جورج، هل ترسم لنا خريطة؟ غدًا؟ ستدلنا على الطريق. من الواضح أنه لا يمكن الوثوق بي.

ـ سأقود السيارة إلى البلدة. بإمكانك أن تتبعني.

لم تقل روث أي شيء.

كانت أماندا خائفة من أن تتحدث بشكل مدغم ومن أن تبدو ثملة أكثر مما عرفت أنها كذلك. كانت امرأة تسيطر على الأمور.

ـ هل ستعودان... إلى هنا؟

ـ نعم، سنفعل.

ستذهب روث معه. لن تبقى هناك بمفردها. أرادت منهم المغادرة والبقاء. ليس بوسعها أن تكون غير مبالية، مع أنها أرادت أن تكون كذلك. لم تكن تريد أن تشعر بالذنب.

ـ أتمنى لو كنت أعرف الطرق المؤدية إلى نورثهامبتون.

كان جي إتش متحفظًا:

ـ إنها بعيدة. نأمل فقط أن الهواتف...

لم يكلف نفسه عناء الاستنتاج.

ـ علينا الاهتمام بآرتشي...

قال تلعثُم أماندا ما يجب قوله. كان الصبي مريضًا. لا يهم سبب ذلك، المهم فقط ما فعلوه حيال ذلك. كل تلك السنوات من القلق بشأن حاقن «الإبيفيرين» الذاتي المكلف، المثبت على جانب جسد الصبي، مثل الرئيس والشفرات النووية، ويُدمر آرتشي بسبب ضوضاء! مهمتك كأحد الوالدين لم تتعلق قَطُّ بمعرفة ما الذي سيؤذي أطفالك، ولكن فقط معرفة أن شيئًا ما، حتمًا، سيفعل ذلك.

ـ قبل أن تذهب، سأعيد لك نقودك.

كان جي إتش عادلًا، أو كان الاتفاق اتفاقًا. كان يشرب الفودكا أيضًا. اتحد الأربعة في بحثهم عن سلام مؤقت مصنوع من النسيان. كاد الأمر ينجح، كاد أن ينسى سبب وجودهم معًا في المقام الأول.

ـ لن أنسى ذلك، يمكنني أن أؤكد لك.

حاول كلاي أن يجعل من الأمر مزحة. ربما احتاجوا هذا المال لدفع الفواتير الطبية. ربما احتاجوا هذا المال لاستبدال ثلاجة مليئة بالأطعمة

المتعفنة. ربما ستحب محررته في «نيويورك بوك ريفيو» مقالته إلى درجة أنها ستعرض عليه عقدًا. أي شيء، أي شيء، كان ممكنًا. وضع يده على يد زوجته ليخبرها أنه يعتقد أنهم يتخذون القرار الصائب.

ـ سنكون جميعًا بخير.

لم تكن أماندا تخاطبه وحده، وكانت ثملة بما يكفي كي لا تهتم بأن هؤلاء الناس متورطون. كانوا عائلة الآن، أو شيئًا من هذا القبيل.

ـ إذا كانت هذه آخر ليلة لكِ في إجازتك، فيجب أن تستمتعي بها.

كدست روث الأطباق المتسخة واحدًا فوق الآخر، وتركت جانبًا حقيقة أنها استمتعت باستعادة النظام. أصبح هؤلاء الناس أصدقاءهما، وضيوفهما، وروث المضيفة، واحتاجت فقط إلى تنظيف الطاولة.

ـ نخب الاستمتاع. للاستمتاع بالعطلات. للاستمتاع بأي لحظة في الحياة، على ما أعتقد. الاستمتاع بلحظة انتصار. أعتقد أننا بحاجة إلى التمسك بتلك اللحظات.

رفع جي إتش كأسه. كانت اللفتة صادقة.

ـ سأستمتع، سأستمتع.

شعرت أماندا أنها دفاعية. مثل القول: أنا أستمتع بوقتي، أنا أقضي وقتًا طيبًا. يعتقد المتفائلون أن بإمكانهم تغيير العالم. ظنوا أنك إذا نظرت إلى الجانب المشرق، فإن الجانب الأقل إشراقًا لن يكون موجودًا بعد الآن.

ـ هذا ليس طلبًا، إنه دعوة.

شعر جي إتش بالراحة. لم يستطِع الانتظار لرؤية حالة البورصات. لم يستطِع الانتظار لمعرفة من الذي أصبح ثريًا، لأنه في مثل هذه اللحظات، شخص شجاع أو محظوظ فحسب يفعل ذلك دائمًا. كان يأمل أن يصبح الليل أكثر برودة. أراد أن يقف في الخارج ويرتجف، ثم يغرق في حوض الاستحمام الساخن وينظر إلى الأطراف السوداء للأشجار.

أعادت أماندا ملء كأسها بالشراب. أرادت مزيدًا من الآيس كريم،

الحلاوة الباذخة في فمها. لم يكن هناك المزيد، ولكن كان هناك عدد من «الدونت»، وكانت هناك عبوة من الكعك، وكانت لديها خيارات. كانت تعرف قبل ذهابهم للنوم في تلك الليلة أنها ستتسلل إلى المطبخ، وتمزق كل ما وجدته، كفين ممتلئتين ببسكويت «جولدفيش» المملح، والجبن الأمريكي الطري، وتغمس إصبعًا في الحمص. عندما وقفت، تحركت الغرفة، قليلًا. ثبتتها الطاولة تحت أطراف أصابعها.

أغلقت روث باب غسالة الصحون، راضية.

ـ أعتقد أنني سآخذ شرابًا آخر.

وقفت أماندا.

ـ يجب أن أطوي الغسيل. ربما أحزم أغراضنا.

ـ يمكنني مساعدتكِ. في الطي. يمكننا الطي. حزم الأغراض... فلنبدأ خطوة بخطوة.

قالت أماندا:

ـ أعتقد أننا يجب أن نكون مستعدين.

ـ ربما سنتناول مشروبًا كحوليًّا أخيرًا في وقت لاحق؟

شعر كلاي أن ذلك كان تصرفًا لائقًا. ربما كانت هذه آخر ليلة لهم معًا. بدا أنهم كانوا معًا لأسابيع. لقد كان يومًا واحدًا.

في غرفة النوم، عملتا في صمت. فُرزت الملابس، التي كانت لا تزال دافئة، في أكوام مرتبة، وأسقطت في قاع حقيبة من القماش الخشن.

ـ يجب أن أتذكر أن أذهب إلى الخارج وأحصل على نعال الجميع.

ـ دعينا فقط نتوخى الحذر.

ـ أنا أحزم أغراضي. لن نعود إلى هنا. نحن ذاهبون إلى المنزل.

فهم كلاي إصرارها. إذا كانوا يعتقدون ذلك، فسيكون كذلك. أخذ سروالًا داخليًّا نظيفًا من الخزانة ذات الأدراج ووضعه فوق الفراش.

ـ لقد كان يومًا غريبًا. أنا بحاجة إلى الواقع.

جلست أماندا على الفراش.

ـ يومٌ شعرت وكأنه أسبوع.

ـ هل من الممكن أن نكون مدمنين هواتفنا؟ إدمانًا فعليًّا؟ لأنني أشعر بتوعك.

كان كلاي يشحن هاتفه، أراد التأكد من أنه جاهز عندما تعود الشبكة إلى الاتصال بالإنترنت.

قلقت أماندا.

ـ ماذا لو سببت لنا هذه الضوضاء المرض؟

ـ من الممكن ذلك.

ماذا لو سقط الشعر من رأسه، كما حدث لمرضى العلاج الكيميائي في البرامج التلفزيونية، ماذا لو تقشرت أظافره المرنة لتكشف عن أنعم جزء من جسده، ماذا لو تجوفت عظامه وضعفت، ماذا لو جرى السم في دمه، ماذا لو كمنت الأورام في الفراغ خلف مقلتيه، ونمت ببطء مثلما ملأت رئتا أماندا لعبة حمَّام السباحة القابلة للنفخ تلك، نفَس واحد، ثم التالي، حتى أصبح الورم كرة لينة تضغط على محجر عينه؟

ـ وهؤلاء الناس.

همست بهذا. كانت تخونهم. كرهت جورج واشنطن (أي نوع من الأسماء ذلك الاسم؟) وكرهت روث وألقت باللوم عليهما في جلب العالم إلى هذا المنزل. أرادت أماندا أن تكون مربوطة بأمان بحزام المقعد الأمامي، ويدها اليسرى تهيم بلا وعي للضغط على ذراع كلاي اليمنى، الهاجعة فوق ذراع نقل السرعات. أرادت الابتعاد عن هذا المكان وهؤلاء الناس.

كان الخوف أمرًا خاصًّا. كان بدائيًّا. كان شيئًا ترعاه لأنك اعتقدت أنه يمكنك نزع فتيله بهذه الطريقة. كيف يمكن أن يستمرا في حب أحدهما الآخر، بعد أن أدركا أنهما لا يستطيعان إنقاذ أحدهما الآخر؟ لا يمكن لأي شخص إيقاف إرهابي عازم، أو إيقاف التغيير التدريجي في درجة الحموضة

في المحيطات. ضاع العالم، ولم يكن هناك شيء يمكن أن يفعله كلاي أو أماندا حيال ذلك، فلماذا نناقش ذلك؟

بمعنى آخر: انتهى العالم فلماذا لا نرقص؟ سيأتي الصباح فلماذا لا ننام؟ كانت النهاية حتمية، فلماذا لا نشرب، نأكل، نستمتع باللحظة، مهما كانت؟

ـ هل تعرفين ما أود فعله؟

سحب كلاي قميصه فوق رأسه وألقاه إلى أماندا لتضعه على كومة الأشياء القذرة، مبتسمًا ابتسامة عريضة ومنتفخًا.

٢٩

ربما كانت أماندا جشعة. أحيانًا، لأنك لا تعرف ماذا تفعل غير ذلك، تمارس الجنس. يمكن أن يجعلها كلاي تشعر بتحسن، ليس نفسيًّا ولكن جسديًّا. لقد تركته يحملها بعيدًا عن نفسها. كانت في الجسد بعيدة عن العقل. فتحت نفسها للأمر، مع أن الفودكا ربما ساعدت على ذلك. وافقت. بل أكثر. أرادت ذلك. دفعت ملابسها الداخلية الرطبة لتخلعها. استلقت على اللحاف الأبيض الناصع. سقطت الملابس التي كانت تحزمها على الأرضية الخشبية.

تذكَّر القميصُ الذي ارتداه كلاي العرق المفاجئ، استجابة الخوف لتلك الضوضاء. دفنت أنفها في إبطه وأغلقت عينيها. تتبعت الجزء الداخلي من فخذه وذاقت الملح. كانت الأصوات التي أصدراها قريبة من الصراخ. لم يبدُ الأمر أنه مهم، لا شيء بدا أنه مهم. سمحت للأصوات بالارتفاع من مكان ما في أعماق صدرها، كما تخيلت أن مغني الأوبرا يفعلون ذلك. صفق الجسد على الجسد. التصق الشعر على الجلد بالبصاق. فرصة النسيان.

فكرت أماندا في أسوأ الأشياء، هذا ما كان عليه الخيال الجنسي. قضيب واحد، قضيبان، ثلاثة، أربعة! فكرت في أن جي إتش يراقبها من عند العتبة، ثم يدخل إلى الغرفة كي يقدم بعض الاقتراحات، كي يشجع كلاي على المضاجعة التي يقوم بها، كي ـ بالتأكيد ولمَ لا؟ ـ يضاجعها بنفسه. ضاجعي،

ضاجعي، انسي. وصلت إلى الذروة مرة، مرتين. ما بقي على بطنها كان كافيًا لملء كأس شراب صغير، كان ذلك عمل شاب. كان كافيًا لإنجاب طفل. أنت بحاجة إلى القليل جدًّا لإنجاب طفل. يمكنهم إنجاب طفلين، ثلاثة، عشرة، جيش من الأطفال، نسخ بديلة من الطفلين اللذين لديهما بالفعل، ببشرة وردية ونظيفين وأصحاء وأقوياء، نظام عالمي جديد لأن العالم القديم كان خارج النظام. دعمت أماندا نفسها للنهوض على مرفقيها. انزلقت الأشياء عليها مثل الحلزون على البردي، على ذلك اللحاف الأبيض الجميل.

كان كلاي منقطع الأنفاس. كانت مضاجعتها بهذا الشكل مثل نفخ خمسين عوامة في حمَّام السباحة. في بعض الأحيان أمكنه تصور ورم مزدهر في رئتيه، أسود ورهيب. ومع ذلك، لا يمكنك العيش من دون مخاطر. استلقى على بطنه، ثم تدحرج على ظهره. كان للعرق على جلده تأثير التبريد المقصود.

ـ أُحبكِ.

ظهر صوته أجش بعد كل تلك الزفرات ونداءات الحث. لم يشعر بالخوف مما فعلاه توًّا. شعر بالإحياء. فكر في روث وتعهد أنه عندما يعودان إلى شقتهما، سيستمع إلى «بحيرة البجع». لقد أحب أماندا، أحبها، أحب. أنت تتحمل ما دامت الحال هكذا.

شعرت أنه من عدم الصدق أن ترد تصريحًا بالحب. كان الصدى مجرد خدعة فيزيائية. شعرت بالحرية.

ـ أنا قلقة بشأن آرتشي.

ربما كانت هذه أفضل مرة مارسا فيها الجنس، على الرغم من أن المتعة، مثل الألم، سرعان ما تُنسى.

ـ سيكون بخير. سنعود إلى المنزل، وسنذهب إلى الدكتور ويلكوكس.

نكزت البقعة على مفرش السرير، قلقة.

ـ من يهتم بذلك؟

غمس إصبعه في السائل المنوي مثل الريشة في الحبر. كتب حروفًا وهمية على بطنها.

ستجرد هذا الفراش أيضًا، وتترك البياضات على أرضية غرفة الغسيل.

ـ ربما عندما نعود يمكننا القيام بشيء مميز. إنها لا تزال عطلتنا. يمكننا القيادة إلى «هوبوكين» والنزول في فندق به حمَّام سباحة على السطح. أراهن أن ذلك سيكون رخيصًا.

ـ أريد أن أتوقف عند مطعم صغير في الطريق إلى المنزل.

كان كلاي جائعًا في ذلك الوقت.

ـ أحد تلك الأماكن قديمة الطراز. الكروم. صندوق الموسيقى. طبق اللحم المقطع مع البطاطس والبصل.

الأشياء الوحيدة التي أرادها المرء أبدًا هي الطعام والمنزل.

ـ مكان قريب لقضاء الإجازة. السينما. الذهاب إلى متحف «متروبوليتان» للفنون. عشاء في مطعم صيني يقدم خدماته للجالسين على الطاولات، مع أواني الشاي الفضية وشرائح البرتقال عندما يحضرون الفاتورة.

كانت الحياة التي عاشوها مثالية.

تخيل كلاي نهاية مدينة صيفية: وميض الحرارة، والتقطير من وحدات التكييف على النوافذ في الأعلى، وجوقة شاحنات الآيس كريم، ومباني إدارية تُسرب تكييف الهواء على الأرصفة الرطبة حيث كان السائحون البدينون يتجولون بدهشة. سيكون ذلك كافيًا بالنسبة إليه. كانت أسطح العمل الرخامية والمسبح المثالي ومفاتيح الإضاءة التي تعمل باللمس كلها حسنة وجيدة، ولكن مهما كان البيت متواضعًا، فلا يوجد مكان مثل البيت، إلخ.

ـ أنت لا تعتقد أن أي خطب أصاب روز، أليس كذلك؟

لحظة استسلام أقصر من النشوة الجنسية.

بدأ كلاي في رد فعل تلقائي بالقول إن كل شيء على ما يرام، لكنه لم يصدق ذلك، وعلى أي حال، في الواقع، لم يكن التصديق مهمًّا.

ـ بدت لي بخير. هل لاحظتِ شيئًا؟

ـ لا.

ابتلعت أماندا لعابها، وضعت يدها على حلقها. هل أصابها خطب ما؟

ـ هل أنتِ بخير؟

ـ أشعر أنني على طبيعتي. أشعر أنني لم أتغير.

لم يكن كلاي أكثر الرجال ملاحظة قَطُّ.

وقفت أماندا. مسحت بطنها بأحد سراويله الداخلية المطوية. أظهرت ذراعاها وساقاها وخصرها سن الثالثة والأربعين. كان هناك ذلك التموج، التجعد الرقيق للحم الزائد، العطاء الخفي، على الرغم من أنه كان لطيفًا في يدك، ناعم الملمس. بطبيعة الحال، كانت هناك أيام تقوقعت فيها، ولم ترغب في أن يراها أحد. كانت في الغالب امرأة مهتمة بالاندماج. الطريقة التي صففت بها شعرها، أنواع الملابس التي فضلتها. كانت أماندا تتبع نموذجًا. لم تكن تخجل من ذلك. ولكن كانت هناك لحظات ـ هذه إحداها ـ شعرت فيها بالتفرد والكمال. ربما كانت مجرد انعكاسات محسوسة للنشوة الجنسية فحسب. كانت أماندا شيئًا جميلًا أن تراه. ملطخة ومتعرقة ومتهدلة، ناعمة أيضًا وناضجة ومرغوبة. كان البشر وحوشًا ولكنهم كانوا أيضًا إبداعات مثالية. شعرت بما يُسمى الجاذبية الجنسية ولكنه في الحقيقة مجرد رضا الحيوان عن أنه حيوان. لو كانت غزالًا، لقفزت فوق غصن. لو كانت طائرًا، لارتفعت في السماء. لو كانت قطة منزلية، لمررت لسانها على جسدها. كانت امرأة، فمطت نفسها وحولت وزنها من ساقٍ إلى أخرى مثل تمثال من عصر سحيق.

ـ دعينا ندخن.

كلاي، المراهق، كان فخورًا بأدائه، كما لو أنه رمى الجلة أو أحرز هدفًا في مباراة كرة سلة. لوثت أماندا ملابسه الداخلية، لذا تبختر إلى الباب عاريًا. لم يكن في الأمر رشاقة. شوش قضيبه التناسق، إهانة للجمال.

ـ ارتدِ ملابسك.

ـ ما المشكلة في الجلوس عاريًا والتدخين في هواء الليل؟

ـ حسنًا... روث وجي إتش.

ـ من يهتم؟

جذب كلاي الباب ليفتحه، لكن أماندا هي التي لاحظت: قطع في سطح الزجاج. صدع كان أكثر من مجرد عيب. كان رقيقًا لكنه عميق، ممتد لبوصات، شق، في مكان مؤجر.

ـ انظر إلى ذلك.

ألقى كلاي نظرة على الزجاج. وضع يده في يدها.

ـ لم يكن هذا هنا من قبل.

خفضت صوتها، غير راغبة في أن يسمعها أحد.

ـ هل أنتِ متأكدة؟

غمغمة، شفتان متجعدتان حول السيجارة.

تتبعت أماندا الصدع بإصبعها. كان بسبب الضوضاء. ضوضاء كبيرة بما يكفي لكسر الزجاج. الضوضاء كشيء ملموس. ارتجفت من الهواء البارد والذكرى أيضًا. أغلقت الباب خلفها، ووقفت عارية في الهواء البارد، غير محمية بالملابس، في جرأة على الليل وعلى أي شيء آخر كان هناك.

٣٠

ذهب كلاي ليعد لهما شرابًا، عاريًا، «نياندرتال»، أساسيًّا. سينتهون من حزم أمتعتهم لاحقًا. سينتهون من حزم أمتعتهم في الصباح. سيتخطون حزم الأمتعة، ويذهبون مباشرةً إلى متجر «تارجت» للحصول على فرش أسنان جديدة وملابس سباحة وكتب وغسول وملابس نوم وسدادات أذن وجوارب. أو لن يفعلوا! لم يكونوا بحاجة إلى أشياء. لن تبقيهم الأشياء في مأمن من انقطاع الطاقة أو الضوضاء المفاجئة بصوت عالٍ بما يكفي لتكسير الزجاج أو أي ظواهر أخرى غير مبررة. كانت غير جوهرية. الأشياء لا تهم.

قلبت أماندا الغطاء الثقيل لحوض الاستحمام الساخن. كان البخار ينتظرها، واختفى في الظلام. كان هناك ضوء ينير الأشجار، ما جعل المنظر أكثر إرضاءً. قد تشعر أنك تملكها، على الرغم من أنه لا يمكن لأحد أن يدعي امتلاك شجرة. لم تستطِع أن ترى. ضغطت حيث عرفت أن الأزرار موجودة، وظلت ضاغطة عليها حتى طنت الآلة عائدة إلى الحياة. فار الشيء مثل مرجل «الأخوات العجيبات». لو أنه فقط كان كذلك. كانت أماندا ستطلب أن يُشفى ابنها المسكين المصاب بالحمى، بالطبع ستطلب أن يكون طفلاها الاثنان بصحة جيدة، على الرغم من أنها لم يكن لديها ما تقدمه لساحرة، فقط الرغبة نفسها مثل كل إنسان على قيد الحياة. كان عليها،

كما أدركت، أن تنهض وترتدي رداءها وتدخل على رؤوس أصابعها إلى الغرفة المظلمة وتقيس درجة حرارة آرتشي بلمسة من يدها.

كان جي إتش، يرد على جرأة عريها. كان يرتدي لباس السباحة الخاص به، أنيقًا ومحافظًا، ذلك النوع الذي كان يسمي به الأبناء البيض ما ارتداه أجداد أجدادهم في جزيرة «نانتوكيت». لم يكن هناك أي أثر لشيء غير مريح في ابتسامته، كما لو كان بالضبط ما كان يتوقعه، أن يجد هذه المرأة التي بالكاد يعرفها عارية تمامًا ومن الواضح أنها في حالة ما بعد الجماع على شرفته غير المسقوفة.

ـ أرى أن كلينا كان لديه نفس الفكرة.

سيكون من المخادع التظاهر بالعار. أُعفيت من ذلك. حتى إنها لم تتورد خجلًا.

ـ تبين أنها ليلة جميلة، على ما أعتقد.

أشار نحو حوض الاستحمام.

ـ بعدك من فضلك. إذا كنتِ لا تمانعين في المشاركة.

لم يعد شيء يبدو غريبًا بالنسبة إليه. تابع:

ـ كان لدينا نفس الفكرة. لم ترغب روث في الانضمام إليَّ، لكنني سعيد لأنني لم أكن وحدي هنا.

أقرب ما أمكنه أن يصل إليه من اعترافٍ بالخوف.

كان الماء ساخنًا جدًّا، لكن الفقاعات التي كان الحوض محمومًا بها كانت باردة، تنفجر على جلدها، مما يبعث على راحة متقطعة. جلس جي إتش في مواجهتها، مسافة مناسبة كافية، لكن ماذا يهم ذلك؟ كان من الممكن أن تكون ابنته. لم يكن أحدهما يمثل أي شيء للآخر، غريبين عاريين.

ـ هناك صدع في الباب.

أشارت نحوه.

ـ لقد لاحظت ذلك للتوِّ. أعتقد أنه يجب أن يكون...

لقد أجرى تحقيقه الخاص.

ـ هناك واحد في الباب في الأسفل. يسمون ذلك صدعًا شعريًا، أليس كذلك؟ تحول جميل للعبارة. شكل الحرف «Y». إذا ضغطت، إذا دفعت حقًّا، أراهن أنني أستطيع كسر الشيء.

لم يكن ليضغط على الزجاج. لم يكن ليكسره. لقد احتاج إليه، على الرغم من أن الزجاج لم يقدم سوى وهم الأمان.

ـ هل تعتقد أنه بسبب...؟

ترك وجهه يقول ذلك. لماذا كانوا يناقشون هذا حتى الآن؟

ـ دائمًا ما فكرت في نفسي باعتباري رجلًا متمرسًا. شخص رأى العالم كما هو. لكنني لم أرَ شيئًا كهذا من قبل، لذا أتساءل الآن عما إذا كان هذا الشيء الذي كنت أفكر فيه دائمًا عن نفسي مجرد وهم.

لم يكن صمتهما غير وُدي. لقد قالوا كل ما يقال هناك. كان الأمر أشبه بعلاقة حب انتهت بسلام. كانوا بحاجة فقط إلى انتظار شروق الشمس وسينتهي الأمر برمته، الارتياح والندم. في المنزل، استلقت روث على السرير وهي تفكر في ابنتها، ونام آرتشي بلا أحلام، ونامت روز وهي تحلم، وملأ كلاي الكؤوس بالثلج، وهو لا يفكر في شيء.

ـ أريد فقط أن يكون كل شيء على ما يرام.

نظر جي إتش إلى النجوم. كانت السماء مظلمة بدرجة كافية بحيث يمكنك رؤية النجوم حقًّا. لم تجعله قَطُّ يشعر بأي شيء. كان يحب أن يكون في الريف، لكن ليس لأن ذلك كان جيدًا لروحه. هل جعلته النجوم يشعر بأنه صغير؟ لم تفعل. كان يعلم بالفعل أنه صغير. هكذا أصبح ثريًا. قال اسمها فحسب، ليس أكثر.

ـ لم أصدقكِ. كنتِ مخطئة. شيء ما يحدث، شيء سيئ يحدث.

لم تستطِع تحمل ذلك.

ـ الهدوء صاخب للغاية. كان هذا من أول الأشياء التي لاحظتها، عندما

بدأنا قضاء الليالي هنا. وجدت صعوبة في النوم. في المنزل، لا يمكننا سماع أي شيء. نحن في مكان مرتفع. في بعض الأحيان صفارة إنذار، ولكن في ذلك الحين، تحملها الريح بعيدًا.

بدا العالم من شقتهما وكأنه فيلم صامت.

ـ ما زالت لدينا كهرباء.

كانت ترى البخار، حجابًا فوق الظلام.

ـ كنت أخبرك، في وقت سابق، أن كل شيء ممكن مع وجود المعلومات. أنا مدين بثروتي، على الرغم من تواضعها، للمعلومات.

سكت. بقبق الحوض.

ـ رأيت ذلك، لعلمك. قبل انطفاء الأنوار نظرت إلى السوق وعرفت أن شيئًا ما قادم.

ـ كيف يُعقل ذلك؟

لا يبدو هذا ماليًّا بل روحيًّا. فتح كلاي الباب.

ـ هل أنتِ بخير؟

ـ نحن نتحدث فقط.

لوح جي إتش لكلاي.

سار نحو الحوض كما لو أنه ليس من الغريب أن يُرى عاريًا هكذا، أن يجد زوجته عارية مع شخص غريب. سيتظاهر كلاي بذلك.

ـ تتعلمين كيفية قراءة المنحنى. تقضين وقتًا طويلًا كالذي قضيته وأنا أفعل ذلك، وتفهمين. يخبركِ بالمستقبل. يحافظ على الثبات ويعد بالانسجام. يتحرك لأعلى أو لأسفل، وأنتِ تعلمين أن هذا يعني شيئًا ما. تنظرين عن قرب وتحاولين فقط فهم ماذا يعني ذلك. إذا أجدتِ ذلك، فستصبحين ثرية. إذا لم تجيدي ذلك، فستفقدين كل شيء.

ـ وأنت تجيد ذلك؟

تناولت أماندا الكأس التي قدمها لها زوجها.

انزلق كلاي في الماء، مما تسبب في تناثر رذاذ كثير جدًّا.

ـ عمَّ تتحدثان؟

ـ المعلومات.

قالها جي إتش كما لو كان الأمر بسيطًا.

شرحت أماندا:

ـ يقول إنه كان يعلم أن شيئًا ما سيأتي.

صدقته. كانت بحاجة إلى تصديق شيء ما.

ـ ماذا رأيت؟ ماذا حدث على أي حال؟ انقطعت الكهرباء. تلقت أماندا بعض الإشعارات الفورية من «نيويورك تايمز». سمعنا ضوضاء عالية.

عندما سمع كلاي نفسه وهو يسرد الأمر، أدرك أن سرده كان كافيًا.

ـ هل رأيت نهاية العالم؟

هل يمكن للأرقام أن تتوقع ذلك حقًّا؟ كانت الكأس في يدها باردة ومثالية.

قال جي إتش:

ـ إنها ليست نهاية العالم. إنه حدث شهده السوق.

ـ عمَّ تتحدث؟

اعتقد كلاي أن جي إتش بدا وكأنه رجل مجنون يحمل لافتة ويسير في أرجاء حي المال. لقد رأيت ذلك، في كثير من الأحيان، في «وول ستريت»، الشارع الحقيقي، الذي كان مدخله مغلقًا بواسطة أعمدة قصيرة تمنع مرور السيارات من دون تصريح.

قال جي إتش بنبرة اعتذارية:

ـ أعتقد أنني أعرف الكثير. ربما لا يمكن معرفة كل شيء.

خيم البخار على نظارته. لم يستطِع أن يرى أو أن يُرى. كان كل يوم مقامرة.

قال كلاي:

ـ ربما كل شيء على ما يرام.

كانوا ينجرفون. كانوا يقولون أشياء لا يجب قولها.

ـ آمل أن يكون الأمر كذلك من أجلنا.

لم يحب جي إتش ألا يكون لديه شيء سوى الأمل. كان هذا شيئًا لم يعجبه في أوباما؛ الوعد الغامض شبه الديني. فضَّل خطة.

كانت هناك، تحتهم، رشة ماء عالية.

خافت أماندا على الفور. اعتدلت جالسة في وسط حوض الاستحمام، واستدارت إلى الفناء خلفها.

ـ ما كان هذا؟

مد جي إتش يده إلى خارج الحوض لإسكات النفاثات. استجابت الآلة على الفور، طنين منخفض بدلًا من ممخضة الغسيل، تحت تأثير الصمت بدا المكان أشد ظلمة على نحو ما. كانت هناك رشة، رشة محددة ومدروسة في حمَّام السباحة. على بُعد أمتار، لكن لا يمكن رؤيتها.

كان أحد الطفلين، يسير نائمًا إلى أن يغرق. كان شخصًا مترصدًا من الغابة آتيًا لقتلهم. كان زومبيًّا، كان حيوانًا، كان وحشًا، كان شبحًا، كان كائنًا فضائيًّا.

ـ ماذا كان...؟

أسكتها جورج. كان لا يزال قادرًا على الخوف.

ـ ما هذا؟

لم تكن تهمس، كانت مصابة بالفزع.

ـ ربما غزال.

تذكرت السياج. كيف سيكون صوت الغزال إن كان في محنة، كيف تبدو دموع الغزال؟

ـ ضفدع.

اعتقد كلاي أن هذا كان واضحًا.

ـ سنجاب. بإمكانهم السباحة.

دفع جي إتش نفسه خارج الحوض وسار نحو المنزل، حيث كان هناك مفتاح لإضاءة حمَّام السباحة من الداخل. لقد كانت لمسة لطيفة حين أقاموا حفلة. تجريد الضوء من خلال الماء راقصًا في قمم الأشجار. كلاهما رأى، هناك في حمَّام السباحة أسفل منهما، طائر فلامنجو، ورديًّا وعبثيًّا، يرش الماء بأناقة. يضرب جناحيه، بنفاد صبر، على سطح حمَّام السباحة.

ـ هذا فلامنجو.

قالت ذلك على الرغم من أنه كان واضحًا. كان الفلامنجو طائرًا ورديًّا. كان محددًا للغاية ـ فاصلة منقاره، العلامة البارعة لعنقه غير المنطقيّ ـ إلى درجة أن الطفل الصغير يعرفه.

ـ هذا فلامنجو؟

ـ هذا فلامنجو.

بأطراف أصابعه، فرك جي إتش البخار من على نظارته. لم يكونوا يعرفون ما كان يحدث في العالم، لكنهم عرفوا هذا.

ضرب الفلامنجو بجناحيه أكثر. سمحوا لعيونهم بالتكيف، وكان بإمكانهم رؤية فلامنجو آخر، لا، اثنين، لا، ثلاثة، لا، أربعة، لا، خمسة، لا، ستة. تتبختر على المرجة بمشيتها الخلفية. متمايلة وقوية. حلق طائران كما تفعل الطيور؛ على غرار الباليه. ارتفعا فوق السياج، هبطا في الماء. غمسا رأسيهما تحت السطح. هل تخيلا أنه يحتوي على طعام؟ كان هناك ذكاء ساحر في عيونهما. كانت أجنحة الفلامنجو أوسع مما كنت تعتقد. عند الراحة، ضمت تلك الأجنحة قريبًا جدًّا من جراب أجسادها. منشورة، مع ذلك كانت مهيبة. كان جمالها مذهلًا. اختفى المنطق.

ـ لماذا...؟

«لماذا» لا يهم؟ هل «كيف» أو «هل هذا حقيقي» أو أي شيء آخر مهم؟ بوسع أماندا أن ترى أن جورج واشنطن يمكنه رؤية هذه الطيور أيضًا، ولكن كان هناك دليل موثق على أنه يمكن مشاركة الوهم. خرجت من حوض

الاستحمام، مطاطية بفعل الحرارة الممتصة. وقفت عارية مثل يوم ظهورها على هذا الكوكب. شاهدت ثلاثة من طيور الفلامنجو تثب بسعادة في حمَّام السباحة، وبني جلدتها على العشب وراءها.

ـ فقط أخبرني أنك ترى هذا.

أومأ جورج برأسه. لم يكن يعرف هذه المرأة على الإطلاق. لكنه عرف عقله وعينيه.

ـ أراه.

شعر كلاي بالبرودة، عميقًا بداخله. غدًا سيبدأون الرحلة في سيارتهم، وكان هناك نذير. رحلتهم ستغضب الآلهة. لقد أُعطوا علامة. انسكب الويسكي في حوض السباحة بينما وقف. بدأت الطيور.

ارتفعت ثلاثة من طيور الفلامنجو فوق سطح حمَّام السباحة بأجنحة ذكورية متباهية. أي فلامنجو، عند رؤية هذا، كان سيود احتضان ذريتها. كانت هذه طيور الفلامنجو، أفضل طيور الفلامنجو، معافاة وقوية. ارتفعت في الهواء، حيلة بسيطة، وفوق الأشجار. تبعتها طيور الفلامنجو التي على العشب، سبعة طيور وردية بحجم الإنسان، ملتوية وغريبة، تصعد إلى ليل لونج آيلاند، جميلة ومرعبة بنفس القدر.

ظلوا صامتين لفترة. رهبة خيِّرة قديمة الطراز. شعور ديني. لم تكن النجوم في الأعلى ترهبهم، لكن هذه الطيور الغريبة فعلت ذلك. ارتجفت أماندا. رمشت عينا جورج خلف نظارته. تمسك كلاي بالكأس في يده لأنها كانت باردة وذكرته أنه على قيد الحياة.

٣١

لم تسفر ثلاجة جي إتش المألوفة القديمة عن شيء سوى مفاجأة. لم يكن ليملأها بمثل هذه الأشياء: لحوم باردة في ورق مطوي، وبقايا لفائف كوسة مشوية، وجبنة بيضاء صلبة في سيلوفان مدهن، ووعاء خلط من «البايركس» يحوي فراولة قشَّرها شخص ما بعناية. شعر بالجنون بفعل الجوع، أو ربما بالجنون فقط. وجد علبة مقرمشات، كيسًا مفتوحًا من رقائق البطاطس، أنبوبًا كرتونيًّا من الكعك. وضع كل شيء على النضد. شخص آخر كان سيرتب هذه الجائزة، العناصر المكملة بعضها لبعض معًا، لكنه لم يكلف نفسه عناء ذلك.

لم يسأله كلاي عما إذا كان يريد شرابًا. وضع واحدًا في يدَي الرجل السوداوين:

ـ جورج.

وجد سروال السباحة الخاص به، وهو يجف على الدرابزين. وجد «تيشيرت» آرتشي الذي اقتُطعت أجزاء منه، وكشف عن عضلاته المغلوبة في منتصف العمر.

ـ كلنا رأينا ذلك.

لبست أماندا رداء. لم يكن لديها أي فكرة لمن كان، ونسيت سحب الشيء لإغلاقه على حجرها.

شكره جورج من فم مملوء بالجبن اللزج. سعل قليلًا.

ـ رأيت ذلك.
ـ هل جميعنا مصابون بالهلوسة؟
كان من المغري التظاهر بأنك مُعفى مما كان يحدث.
ـ إنها من حديقة حيوانات. تعطلت الشبكة الكهربائية ولم تستطِع إبقاءهم في الأسر.
اخترق جورج الجبن بسكين شرائح اللحم.
ـ يجب وضع علامات عليها، كما تعلمين، مثل تلك الأسوار غير المرئية التي تحافظ على الكلاب في محيط ملكيتك.
ـ حدائق الحيوان تشذب الأجنحة، أليس كذلك؟
كانت أماندا قد قرأت هذا في رواية «بوق البجعة». لم تكن متأكدة من صحة ذلك.
ـ تلك الطيور بإمكانها الطيران. كانت تلك الطيور برية.
تناول كلاي سكين جورج لشرائح اللحم وقطع السلامي إلى شرائح.
ـ لا بد هناك تفسير منطقي.
ـ لم تكن ترتدي لفائف أو أي شيء.
أغمضت أماندا عينيها للعودة إلى مكان الحادث.
ـ نظرت. بحثت عنها.
اعتقد جورج أنه بالكاد يحتاج إلى قول: «لا توجد طيور فلامنجو برية في نيويورك».
ـ لقد رأيناها جميعًا فحسب. ما الذي يحدث بالفعل بحق الجحيم؟
لم تتصف السوقية بالقوة التي أرادتها. أرادت الركض في الفناء وهي تصرخ على الطيور لتعود، لتظهر نفسها، لتفسر.
استحمت روث وبدلت ملابسها إلى الأشياء باهظة الثمن وعديمة الشكل التي كانت ترتديها في المنزل، والمغسولة حديثًا. لقد خرجت من الطابق السفلي ولم تشعر حتى بأنها من دون حماية، كما كانت ستفعل لو واجهت

البواب وهي ترتدي ملابسها على هذا النحو. كانت في سلام مع هؤلاء الناس. لقد عرفوا بعضهم البعض الآن. في الطابق السفلي، حاولت استخدام هاتفها للتأكد. نعم، قلبت الصور في ألبومها، لقطات فاقدة للتركيز لأن الأطفال الصغار لم يتوقفوا قَطُّ عن الانطلاق والضحك والتلوي. لاحظت أن روب أماندا كان مفتوحًا إلى درجة أنه بإمكانك رؤية حدبة عانتها.

كان جورج قد أشعل كل الأضواء، وقاية من الخوف.

ـ نتناول وجبة خفيفة في منتصف الليل.

ـ فاتك شيء.

لم تكن أماندا تهكمية ولكنها كانت صادقة.

ـ اجلسي، يا عزيزتي.

كان جي إتش ممتلئًا بالمودة لروث. كان جي إتش تقريريًا. تمسك بالحقائق. حتى إنه ذكر عري أماندا. سبعة من طيور الفلامنجو. إذا طُلب منه رسم فلامنجو، لرسم منقاره بطريقة بدائية على شكل مثلث، ولكان مخطئًا.

قالت روث:

ـ اعتقدتُ أن طيور الفلامنجو تعجز عن الطيران. افترضت ذلك. ربما لم أفكر في ذلك من قبل.

ـ كائن بنفس حجم روز.

تمكنت أماندا من رؤيتها، وهي تصعد كما قيل إن المسيح قد فعل.

ـ كنت أعلم أنها كانت وردية اللون، لكنني لم أكن أعرف أنها كانت وردية بهذا الشكل. لا يبدو وكأنه لون طبيعي.

أعد جي إتش لزوجته شرابًا.

ـ أنت متأكد.

لم تكن روث تشكك بهم. لم يكن هناك شيء قد يخطئون في فهمه بشأن طيور الفلامنجو. لقد تخلت عن توقعاتها.

ـ الفلامنجو هو الفلامنجو.

أرادت أماندا أن تكون واضحة.
ـ السؤال ليس إذا ما كنا متأكدين، ولكن لماذا...؟
أُلهم كلاي:
ـ لديك أناس أثرياء هنا. إنها مجموعة خاصة بشخص ما. حديقة حيوانات مصغرة. بعض عقارات «هامبتونز» هي في الواقع سفينة. هؤلاء المليارديرات من أنصار البقاء. لديهم جميعًا مجمعات سكنية خاصة في نيوزيلندا حيث يخططون للذهاب عندما تصبح الأمور كارثية.
ـ هل هناك شيء حلو؟
رشفت روث الشراب. لم تكن تريد ذلك حقًّا.
دفعت أماندا الكعك إليها عبر الوحدة الوسطى للمطبخ.
ـ ربما كانت الضوضاء التي سمعناها هي الرعد. عاصفة ضخمة من نوع ما. لقد سمعت عن طيور تُبعد عن مسارات هجرتها. كان هناك ذلك الإعصار في المحيط الأطلنطي، وتاهت الطيور.
حاول كلاي أن يتذكر ما لم يعرفه قَطُّ.
ـ هل هي طيور مهاجرة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل تعبر المحيط؟ ربما هذا ممكن.
قالت روث:
ـ ألا تحتشد في البحيرات؟ ألا تأكل نوعًا من الروبيان، ومن هنا جاء ريشها الوردي؟ أعتقد أن هذا صحيح.
قال جورج:
ـ نحن مجرد حفنة من البالغين لا يعرفون شيئًا عن الطيور.
اعتاد أن يكون قادرًا على تفسير كل شيء. هل يمكن للمنحنى أن يفسر الطيور؟ كانت هناك علاقة، لكنه سيحتاج إلى أيام لحلها. سيحتاج إلى قلم رصاص، وجريدة، وبعض الهدوء.

ـ نحن لا نعرف أي شيء عن الضوضاء العالية إلى درجة كسر الزجاج. لا نعرف أي شيء عن إعتام في مدينة نيويورك. نحن أربعة بالغون لا نعرف كيف نحصل على إشارة الهاتف المحمول أو نجعل التلفزيون يعمل أو نفعل كثيرًا من أي شيء على الإطلاق.

الغرفة ممتلئة بالمضغ، والثلج يدور داخل الكؤوس.

ابتسمت روث:

ـ مضحك كيف كنت أخبركم عن «بحيرة البجع».

ـ البجع، طيور الفلامنجو. نفس الشيء، لكن ليست كذلك.

ـ أحتاج إلى أن يأتي الغد.

استشار كلاي الساعة الرقمية على وجه الميكروويف.

ـ يجب أن ننام.

قال جي إتش:

ـ تريد العودة إلى المنزل. نحن محظوظون لأننا في المنزل بالفعل.

ـ إلا إذا.

لم تكن روث مهتمة بتوزيع العبارات المبتذلة والمواساة. لم تستطِع رؤية الجانب المشرق.

ـ كانت هذه علامة. لا يجب أن تذهبوا. لا يمكننا الذهاب معك.

قالت أماندا:

ـ قلت إنك سترينا الطريق.

مكتبة
t.me/t_pdf

قالت روث:

ـ إنه ليس آمنًا.

ماذا لو لم تأتِ روزا يوم الخميس؟ ماذا لو كان شيء ما هناك في الخارج قادمًا لهم؟

ـ علينا أن نأخذ آرتشي إلى الطبيب!

شعرت أماندا بالأمر في جسدها، مثل توق طائر إلى الهجرة.

ـ ماذا تعتقد أنه سيحدث لنا؟
لم يكن كلاي يبحث عن الطمأنينة، مجرد تخمين صادق.
ـ نحن مغادرون، قلت إنك ستساعدنا في إيجاد الطريق.
لم يؤمن جورج قَطُّ بالأمور المجهولة. أظهر علم الجبر أنه كان من السهل فهمها. لم تعد الرياضيات مهمة بعد الآن، أو أنها كانت بالكاد تصلح. قال لزوجته:
ـ لن يحدث لنا أي شيء إذا سافرنا على الطريق.
ـ تعتقد أن حركة المرور ستتدفق، أن هناك طعامًا. وماء؟ أنا لا أثق في الناس. أنا لا أثق في النظام.
كانت روث متأكدة.
ـ ربما يتحسن آرتشي إذا بقينا في مكاننا. ربما يستيقظ غدًا، والحمى قد اختفت، ويريد أن يأكل كل شيء في المنزل.
ـ ربما يحتاج فقط إلى مضادات حيوية أو شيء من هذا القبيل؟
لم يكن كلاي يريد الذهاب الآن. كان مرعوبًا.
ـ أشعر بالأمان هنا.
عرفت روث أن سلامة هذه العائلة لم تكن مشكلتها حقًّا.
ـ كل ما أريده هو الشعور بالأمان.
قال جورج:
ـ بإمكانكم البقاء.
ـ لا يمكننا فعل ذلك.
كانت أماندا حاسمة.
ألا يمكنهم ذلك، على أي حال؟ لم يكن كلاي متأكدًا.
ـ بإمكاننا... بإمكاننا النزول إلى الطابق السفلي. بإمكانك الحصول على غرفة نومك.
كانوا هادئين، كما لو كانوا يعرفون أنها كانت آتية. وأتت. الضوضاء

نفسها؟ بالتأكيد. نعم. من المحتمل. لمَ لا؟! من يعرف؟! مرة، مرتين، ثلاث مرات. تشققت النافذة فوق الحوض. وحدة الإضاءة الكروية المعلقة فوق نضد المطبخ شُرخت أيضًا. ربما كان من المفترض أن تنقطع الكهرباء، لكنها لم تفعل. لا أحد يستطيع أن يجيب على وجه التحديد لماذا. تداخلت الأصوات، لكنها كانت منفصلة، صوت ـ لم يعرفوا هذا ـ الطائرات الأمريكية، في السماء الأمريكية، وهي تسرع نحو المستقبل الأمريكي. طائرة لا يعرف بوجودها أغلب الناس. طائرة مصممة للقيام بأشياء مريعة، تتجه للقيام بها. كان لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه، وكان هناك مزيد من الأفعال وردود الأفعال أكثر مما يمكن حسابه على أيدي الحزب الثماني. ما كانت حكومتهم تنوي القيام به، وما كانت الحكومات الأخرى تنوي القيام به، ليس سوى طريقة مجردة للحديث عن اختيارات حفنة من الرجال. لم تكن قوارض «اللاموس» انتحارية، كانت منساقة للهجرة ومفرطة الثقة بقدرتها. لا ينبغي إلقاء اللوم على قائد المجموعة. غطسوا جميعًا في البحر، معتقدين أنه من السهل اجتيازه كبركة، يا لها من طبيعة شديدة البشرية تتصف بها تلك الغريزة لدى مجموعة من القوارض. ربض ملايين الأمريكيين في منازلهم في الظلام، لكن الآلاف منهم فقط سمعوا هذه الضوضاء، وقاموا بمواساة الأطفال ومواساة بعضهم البعض، وتساءلوا فحسب عما كانت. مرض بعض الناس، لأن هذا كان تكوينهم فحسب. استمع آخرون وأدركوا مدى ضآلة فهمهم للعالم.

لم تصرخ روث. لم يكن هناك معنى لذلك. اغرورقت عيناها بالدموع، لكنها رمشت لإعادتها. يداها على حافة نضد المطبخ، جلست القرفصاء، كما علموها أن تفعل، ربما، منذ عقود، في حالة الدمار النووية. حامت هناك فحسب في نصف إقعاء، وشد عضلاتها لم يكن شيئًا مزعجًا.

صرخت أماندا. صرخ كلاي. صرخ جي إتش. صرخت روز. ألقى الطفلان بنفسيهما من فراشيهما ووجدا الكبار، وكانت أمهما هي التي

ركضا إليها ـ دائمًا، في هذه المواقف ـ وضغطا وجهيهما على الرداء الغريب الذي غطى عريها، وضمتهما بقوة إلى جسدها، تحاول تغطية آذانهما بيديها، لكن كان لديهما أربع آذان فيما بينهما وكانت لديها يدان فقط. لم تكن أماندا كافية.

تلك الضوضاء مرة أخرى. كانت الأخيرة. كانت واحدة من آخر الطائرات. سقطت الحشرات في الخارج في الصمت، ذاهلة. سقطت الخفافيش التي لم تخضع لمتلازمة الأنف الأبيض من السماء. بالكاد أعارت طيور الفلامنجو الأمر اهتمامًا. كان لديها ما يكفي للقلق بشأنه.

٣٢

فعلوا الشيء المعقول. ربضوا معًا في ذلك الفراش الضخم. سرير العائلة، كرهت أماندا الفكرة. اعتقدت أنه كان لمناهضي التطعيم والأمهات اللاتي يرضعن أطفالهن ذوي الأعوام الخمسة، لكنها لم تستطِع تحمل ابتعاد آرتشي وروز عنها. أطفأوا الأنوار لأن الطفلين كانا مرهقين، لكنهم تمنوا سرًّا أن يتركوها مضاءة لإبقاء الليل بعيدًا.

ـ يمكنك...

أراد كلاي دعوة روث وجي إتش للنوم معهم! كان الأمر منطقيًّا على نحو ما.

ـ حاول أن تنام.

أمسك جي إتش بيد زوجته ونزلا درجات المطبخ مرة أخرى.

لم يستطِع أي من الكبار النوم. سرعان ما بدأ الطفلان يشخران. منحنى جسد روز جعل كلاي يفكر في تلك الجسور الطبيعية على ساحل كاليفورنيا، التي جوَّفها المحيط على مدى آلاف السنين. في النهاية، على أي حال، انهارت تلك الجسور. قالوا إن المحيط قادم من أجلهم جميعًا. أُعجب بمثابرة رئتيها. كان من المذهل أنك لست بحاجة إلى أن تطلب من نفسك أن تتنفس أو تمشي أو تفكر أو تبتلع. لقد طرحا على نفسيهما أسئلة عندما قررا إنجاب الأطفال ـ هل لدينا المال؟ هل لدينا المساحة؟ هل لدينا ما يلزم؟ ـ

لكنهما لم يسألا عما سيكون عليه العالم عندما يكبر أطفالهما. شعر كلاي أنه مبرأ من اللوم. كان جورج واشنطن ورجال جيله هم الملامين، هوسهم بالبلاستيك والنفط والمال. كان أمرًا فظيعًا ألا تكون قادرًا على الحفاظ على سلامة ابنك. هل كان هذا ما شعر به الجميع؟ هل كان هذا، في النهاية، ما يعنيه أن تكون إنسانًا؟

قبَّل القطن البالي على كتف روز وندم على عدم إيمانه بالدعاء. يا إلهي، إنها تشبه أمها. كانت الطبيعة مولعة بالتكرار. هل يستطيع طائر فلامنجو أن يميز بين طائري فلامنجو؟

ظلت أماندا تمد يدها إلى ذراع آرتشي. جفل قليلًا، في كل مرة، لكنه لم يستيقظ. أرادت أن تسأل زوجها شيئًا لكنها لم تستطِع التفكير في الكلمات الصحيحة. هل كان هذا هو الأمر؟ هل كانت هذه هي النهاية؟ هل كان من المفترض أن تكون شجاعة؟

لم يتمكن كلاي من رؤية ابنه في الظلام. فكر كيف أنه ما زال يتسلل أحيانًا إلى غرفتَي الطفلين. لم يستيقظا قَطُّ خلال هذه الزيارات الليلية. قلت لنفسك إن هناك نهاية للقلق. قلت لنفسك إنه كان نائمًا طوال الليل، ثم فطام من الثدي، ثم مشي ثم رباط الحذاء ثم القراءة ثم الجبر ثم الجنس ثم القبول في الجامعة ثم تتحرر، لكن هذه كذبة. كان القلق بلا حدود. كانت مهمة الوالد الوحيدة هي حماية طفله.

لم يعد بوسعه تخيل أمه بعد الآن. لقد كانت ميتة معظم حياته. لا بد أن أباه أدى دورها. لم يتعادل مع ما يعرفه عن الرجل، ولكن كانت تلك هي كيفية حب الوالد.

لمست أماندا خد الصبي ووجدت أنه ساخن. حاولت التميز بين الحمى والصيف، ومراهقة الثدييات والمرض. لمست جبين الصبي وحلقه وكتفه، ودفعت الأغطية بعيدًا لتبرد جسده. لمست صدره، قرع طبول ثابت. كانت بشرة آرتشي ناعمة وجافة، دافئة مثل الآلة التي تُركت عاملة لفترة طويلة.

عرفت أن الحمى كانت إشارة استغاثة الجسم، نبضة من نظام البث في حالات الطوارئ. لكن الصبي كان مريضًا. ربما كانوا جميعهم مرضى. ربما كان هذا وباء. كان صغيرها. كان صغيرهما. لم تستطِع تخيل عالم غير مبالٍ بذلك.

كان خطأهما قصور الخيال، مع ذلك، وهمان متداخلان ولكنهما خاصان. كان جي إتش سيشير إلى أن المعلومات كانت تنتظرهم على الدوام، في الموت التدريجي لأرز لبنان، في اختفاء الدولفين النهري، في نهضة كراهية الحرب الباردة، في اكتشاف الانشطار النووي، في انقلاب السفن المكتظة بالأفارقة. لا أحد يستطيع أن يدافع عن جهل لم يكن متعمدًا. لم تكن مضطرًّا للتدقيق في المنحنى لتعرف، لم تكن مضطرًّا حتى لقراءة الصحف، لأن هواتفنا تذكرنا عدة مرات يوميًّا على وجه التحديد بمدى سوء الأمور. كيف من السهل التظاهر بخلاف ذلك.

همست أماندا اسم زوجها.

ـ أنا مستيقظ.

لم يتمكن من رؤيتها ثم تمكن. كان بحاجة فقط للنظر عن كثب.

ـ أما زال علينا الذهاب؟

تظاهر بأنه يفكر في هذا الأمر، لكن المعضلة كانت واضحة له بالفعل: لا، ليس عليهم ذلك، نعم، يجب عليهم ذلك.

ـ لا أعلم.

ـ علينا الذهاب بآرتشي إلى الطبيب.

ـ علينا ذلك.

ـ وروزي. ماذا لو كان نفس الشيء...

قول الأمر سيعني المخاطرة به. لم تهتم. كانت روز ستحب طيور الفلامنجو. ربما عليهم أن يشعروا فقط بالرهبة من ألغاز الحياة، كما شعر الطفلان.

ـ إنها بخير. تبدو بخير.

بدت كذلك، روز نفسها كما هي. يُعتمد عليها، حرون، حقًّا، قوة المولود الثاني. لم يكن حتى يفكر متمنيًا. كان كلاي يؤمن بابنته.

ـ تبدو بخير. أبدو بخير. كل شيء يبدو بخير. لكنها تبدو أيضًا وكأنها كارثة. تبدو أيضًا وكأنها نهاية العالم. نحن بحاجة إلى خطة. نحن بحاجة إلى معرفة ما سنفعله. لا يمكننا البقاء هنا إلى الأبد فحسب.

ـ يمكننا البقاء هنا الآن. قالا ذلك.

سمع كلاي العرض.

ـ أتريد البقاء هنا؟

أرادته أماندا أن يقولها أولًا.

حاول أن يفكر في عدد السجائر التي تركها. لقد أراد البقاء. على الرغم من المراهق المريض، على الرغم من انسحاب النيكوتين، على الرغم من أن هذا لم يكن منزلهم الجميل. كان كلاي خائفًا، لكن ربما يمكنهم تجميع الشجاعة بينهم جميعًا وإيجاد ما يكفي لفعل شيء ما، أي شيء، مهما كان ذلك.

ـ المكان آمن هنا. لدينا كهرباء. لدينا ماء.

ـ لقد طلبت منك أن تملأ حوض الاستحمام.

ـ لدينا طعام وسقف، ولدى جي إتش بعض المال، ولدينا بعضنا البعض. لسنا وحدنا.

كلاهما كانا وحدهما ولم يكونا كذلك. كان القدر جماعيًّا لكن باقي الأمر كان دائمًا فرديًّا، وهو أمر يستحيل الهروب منه. مهدا هذا الطريق لفترة طويلة. لم يتحدثا لأنه لم يكن هناك شيء لمناقشته. كانت أصوات طفليهما النائمين دؤوبة مثل المحيط.

٣٣

ثقل جاف على اللسان وفي الحلق، تقلص تعبيرات الوجه جعل الرؤية صعبة، الغباء الغاشم للخُمار، يا إلهي، تقدموا في السن بما لا يسمح بهذا. متى سيتعلمون ألا يكونوا على هذا النحو؟ أسرعت أماندا من الفراش لتشرب في حوض الحمَّام، ولعقت الصنبور المعدني عن طريق الخطأ. كانت تعلم أنها ستتقيأ، بهذه الطريقة أنت تفعل ذلك دائمًا. في بعض الأحيان تحتاج فقط إلى الاعتراف لنفسك بما تعرفه. ملح على اللسان. انحنت من عند الخصر مثل مدرب يوجا يتأمل المرحاض، ثم شعرت بشيء وكأنه تجشؤ لكنه احترق في مؤخرة الحلق، ثم الانطلاق. كان القيء رقيقًا وورديًّا مثل الفلامنجو (هل تفهم؟). تركته يغادرها. دمعت عيناها لكنها لم تحول نظرها عنه. تقلصت معدتها مرة، مرتين، ثلاث مرات، وقفز القيء من بطنها إلى حلقها إلى الماء، وبمجرد أن انتهى ذلك دفقت عليه الماء وشطفت فمها وشعرت بالخجل. كان هذا ما كان يجب أن يشعر به كل الناس في جميع أنحاء العالم في ذلك الصباح.

سمع كلاي تهوُّعها الرهيب. لا يمكنك أن تغفو فحسب خلال شيء كهذا. كانت الغرفة دافئة للغاية بسبب كثرة الأجساد. في وقت ما من الليل، توقف مكيف الهواء. هذا النوع من الخُمار حيث تتوق إلى فتح النوافذ، وتجريد الأسِرَّة، وتنظيف طريقك للعودة إلى الفضيلة. ثورة رطبة صاخبة داخل معدته. لن يكون الأمر جميلًا.

جلس آرتشي ونظر إلى والده. تمتم كما لو كان فمه ممتلئًا بشيء ما.

ـ ماذا يحدث؟

ـ سأحضر لنا بعض الماء.

ألاحظ أن روز لم تكن موجودة؟ بدا الأمر منطقيًّا في تلك اللحظة.

ملأ كلاي الأكواب. ارتشف، ارتاح، ثم أعاد ملأها.

ـ روزي.

وجَّه نداءه إلى المنزل الفارغ. ما من مجيب. أصدر صانع الثلج في الثلاجة طنينه الدوري. كانت هناك صعوبة في حمل ثلاثة أكواب، لكنه تمكن من ذلك.

جلست أماندا شاحبة على حافة الفراش. كان آرتشي قد سحب وسادة فوق رأسه.

ـ اشربي.

وضع كلاي الأكواب على الطاولة. كلما كنت مريضًا بشيء غير محدد، كان من المفترض أن تشرب الماء. كان الماء هو خط الدفاع الأول. إذا كان هناك شيء ما في الهواء ـ إذا كانت العاصفة قد هبت بأكثر من مجرد طيور استوائية ـ وكان ذلك الشيء في الماء، فالنظام بأكمله عبارة عن حلقة مغلقة، لم يكن يعرف ذلك.

قالت زوجته:

ـ شكرًا يا حبيبي.

تحرك كلاي على عجل، وهرول إلى آخر الرواق، وصفق الباب بسرعة. الحمَّام مفعم برائحة قيء أماندا ورائحة غائطه، تتدفق شراهة ما بعد منتصف الليل تلك خارجة منه في ثوانٍ. وقف للاستحمام كتوبة، شاعرًا بالاحتراق في فتحة الشرج، شاطفًا فمه مرارًا وتكرارًا، وباصقًا الماء على الجدار المبلط، وغاضبًا. هل كان يعرف ما إذا كان هذا خُمارًا أو عرضًا لشيء أسوأ؟ لم يفعل.

على الجانب الآخر من الجدار، فتحت أماندا الباب إلى الفناء الخلفي ـ أف، رائحة أجسادهم ـ حيث كان الهواء العليل ينبض بالضوء. أرادت أن تعيد الفراش كما كان، لكن ولدها ما زال متكاسلًا.

ـ كيف حالك يا صغيري؟

ظنت أنه بدا على طبيعته أكثر.

حاول آرتشي التوصل إلى الإجابة الصحيحة. شعر أنه غريب أو غير طبيعي أو نعسان أو أي شيء آخر، لكن هذا ما شعر به كلما استيقظ قبل الظهر أو نحو ذلك. لقد كان غاضبًا أو شيئًا من هذا القبيل في تلك اللحظة، أدار ظهره لأمه وشد الأغطية على رأسه.

ـ يجب أن أتحقق من درجة حرارتك. كنا قلقين للغاية، كنت أخطط لأخذك لزيارة الدكتور ويلكوكس هذا المساء، بعد أن نعود، لكن ربما لسنا بحاجة إلى ذلك.

ألقى آرتشي أنينًا ضعيفًا غاضبًا.

ـ سنعود؟

ـ هيا. أعلم أنك نعسان، لكن اجلس، ودع ماما تنظر إليك.

جلست أماندا على الفراش بجانب ابنها.

سحب نفسه إلى الجلوس، ولكن ببطء، طريقته في الاحتجاج وطريقته في التباهي بالكفاءة المرنة لجسده المراهق، وهو خط مائل يتحول تدريجيًّا من منفرج إلى حاد.

ظهر يدها على جبهته، نظرت أماندا في عينَي ابنها، جميلتان في نظر تلك المرأة التي صنعتهما، حتى وهما مغطاتان بالقشور ومتقلصتان بتأثير النوم.

ـ لم تعد تشعر بأنك دافئ للغاية الآن.

وضعت راحة يدها على جبهته وعنقه وكتفه وصدره.

ـ هل يؤلمك حلقك؟

لم يكن يعرف ما إذا كان حلقه يؤلمه. لم يفكر في ذلك. لن تتركه أمه

ينام إلا إذا تعاون، ففعل، وفتح فمه على اتساعه كأنه يتثاءب كطريقة لقياس صحة حلقه. بدا بخير.

ـ لا.

أم صالحة، تجاهلت نفَس الصبي الحامض. نظرت إلى داخل التجاويف الوردية لجسده كما لو أنها تعرف ما كانت تبحث عنه، أو كما لو كان ما بالداخل يمكن رؤيته.

أغلق آرتشي فمه ثم ضرب لسانه إحدى أسنانه، انتفاضة، واختبار، وتدفق ملح الدم على براعم التذوق. مألوف، لكنك تذكرت أن ذلك، مهما كان، طعم الدم. من باب الفضول، حرك لسانه فوق المينا مرة أخرى وأذعنت السن لتلك الدفعة اللطيفة. امتلأ فمه باللعاب.

فتح آرتشي فمه على نطاق أوسع، وانسكب خارجًا، الآن، على رقبته، وقطَّر على صدره، لعاب، يسيل، مثل طفل رضيع، مقطوعًا بالقرمزي الذي لم يختلط به تمامًا، مثل سائل تتبيل السلطة غير المخفوق بشكل كافٍ. كان الدم عادةً مفاجأة. استمر فمه في السيلان والنزيف. وضع إصبعًا به، بحثًا عن المشكلة، ولمس السن، وسقطت مع فرقعة لحمية، مثل قطعة الدومينو، على لسانه، ثم عادت بشكل مروع إلى فمه مثل بذرة كرز كادت أن تبتلع. بصقها، وهبطت السن في راحة يده. حدق فيها. كانت أكبر مما توقع.

ـ آرتشي!

اعتقدت أماندا في البداية أن الصبي كان يتقيأ. سيكون هذا أكثر منطقية. لكن هذا كان محكومًا للغاية، مكبوحًا للغاية. مال إلى الأمام فحسب فوق يده وقطر الدم على صدره العاري.

ـ ماما؟

كان مرتبكًا.

ـ هل ستتقيأ يا حبيبي؟ انهض من الفراش!

نهض آرتشي وسار إلى المرآة.

ـ أنا لا أشعر بالغثيان!

أمسك السن في راحة يده، لزجة وردية بفعل الدم.

لم تفهم.

نظر آرتشي إلى نفسه في المرآة. فتح فمه وصمم على مواجهة الجزء المظلم الرطب منه. شعر بقليل من الخدر، لأن الأمر كان مقرفًا. بإصبعه، لمس سنًّا أخرى، سنًّا سفلية، تخلخلت، ثم أمسك بها وسحبها مباشرة من لثته، الآن قريبة من اللون الأسود بفعل الدم. ثم أخرى. ثم أخرى. أربع أسنان مدببة من الجذر، صلبة وبيضاء، أربعة أدلة صغيرة، أربعة براهين صغيرة على الحياة. هل كان من المفترض أن يصرخ؟ أغلق فمه وترك السائل يتجمع هناك لثانية، ثم بصقه على الأرض، غير مهتم إذا كان يلوث البساط لأنه ماذا يهم، حقًّا؟ سقطت سن أخرى ووقعت على الأرض، حيث لم تصدر صوتًا بالطبع. في الكون الشاسع، كانت أصغر من أن تهم.

ـ آرتشي!

لم تعرف أماندا ما الذي كان يحدث. بالطبع لم تعرف.

جلس القرفصاء على الأرض ليلتقط سنه. كانت أكبر من الأصداف الصغيرة المجوفة التي تركها تحت وسادته حتى بلغ العاشرة من عمره. إنها مدببة الجذر، وحيوانية، ومهددة. أمسكها في كفه كغواص فخور بلآلئه.

ـ أسناني!

نظرت أماندا إلى ولدها، النحيف والمثير للشفقة في سرواله القصير ذي الخطوط الدقيقة.

ـ ما الأمر؟

لم يبكِ الصبي لأنه كان متحيرًا جدًّا.

ـ ماما. ماما. أسناني.

مد يده بها لترى.

ـ كلاي!

لم تكن تعرف ماذا تفعل سوى الاستعانة برأي ثانٍ.

ـ يا إلهي، أسنانك!

ـ ماذا يحدث لي؟

كان صوته سخيفًا لأنه لا يستطيع التحدث بشكل صحيح من دون أن يضرب اللسان على السن.

أخذت أماندا الصبي من كتفيه، وقادته إلى الفراش. وإلَّا كان طويلًا جدًّا. ضغطت راحتها، ثم ظهر يدها، على جبهته.

ـ حرارتك ليست عالية؟ أنا لا أفهم...

جاء كلاي بمجرد أن دُعي، ومنشفة حول خصره، وانزعاج على وجهه.

ـ ماذا يحدث؟

ـ هناك خطب ما في آرتشي!

اعتقدت أماندا أن الأمر كان واضحًا.

ـ ما هو؟

مد الصبي يده نحو أبيه.

لم يفهم كلاي. من سيفهم؟

ـ حبيبي، ماذا حدث؟

ـ كنت فقط... شعرت بشعور غريب في أسناني، ولمستها، فسقطت.

كانت هذه هي اللحظة. كان هذا هو الوادي. كان كلاي سيمدد جسده [ليصنع الجسر كي يعبر ولده].

ـ كيف هذا... هل ما زال يعاني من الحمى؟

مد كلاي يده ليلمس ذراع الصبي وعنقه وظهره.

ـ أنت دافئ، هل تشعرين أنه دافئ؟

ـ لا أعرف. اعتقدت أن الأمر لم يكن بهذا السوء، لكنني لا أعرف.

لم تستطِع أماندا أن تتذكر قول هذه الكلمات مرات عديدة. لم تكن

تعرف، لم تكن تعرف، لم تكن تعرف أي شيء. نقل كلاي نظره من الطفل إلى زوجته مرتبكًا. ربما كان الصبي مريضًا، ربما كان معديًا؟

ـ لا بأس. أنت بخير.

ـ أنا لا أشعر أنني بخير!

لكن هذا لم يكن صحيحًا. شعر آرتشي أنه... بخير؟ بشكل طبيعي قدر الإمكان. كان جسده يعمل على البقاء متماسكًا. سوف يلقي ما هو دخيل للحفاظ على الكل.

في جزء خاص من نفسه، توقف كلاي ليرى ما إذا كان كل شيء على ما يرام مع جسده. لم يكن يعرف أنه لم يكن كذلك. ثم تنبه، بصدق، ونظر إلى ابنه، داميًا وبلا أسنان، وحاول التفكير فيما يجب فعله بعد ذلك.

ـ هل ملأت حوض الاستحمام؟

كانت أماندا تفعل ما هي قادرة على فعله.

ـ إنها حالة طارئة! سنحتاج الماء!

٣٤

كانت استشارة الزوجين واشنطن نابعة من غريزة كلاي. ضع أربعة رؤوس معًا. مؤتمر، قوة الكثرة، حكمة سنهم الأكثر تقدمًا، لكن لم يرَ أي منهم شيئًا كهذا. اجتمعوا وتفقدوا مثلما فعل توماس وأصدقاؤه في لوحة كارافاجيو «شكوك القديس توماس». كان الشك حول الحق.

ـ هل تشعر أنك بخير، رغم ذلك؟

لم ترَ روث كيف كان ذلك ممكنًا.

هز آرتشي كتفيه فحسب. لقد قالها مرارًا وتكرارًا بالفعل.

ـ حسنًا. هذا شيء ما. نحن بحاجة إلى التفكير في نقله إلى الطبيب.

شعر جي إتش أن هذا واضح.

ـ ليس في بروكلين. بل هنا.

ـ لدينا رقم طبيب الأطفال ذاك.

قامت روث ببحثها عندما جاءت مايا وكلارا والصبيان للزيارة. لم يضطروا قَطُّ إلى استخدام المعلومات، لكنها كانت لديهم.

قال جي إتش:

ـ إنه يحتاج إلى غرفة الطوارئ.

أومأ كلاي، أمر خطير. لقد كان هناك، وفعل ذلك، مثل أي والد جدير بالاحترام. قطعة من زبدة الفول السوداني تكمن في عصير التوت. قفزة

مفرطة الثقة في منطقة الألعاب. صعوبة التنفس في إحدى ليالي الشتاء الرهيبة.

ـ أنت على حق. هذا لا ينبغي أن ينتظر.

كم تمنى لو أمكن ذلك.

ـ أين المستشفى؟

كانت أماندا غير متأكدة مما يجب أن تفعله بجسدها. سارت في دوائر، ووقفت وجلست مثل كلب لا يستطيع أن يهدأ.

ـ أهو بعيد؟

ـ ربما خمس عشرة دقيقة...

نظر جي إتش إلى زوجته للتأكيد.

ـ أبعد من ذلك، على ما أعتقد. أنت تعرف هذه الطرق ـ ربما تكون أقرب إلى عشرين دقيقة وربما أطول؟ أعتقد أن الأمر يعتمد على ما إذا كنت ستأخذ طريق «أبوت» أو تقطع الطريق السريع...

لم تُرِد روث أن تهتم. لم تكن تريد ما سيترتب على ذلك. لم تستطِع مساعدة نفسها. كانت بشرًا.

ـ هل تريد بعض الماء أو شيئًا من هذا القبيل؟

هز آرتشي رأسه.

ـ لست بحاجة للذهاب إلى المستشفى. أشعر أنني بخير، أنا حقًّا بخير.

ـ نحن فقط بحاجة إلى أن نكون متأكدين، يا عزيزي.

في الواقع، لوحت أماندا بيديها مثل شخصية ممثل هاوٍ.

ـ هل ستعطينا التوجيهات؟ ما لم يبدأ هاتف شخص ما في العمل فجأة؟ لا؟

قال جي إتش:

ـ يمكنني أن أعطيك التوجيهات.

ـ سترسم لنا خريطة. نظام تحديد المواقع لا نفع منه. سترسم لنا خريطة. وسنذهب.

ذهبت أماندا إلى المكتب. بالطبع، احتفظت روث بكوب يحوي أقلام رصاص مدببة، ولوحًا من الأوراق الفارغة.

ـ يمكنني رسم خريطة لك. لكن الأمر بسيط للغاية بمجرد عودتك إلى الطريق الرئيسي...

ـ لقد كنت تائهًا.

وضع كلاي يده على كتف ابنه. كان بالكاد يستطيع النظر إليهم.

ـ لقد كنت تائهًا. من قبل.

سألت أماندا:

ـ ماذا تقصد؟ تائه؟

ـ الأمر ليس بسيطًا على الإطلاق! خرجت. للذهاب ومعرفة ما كان يحدث. للوصول إلى أساس ـ أيًا كان. وقدت السيارة في الممر ومررت بمنصة بيع البيض تلك وظننت أنني عرفت إلى أين كنت ذاهبًا، وكنت مخطئًا. قدت السيارة في الأنحاء، ثم انعطفت، ثم كنت تائهًا حقًّا. لا أعرف كيف وجدت طريقي للعودة. سمعت هذه الضوضاء واعتقدت أنني سأفقد عقلي وبعد ذلك كان هناك، المنعطف الذي كنت أبحث عنه، الطريق الذي يصل إلى الممر المؤدي إلى المنزل. كان هناك فحسب.

ـ إذن لم ترَ أحدًا. أو أي شيء. لم تذهب إلى أي مكان.

بدت أماندا اتهامية، لكن هذا كان مصدر ارتياح: لم تُتَح له الفرصة حتى للنظر! كانوا جميعًا يبالغون في رد فعلهم. لم يكن هناك شيء. حادث صناعي، تلك الضوضاء أربعة انفجارات متتالية محكومة، فُسر فقدان الكهرباء بسهولة. ليس أمرًا رائعًا! لكنه ليس الأسوأ.

ـ يمكنني أن أريك الطريق. سنذهب أيضًا. كلنا.

ـ لا.

كانت روث حازمة. اهتز جسدها كله.

ـ لن نغادر. لن نفعل ذلك. سننتظر هنا. حتى نسمع شيئًا. حتى نعرف شيئًا.

كانت لتسمح لهم بالبقاء، لكنها لم تكن لتخاطر بحياتها من أجلهم.

ـ لا يوجد ما يدعو للقلق. سنقودهم. سنتحدث إلى شخص ما، ونكتشف ما يعرفه الناس، ربما سنملأ السيارة، ونعود إلى هنا.

ـ يمكنكم البقاء. جميعكم. يمكنكم البقاء هنا، في هذا المنزل، معنا.

كان هذا أبعد ما يمكن أن تذهب إليه روث.

ـ فقط ابقوا هنا.

ـ نبقى هنا.

فكر كلاي في ذلك. لقد كان يفكر في ذلك.

ـ حتى ـ حتى ماذا؟

قالت روث:

ـ لكن جورج، لا يمكنك المغادرة. لا يمكنك أن تتركني هنا، ولا يمكنني المغادرة، وهذا هو موقفنا.

ـ ماذا لو كان إلى الأبد؟

لم تستطِع أماندا الانتظار. كان ابنها مريضًا.

ـ ماذا لو لم تعد الهواتف المحمولة للعمل مرة أخرى ـ أعني، بالكاد كانت تعمل هنا من قبل، عندما كان كل شيء طبيعيًا. ماذا لو انقطعت الكهرباء، ماذا لو كان آرتشي مريضًا حقًا، ماذا لو كنا جميعًا مرضى، ماذا لو تسببت هذه الضوضاء في مرضنا؟

ـ أنا لست مريضًا يا أمي.

لماذا لم يكن أحد يستمع إليه؟ شعر أنه بخير! نعم، كان سقوط أسنانه أمرًا غريبًا. لكن ماذا سيفعل الطبيب، يلصقها مرة أخرى؟ شيء ما (غريزته؟ صوت آخر هادئ جدًا؟) أخبره أن يبقوا حيث كانوا.

تساءلت روث عما كانت تفعله مايا. تساءلت لماذا بدا سماع حفيديها لتلك الضوضاء في أمهيرست بولاية ماساتشوستس أمرًا ممكنًا تمامًا بالنسبة

إليها. كانت لديهما فقط أسنان لبنية، بالكاد مثبتة في مكانها. ربما كانت الضوضاء قد أطاحت بها، وجعلت أُمِّيهما في حالة هستيرية. إذا لم تتمكن من إنقاذ طفلك، فماذا كنت لتفعل؟ كانت تعلم أنه لا يمكنهما اختيار البقاء معها، ليس حينما يكون طفلهما مريضًا.

ـ لا أعتقد أنه يمكنني الخروج إلى هناك.

ـ سيكون الأمر على ما يرام.

لم يستطِع جي إتش أن يعد بذلك. كانوا جميعًا ينتظرون لحظة حاسمة. أن يحدث تحسن ما. ربما كان هذا هو الانحدار التدريجي إلى اللامنطقي، اكتشاف الضفدع أن الماء في النهاية أكثر سخونة من أن يتحمله. أكثر الأعوام سخونة في التاريخ المسجل، ألم يقرأ ذلك ذات مرة؟ لكن الصبي كان مريضًا، أو أن به خطبًا ما، وهذه هي المعلومات الوحيدة التي يعرفونها.

ـ يمكنك الانتظار هنا.

ـ لا يمكنني البقاء هنا وحدي.

فكر كلاي بصوت عالٍ:

ـ سنحزم أمتعتنا، سنذهب إلى المستشفى، ثم سنعود إلى بروكلين. لست بحاجة إلى أن ترشدنا إلى هناك. لا بد أن الخريطة ستكون كافية.

بدأ جي إتش التراجع.

ـ أو يمكننا أن نعود. يمكننا ترك روز هنا مع روث، ويمكننا العودة من أجلها.

لم تُرِد أماندا أن ترى الفتاة ما يحدث لأخيها. اعتقدت أن هذا قد يكون أقل إثارة للقلق.

ـ يمكنني البقاء مع روز. يمكنني حتى حزم أغراضك، يمكنك الذهاب على الفور.

أحبت روث أن يكون لديها مشروع.

ـ لا بأس.

وقف كلاي. كان ذلك أكثر منطقية. دع الكبار يفعلون ما هو مطلوب. سيعودون من أجل روز.

كانت أماندا هي التي أدركت ذلك، أو أماندا هي التي قالت ذلك. كان الخمسة منشغلين للغاية بالوضع. أمر مؤسف: اليوم المثالي. يلعب الضوء بشكل جميل عبر حمَّام السباحة، ويتراقص انعكاسه عبر الجزء الخلفي من المنزل، والخضرة وارفة أكثر بفعل المطر، وما من سحابة يمكن رؤيتها.

ـ أين روز؟

٣٥

كانت تشاهد ذلك الفيلم الوحيد الذي نسيت أنها حمَّلته. بحثت أماندا في غرفة نوم الفتاة، لكن الفتاة لم تكن هناك. كانت في الحمَّام. ذهبت أماندا للبحث، لكن الفتاة لم تكن هناك. عادت إلى غرفة المعيشة.

ـ لا يمكنني العثور على روز!

اتفقوا جميعًا على أن هذا لا معنى له. عاد كلاي إلى غرفة النوم الرئيسية، التي كانت فارغة. نظرت أماندا من الباب الخلفي إلى اليوم المثالي الذي كان جاريًا حينها. بحثت أماندا في غرفة الغسيل، ثم عادت إلى غرفة النوم الرئيسية بنفسها، ولم تثق في دقة كلاي. بحثت في خزانة الملابس الكبيرة، بحثت تحت الفراش، كما لو كانت روز قطة منزلية. بحثت في الحمَّام الرئيسي، الذي لا تزال تفوح منه رائحة الملفوظات العنيفة من جسديهما.

وجد كلاي زوجته في الرواق.

ـ لا أفهم. أين هي؟

عادت أماندا إلى غرفة الفتاة ورفعت الأغطية لترى سطح الفراش، غير متأكدة، بالضبط، مما توقعت أن تجده هناك. ترددت أمام خزانة غرفة النوم مثل أي شخص في فيلم. هل قصد المخرج خدعة (روز متكورة بصحبة كتاب)، أو صدمة (شخص غريب يحمل سكينًا)، أو أحجية (لا شيء على

الإطلاق)؟ كانت هناك فحسب رائحة كرات خشب الأرز لإقناع العث بعدم أكل صوف الكشمير. الآن، إذن: الذعر، وفي نهاية الأمر، هدف ملموس يمكن التحديد على أساسه.

عودة إلى غرفة المعيشة، حيث لم تكن روز تشاهد التلفزيون أو تجلس مع كتاب، إلى المطبخ، حيث لم تكن روز تأكل أو تجمِّع قطع «بازل» البساط الشرقي المعقد، إلى الباب المطل على حمَّام السباحة، لكن لا، كانت روز ممنوعة من السباحة بمفردها (أمر معقول فحسب). فتحت أماندا الباب الأمامي وكأنها ستجد الفتاة هناك، خدعة أم حلوى! كلا، فقط العشب، الذي صار داكنًا بفعل الأمطار المتساقطة، وثرثرة الطيور.

كانت الفتاة في الطابق السفلي في الجزء الذي انتمى أكثر إلى عائلة واشنطن. لقد ذهبت إلى المرأب لترى ما يمكن أن يضمه من لهو. كانت تجلس في المقعد الخلفي للسيارة، مطيعة كنوع معين من الكلاب، مستعدة للعودة إلى المنزل. حسنًا، بصوت أعلى:

ـ روزي!

روزي، روزي. قالت أماندا ذلك لنفسها. عادت إلى الحمَّام. في الماضي أحبت الفتاة الاختفاء ومفاجأتها. سحبت أماندا ستارة الدش لتجد حوض الاستحمام ممتلئًا فقط بما ارتفاعه بوصة واحدة من الماء. لقد طلبت من كلاي أن يملأ الحوض، وكان هذا ما توصل إليه؟ عادت إلى غرفة المعيشة.

ـ لا يمكنني العثور على روز.

أراد كلاي كوبًا آخر من الماء.

ـ حسنًا، يجب أن تكون هنا في مكان ما.

أشار إلى غرف النوم.

ـ هي ليست هناك.

لماذا لم يكن يستمع؟

ـ هل تستحم؟
ـ ليست...
لم تكن غبية!
ـ إنها في...
لم يعد يعرف ما يقصده بعد الآن.
ـ لا، لا، بحثت، إنها ليست في أي مكان، أين هي؟
لم تكن أماندا تصرخ، لكنها لم تكن تهمس.
ـ هل بحثت في الطابق السفلي؟
كانت نبرة آرتشي تذوي.
ـ سأبحث في الأسفل.
وقف جي إتش.
ـ ربما كانت تستكشف المنزل فحسب.
ـ لا أستطيع أن أجدها؟
طرحت أماندا الأمر كسؤال لأنه بدا سخيفًا جدًّا؛ لا يمكنني العثور عليها! لا يمكنني أن أجد طفلتي! مثل القول بأنه لا يمكنك العثور على شحمة أذنك أو بظرك.
ذهبت أماندا ووقفت في المطبخ، غير متأكدة مما يجب فعله بعد ذلك. تبعتها روث لطمأنتها لأنها كانت متأثرة. تلك الغريزة اللعينة. كان عليها المساعدة. لقد كانتا زميلتين ليس كأمهات بل كبشر. كان هذا ـ كل هذا ـ مشكلة يجب مشاركتها.
ـ لا بد أنها في الخارج.
تمكنت روث من تصور الفتاة، وهي تراقب الفراشات الملكية تقوس أجنحتها على زهور الصقلاب.
ـ لقد ذهبت للعب.
ـ بحثت في الخارج، في الفناء الأمامي.

ـ لنذهب إلى الخارج.
جلس كلاي بجانب ابنه مرة أخرى.
ـ أماندا. اهدئي. لنفكر. يمكن أن تكون في المرأب، أو خارج السياج، دعينا نذهب ونبحث عنها.
ـ ما الذي تعتقد أنني أفعله بحق الجحيم، يا كلاي؟ سأحضر حذائي لأجدها.
هرعت أماندا نحو غرفة النوم.
ـ آرتشي، هل تعرف أين ذهبت أختك؟
كان كلاي صبورًا. تحدث آرتشي بهدوء. هل عرف؟ كانت لديه غريزة، لكنها لم تكن منطقية.
ـ لا.
عادت أماندا مرتدية حذاءها المنزلق من إنتاج «كيدز». لم يعد لديها حتى الدموع بعد الآن.
ـ أشعر بالجنون. أين روز؟
ـ أنا متأكدة أنها في الخارج.
لم تكن روث متأكدة تمامًا من أي شيء.
كان ينبغي لأماندا أن تصرخ، لكن لم يكن هناك صراخ. كانت حقيقة أنها كانت هادئة للغاية مقلقة إلى حد ما.
ـ ارتدِ حذاءك وساعدني في البحث عنها بحق الجحيم.
من خلال الباب، تمكن كلاي من رؤية نعله المطاطي الرفيع بجوار حوض الاستحمام الساخن.
ـ سأخرج إلى المقدمة، بجوار حديقة الأعشاب. سأبحث فيما وراء سياج الشجيرات.
ـ لقد تجولت فحسب في مكان ما.

حاولت روث أن تقنعهم.

ـ لا يوجد تلفزيون، لذا فهي تلعب بالطريقة التي اعتدنا عليها، فقط تتجول. لا يوجد ما يدعو للقلق هنا.

قصدت: لم يكن هناك زحام، لم يكن هناك خاطفون. لم تكن هناك دببة أو أسود جبل. لم يكن هناك مغتصبون أو منحرفون، ولا أشخاص على الإطلاق. كانوا مجهزين للتعامل مع مخاوف معينة. كان هذا شيئًا آخر. كان من الصعب تذكير نفسك بأن تكون عقلانيًّا في عالم يبدو فيه ذلك غير مهم بهذا القدر، ولكن ربما لم يكن كذلك قَطُّ.

في الطابق السفلي، وجد جي إتش خزانته مليئة بالإمدادات، وفراشه مرتَّبًا، وحمَّامه، والتلفزيون الصامت عديم النفع، والباب الخلفي المكسور، وهاتفه المحمول موصلًا بالكابلات البيضاء المتفائلة. وضع الهاتف في جيبه.

في غرفة المعيشة، حشر آرتشي قدميه في حذائه من إنتاج «فانز» واستخدم لسانه في التفكير في الجيوب الفارغة الرقيقة في لثته. كانت ناعمة وممتعة، مثل تجاويف جسم الإنسان الذي صُمم جسم آرتشي ليملأها، وهو شيء لن يعرفه أبدًا عن كثب. هل بإمكانه أن يغفر للكون حرمانه من غرضه المحدد الخاص؟ لن تتاح له الفرصة. فتح الباب الخلفي وذهب لينضم إلى أبيه، ذهب ليعثر على أخته.

ـ أيوجد ما يدعو للقلق؟

مخيلة أماندا، المنهكة، استسلمت. خرجت مع بقية أفراد عائلتها، في ذلك اليوم الجميل، مشتتة للغاية لتلاحظ ما إذا كان الأمر مختلفًا عن آلاف الأيام الأخرى من حياتها حتى الآن. حبيبتها روز! روز! كانت صاخبة ومتحمسة بما يكفي لإفزاع الحيوانات التي لم تستطِع رؤيتها ولن تعرف بوجودها أبدًا.

كانت لدى أماندا نظريات. فعلت الأم ذلك دائمًا. خطوة خاطئة إلى بئر غير مستخدمة، بعمق مائة قدم، متنكرة بعشب القديس أوغسطين المقيت. غصن، انقطع بسبب تلك الضوضاء، سقط من فوق. لدغة ثعبان، كاحل ملتوٍ، لدغة نحلة، ربما تاهت ببساطة. لا يمكنهم الاتصال برقم ٩١١! من سينقذهم؟

أخذ جي إتش مسار باب الطابق السفلي، وأغلقه بحذر شديد. كان العشب رطبًا وسميكًا.

ـ أنا ذاهب إلى المقدمة.

فعل كلاي ذلك بالضبط.

كانت روث خائفة. بمجرد أن تنجبي طفلًا، عرفت أنكِ خائفة.

ـ يجب أن نبحث في المرأب.

قادت روث الطريق. تبعتها أماندا.

سار آرتشي عبر الفناء إلى السقيفة الصغيرة. كان يعلم أن أخته لم تكن هناك، لكن كان عليه أن ينظر. كان الباب مفتوحًا، واتكأ آرتشي على الهيكل، ونظر إلى الخلف نحو المنزل. طفلة صغيرة غبية. كان يعلم أنها عادت إلى الغابة. لماذا لم يكن قادرًا على قول هذا بصوت عالٍ؟ وكيف عرف ذلك؟ لا يهم. ارتجف آرتشي بالطريقة التي قد ترتجف بها عندما تمشي داخل شبكة عنكبوت، بالطريقة التي قد ترتجف بها إذا رأيت عنكبوتًا ينطلق من تحت وسادتك ويتيه في ملاءات الفراش المطبوعة بنقشة صغيرة كالفسيفساء، بالطريقة التي قد ترتجف بها إذا تسلل عنكبوت من كتفك إلى أعلى رقبتك واستقر في كهف أذنك المريح، بالطريقة التي قد ترتجف بها إذا سقط عنكبوت من السقف وهبط على شعرك ثم شق طريقه للأمام بحذر أسفل منحدر أنفك حتى تتمكن بالكاد من رؤيته بعينيك المتسعتين، بالطريقة التي قد ترتجف بها إذا بدأ

العنكبوت ولدغك وتقطر سمه في مجرى الدم ثم أصبح جزءًا منك، لا ينفصم مثل الحمض النووي الخاص بك، الشيء الذي صنعك. شعر بشعور غريب في ركبته اليسرى، ثم خارت تحته، وانحنى آرتشي عند الخصر، وبدأ يتقيأ لكنه لم يكن يتقيأ، فقط ماء، قليل من الدم. خمِّن؟ كان ورديًّا مثل...

٣٦

شعر كلاي بالحصى أسفل نعله. كان باليًا تقريبًا، في نهاية حياته. إذا كنت ترغب في التخفيف من شعورك بالذنب بشأن إنتاج القمامة، فيمكنك إرساله بالبريد إلى الشركة المصنعة، مجانًا، التي ستلقي به في الإكوادور، وجواتيمالا، وكولومبيا، في مكان ما من ذلك القبيل حيث علَّمت المنظمات غير الحكومية الناسَ تقطيعها إلى قطع وخياطتها لتحويلها إلى حصر مطاطية ليشتريها الأشخاص البيض. لم يكن هناك شيء خارج الفناء الأمامي، لم يكن هناك شيء وراء سياج الشجيرات، فقط نفس المشهد الذي سخر منه في اليوم السابق. هل كان ذلك بالأمس فقط؟

ـ روز!

صوته لم يحمل النداء. لم يذهب إلى أي مكان. سقط على الأرض وارفة النباتات.

في المرأب، أشارت روث إلى السلم صعودًا إلى العلية. قد ترغب فتاة في اللعب هناك! كانت لدى روث خطة غير مكتملة لتحويلها يومًا ما إلى شقة للضيوف. صعدت أماندا السلم، لكن لم يكن هناك شيء.

خرجت المرأتان من المرأب بينما كان كلاي يدور حول الركن وأكمل جي إتش دورة المنزل. نظر الأربعة إلى بعضهم البعض.

ـ هل ذهبت؟

لم تكن أماندا تعرف ماذا تقول غير ذلك.
ـ لا يمكن أن تذهب.
قصدت روث «رحيلًا»، «نهاية»، «اختفاء».
مهما كان هذا، لم يكن اختطاف المسيح لأجساد المؤمنين في رجوعه الثاني. كانت روز ستُنقذ بالتأكيد، لكن كلاي عرف أنهم لا يستطيعون الاستسلام لأسطورة محضة.
ـ يجب أن تكون... قد ذهبت إلى مكان ما فحسب.
ـ كانت فضولية للغاية بشأن المنازل الأخرى. والبيض! ربما ذهبت إلى كشك البيض.
كانت لدى روث شكوكها.
ـ أين آرتشي؟
نظر كلاي نحو الفناء الخلفي.
ـ لقد كان هناك.
كان بإمكان أماندا أن تحمل شيئًا واحدًا فقط في رأسها في تلك اللحظة.
ـ يبدو أنه أفضل.
يا له من تفاؤل! لم ينجح الأمر إلا إذا تجاوز حقيقة أسنان الصبي المفقودة، لكن الأبوة كانت تعني رحلات سحرية للخيال من آن لآخر.
أومأت روث:
ـ يجب على أحدنا النزول إلى كشك البيض.
ابتعدت أماندا، نفد صبرها.
ـ سأذهب. كلاي، اذهب إلى الخلف. ابحث في الغابة. لكن لا تذهب بعيدًا.
ـ سوف أبحث في الداخل مرة أخرى.
صرفت روث الرجلين.
ـ اذهب إلى الخارج.

عبر كلاي وجي إتش من الباب الأمامي، ومن الشرفة الخلفية غير المسقوفة رأى كلاي ابنه، منبطحًا، على العشب. ناداه. ركض نحوه. لم يعد يتذكر ما الذي كان من المفترض أن يفعله.

كان الولد منحنيًا على ركبتيه وصدره كمسلم في الصلاة. أدخل كلاي يده تحت إبطه وسحبه إلى الخلف.

ـ بابا.

نظر إليه آرتشي، ثم انحنى إلى الأمام وتقيأ مرة أخرى، رشة جميلة من السائل على الأرض.

ـ ماذا حدث؟

كان جي إتش يطالب بتفسير.

ـ أنت بخير، أنت بخير.

رأت روث هذا من الشرفة غير المسقوفة. أسرعت، وهي تعلم أنهم بحاجة إليها. احتضنوا جسد الصبي بين أجسادهم وساروا بخطى كبار السن المدروسة. استمر الصبي في الاختناق أو الاختلاج، لكن لم يبقَ فيه شيء ليهرب من فمه. كانت عيناه مغمضتين تقريبًا ولكن ليس تمامًا، ترفرفان مثل عيون نوع من الكاميرات التي صارت قديمة الآن، لكن هل رأتا؟ هل التقطتا أي شيء؟

كانت روث تقوم بالفهرسة. كانت لديهم مضادات حيوية قديمة. كانت لديهم زجاجة ماء ساخن. كان لديهم ذلك المسحوق الذي تتناوله عندما تصاب بالأنفلونزا. تذيبه في الماء الساخن وتنام لساعات. كان لديهم ملح البحر وزيت الزيتون والريحان ومطهرات الغسيل وضمادات وعبوة ضخمة من عبوات مناديل السفر الصغيرة التي كانت سهلة التناول للاحتفاظ بها في حقيبتك. كان لدى جورج عشرة آلاف دولار نقدًا مخبأة لحالات الطوارئ. كانوا أغنياء! هل أي من ذلك سيكون خلاصًا من هذا الأمر مهما كان؟

ـ دعونا نُدخله.

قاد جي إتش هذا المسعى. شرعوا في صعود الدرجات الخشبية العريضة. بدأ نظام الترشيح في حمَّام السباحة دورته المقررة، التي أخبرته أن الساعة العاشرة صباحًا.

وضعوا جسد الصبي على الأريكة.

ـ آرتشي، حبيبي، هل أنت بخير؟ أيمكنك أن تخبرني؟

نظر آرتشي إلى الثلاثي.

ـ لا أعرف.

نظر كلاي إلى البالغين الآخرين.

ـ أين روز؟

ـ أعتقد أنها ربما تلعب على الطريق. استعارت إحدى الدراجات. أعلم أنها كانت تشعر بالملل. إنها فقط... إنها تلعب.

حاول جي إتش أن يجعل هذا يبدو حتميًا.

ـ دعونا نحضر بعض الماء لآرتشي. لا يمكننا جعله يصاب بالجفاف.

كان كلاي يعلم أن روز تحب أن تفعل شيئًا. كانت دائمًا بصحبة كتاب، وفي كتبها، كانت للفتيات في سنها قلوب كبيرة وشهية للمغامرة. فعلن أشياء شجاعة غير محتملة، وواجهن مخاوفهن الخاصة، ثم أمسكن أيديهن بعفة مع الأولاد ذوي الرموش الجميلة. أعطتها هذه الكتب إحساسًا بالعالم كشيء يجب التغلب عليه بالأفعال الجريئة. الكتب أفسدت الجميع؛ أليس ذلك ما كان من المفترض أن يُظهره عمله الأكاديمي؟

ـ ماء. صحيح.

كانت روث قد ملأت بالفعل كوبًا آخر.

ـ اشرب هذا.

ـ اجلس، على مهل الآن..

تذكر جسد كلاي وضع الأبوة المبكرة، مستعد للقفز وتصحيح جسد طفلك المتدهور.

ـ علينا الذهاب إلى المستشفى.

قرر جورج. تابع:

ـ علينا الذهاب الآن.

ـ لا يمكنك أن تتركني.

فكت روث البطانية من على ظهر الأريكة ولملمتها في طيات على جسد الصبي.

ـ إنه مريض. ترين ذلك.

ـ لا يمكننا الذهاب من دون ابنتي.

ـ سوف نذهب. أنت وأنا. سنأخذ آرتشي.

ـ لا. لا يمكنك يا جورج، لا يمكنك المغادرة.

ـ روث. اعثري على أماندا. أنتما الاثنتان اعثرا على روز. ابقي أنتِ هنا.

أكانت تملك ما يجعلها تفعل هذا؟ ألم تشعر بالملل من وجوب أن تكون قوية ونبيلة ومؤهلة، وأفضل ممثلة مساعدة؟ ألم يُسمح لها أن تكون هستيرية وخائفة؟

ـ جورج، من فضلك.

نظر في عينَي زوجته.

ـ سنعود. سنعود على الفور.

ـ لن تعود أبدًا. ألا ترى أن شيئًا ما يحدث؟ إنه يحدث الآن. أيًا كان الأمر، فإنه يحدث لآرتشي، إنه يحدث لنا جميعًا، لا يمكننا المغادرة.

لم تكن روث تبكي أو كانت في حالة هستيرية، ما جعل ما قالته أكثر إثارة للقلق.

لم يلاحظ كلاي الوخز في ركبتيه ومرفقيه، أو فعل ذلك ونسبه للخوف.

ـ روث، من فضلك. نحن بحاجة إلى المساعدة.

كانت هذه لحظته. لقد اتخذ رجال جيله القرارات، وشنوا الحروب، وصنعوا الثروات، وتصرفوا عن قناعة.

ـ سنذهب. كلاي، خذ آرتشي إلى السيارة. أحضر تلك البطانية. روث، أحضري له زجاجة ماء. آرتشي، استلقِ في المقعد الخلفي.

ـ جورج. لن أدعك تفعل هذا. لا أستطيع أن أدعك تفعل هذا. لا أستطيع.

ـ هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكننا القيام به. هذا هو الشيء الذي يجب أن أفعله.

أمسك جورج المفاتيح في يده. لم يصرح لها بذلك لأنه كان يعرف روث وعرف أنها ستفهم؛ إذا لم يكونوا بشرًا، في هذه اللحظة، فهُم لا شيء.

لم تعرف روث كيفية تعداد الأشياء التي لا تستطيع فعلها. لم تستطِع فعل أي من هذا.

ـ ستعود إليَّ. ستعود من أجلنا.

ـ اضبطي ميقاتًا. أحضري هاتفك. اضبطي المنبه. ساعة واحدة.

كان جي إتش متأكدًا من أنه يمكنه القيام بذلك.

ـ لا يمكنك تقديم وعود لا يمكنك الوفاء بها!

تخبطت روث في هاتفها.

ـ سيستغرق الأمر ساعة واحدة. أقل. سأقود إلى المستشفى. سأتركهما وأستدير وأعود من أجلك أنت وأماندا وروز. ستعثرين على روز. هل تفهمين؟ سأضبط ميقاتًا أيضًا.

ـ لن يجدي هذا. لن ينجح الأمر.

ـ سينجح. لا يوجد خيار. انظري.

ضغط على الشاشة الرقمية، وبدأت الثواني في العد التنازلي.

ـ سأترك كلاي وآرتشي هناك، وبعد ذلك سأعود لكُنَّ بحلول الوقت الذي ينتهي فيه هذا.

ـ كيف تعرف أن المستشفى سيكون...

تلعثم كلاي.

ـ كلاي.

لم يعتقد جورج أن الأمر يستحق المناقشة. كان يعرف ما الذي كان يُفترض أن يحدث.

ـ سنذهب. أدخله إلى السيارة.

ـ هيا يا حبيبي.

ساعد كلاي ابنه على النهوض وتذكر يديه عند خصر الطفل. نحيف للغاية يمكنه أن يحيطه بدائرة، وتتلامس أطراف الأصابع.

لفت روث البطانية حول كتفَي آرتشي مرة أخرى.

ـ ساعة واحدة.

ضغطت على زر هاتفها، وبدأت الثواني تدق. قالت:

ـ هذا ما تحصل عليه. لقد وعدت.

ـ لا شيء يدعو للقلق.

أمسك جورج بمفاتيحه، ثقيلة بما يشير إلى الفخامة. هل كان يكذب؟ هل كان مفعمًا بالأمل؟

لم تؤمن روث بالصلاة، لذلك لم تفكر في شيء.

٣٧

عرف جي إتش أنهم سيجدون روز. كان هذا ما فعلته الأمهات. سونار سري من نوع ما، مثل تلك الطيور التي تخفي مائة ألف بذرة في أكتوبر وتبقى سمينة طوال الشتاء. عادت السيارة إلى الحياة مثل الآلة الموثوقة باهظة الثمن التي كانت عليها.

ارتجف آرتشي على المقعد الخلفي المصنوع من الجلد.

ـ أخبرني إذا كنت بحاجة إلى التوقف والتقيؤ.

بالطريقة التي قالها، بدا الأمر كما لو أن جورج كان يفكر في سيارته، لكن الوالد كان ضليعًا في القيء والأسوأ من ذلك، معمَّدًا فيه، وقادرًا، لما بقي من الحياة، على ألا يشعر بالرعب بل بالشفقة. مايا البالغة من العمر سبع سنوات في منعطف شارع «ليكس» والشارع الرابع والسبعين، تتقيأ رقائق كاملة من السمك الأبيض في يديه الممدودتين. مجرد ذكرى أخرى، مجرد لحظة أخرى، لكنه كان ليفعل ذلك مرة أخرى إذا كانت ابنته البالغة في المقعد الخلفي، بلا أسنان وفي قبضة مرض لم يكن لديهم اسم له. كنتَ أبًا إلى الأبد.

تحول كلاي إلى اليسار لاستعادة محفظته من جيبه الخلفي الأيمن. من المذهل أنه تذكرها، يا لها من غريزة سرية. تصفح بطاقات بلاستيكية بحثًا عن بطاقة التأمين الخاصة بهم. استخدموا خطة تأمين أماندا. كانت أفضل

من تلك الموجودة في الكلية. أطلق زفرة عند العثور عليها، الراحة الناتجة عن أن شيئًا ما، أخيرًا، يسير بشكل صحيح.

ـ سنأخذك إلى طبيب.

استدار كلاي لينظر إلى ابنه. أكان أنحف، أكان شاحبًا، أكان ضعيفًا، أكان أصغر؟

ـ أنت بخير. أنت بخير.

ـ أنا بخير.

كان آرتشي المطيع مصممًا على تلقي ما يحدث كرجل. كان آرتشي رجلًا الآن.

تحولت السيارة من الممر إلى الطريق المؤدي إلى الطريق الرئيسي. قاد جورج السيارة على نحو أبطأ من المعتاد، على الرغم من تسارع ضربات القلب، والإحساس بالاندفاع، وتراكم الثواني على العداد. لم يلاحظ أي من الرجال في السيارة كشك البيض الصغير، ولم يعرف أي منهم أن أماندا كانت بداخله، ووجدت، بدلًا من روزي، رائحة العمل الزراعي الطيبة فحسب. لن تجلب عائلة مَدْ، الذين كانت هذه أرضهم، بيضًا طازجًا مرة أخرى إلى هذه السقيفة الصغيرة.

سبح كل شيء أمام كلاي، أخضر، أخضر، غنيًّا، رطبًا، كثيفًا، مهدِّدًا، غير مُجدٍ، عاجزًا، غاضبًا، أخضر غير مكترث.

ـ رأيتُ شخصًا ما. عندما خرجت من قبل.

لم يميز جورج ذلك.

ـ قلتَ إنك كنت تائهًا. انتبه. هناك قلم وورقة في درج السيارة. ارسم خريطة. انعطفنا يمينًا من الممر، وانعطفت يسارًا هناك. نذهب فوق هذا التل ونأخذ منعطفًا آخر إلى اليمين.

كان يخطط للطوارئ. ماذا لو انفصلوا بعضهم عن بعض؟ ماذا لو... كانت هناك سيناريوهات لا نهاية لها.

فتح كلاي درج السيارة، حيث كان هناك لوح أوراق وقلم رصاص، ودليل المالك، ومعلومات التأمين والتسجيل، وعبوة مناديل، وعدة إسعافات أولية رفيعة. النظام والتحضير والترتيب. كان كل شيء بشأن حياة جي إتش وروث منظمًا ومجهزًا ومرتَّبًا. كان الأغنياء محظوظين جدًّا.

ـ كانت هناك امرأة. على الطريق. لوَّحت لي. كانت تتحدث الإسبانية.

ـ رأيت شخصًا... أمس، عندما خرجت؟

من الغريب أن هذا كان بالأمس! حاول جي إتش ولكن لم يستطِع الإجابة عن أي يوم من أيام الأسبوع كان ذلك.

ـ لماذا لم تقل؟

ـ كانت... كانت تقف على جانب الطريق. لوَّحت لي. تكلمت معها. حسنًا، حاولت ذلك.

كان يعلم أن ابنه كان يستمع. كان من المريع أن تخجل أمام طفلك.

ـ سألناك ماذا رأيت.

كان جورج ساخطًا. احتاج إلى جميع المعلومات قبل أن يقرر ما يجب فعله بعد ذلك.

ـ كانت ترتدي ما يشبه ملابس خادمة. أظن؟ ترتدي قميص بولو. قميص بولو أبيض. اعتقدت... لا أعرف. لم أستطِع فهمها. كانت تتحدث الإسبانية، ولا أعرف ما الذي كانت تقوله، وكنت سأستخدم ترجمة «جوجل» لكنني لم أتمكن، وبعد ذلك...

لم يكن يعرف ما إذا كان يمكنه قول ذلك أمام آرتشي.

فكر جي إتش في روزا، التي حافظت على منزلهما منظمًا، التي نحت زوجها سياج الشجيرات واعتنى به، وكان أطفالها يلعبون بهدوء، أحيانًا، أثناء عمل والديهما في حرارة الصيف، متظاهرين بعدم رؤية حمَّام السباحة، على الرغم من أن روث أخبرت روزا أن الأطفال مرحب بهم إن أرادوا أن يسبحوا. لن يفعلوا ذلك أبدًا. لم يكن الأمر من شيمهم. أكانت هي؟

ـ امرأة من أصل إسباني؟

كان آرتشي يستمع، لكنه فهم. لم يكن يعرف ماذا كان سيفعل. كان يعلم أنه من الحماقة التظاهر بأن أي شخص سيعرف ما يمكن فعله في مثل هذه اللحظة.

ـ تركتها هناك. لم أكن أعرف ماذا أفعل. لم أكن أعرف ما الذي كان يحدث. لم أكن أعرف أن شيئًا ما كان يحدث.

لم يكن بإمكان كلاي قَطُّ تخيل أي شيء شديد التحديد مثل الطيور غير المبررة، الأسنان المفقودة. ماذا لو كانت روز، في ذلك الوقت، تتجول على جانب الطريق، وتطلب المساعدة من بعض سائقي السيارات المارة؟ لماذا ستفعل؟ لم يكن لديه أي فكرة عما فكرت فيه، ابنته.

ـ لا عليك.

لم يعتقد جي إتش أن الأخلاق كانت اختبارًا. لقد كانت مجموعة اهتمامات متغيرة باستمرار.

ـ انتبه. ارسم خريطة سيمكنك قراءتها. اكتب ما نفعله.

ـ لقد تركتها. احتاجت إلى المساعدة. نحن بحاجة إلى المساعدة.

لقد كانت الكارما، أليس كذلك؟ اعتقد كلاي أن الكون لا يهتم. من المحتمل أنه كان على حق. لكن ربما اهتم الكون، ربما كانت الرياضيات.

ـ نحن ذاهبون للحصول على المساعدة. هل ترى هذا المنعطف في الطريق؟ هناك مزرعة وراءه تمامًا، «ماكينون فارمز». إنها أحد المعالم.

كان من الغريب محاولة رؤية كل شيء بعيون جديدة. لم يفكر جي إتش قَطُّ في هذه الطرق. امتلكها من دون حاجة إلى رؤيتها. كان هذا مكانهم، لكنه لم يكن مكانهم أيضًا. لم يكن يعرف من هم آل ماكينون، وما إذا كان لا يزال لديهم أي علاقة بالمزرعة التي تحمل اسمهم. لم يتجول مع روث ليتعرفا إلى الجيران حين أتما صفقة شراء المنزل. كيف سيتقبل السكان المحليون ذلك، الغريبين الأسودين في السيارة التي يبلغ ثمنها ثمانين ألف دولار؟

لقد تحصنا. لم يحبا حتى التوقف عند البقالة أو محطة الوقود، واضحين ومتوترين. أسيحتاج إلى سلاح في الأيام القادمة؟ لم يؤمن جي إتش بتلك الأشياء قَطُّ. أستساعدهم النقود الموجودة في خزانة غرفة النوم الرئيسية بأي شكل؟

رسم كلاي بعض الخطوط على الورقة. كانت مبهمة في اللحظة التي أزال فيها القلم الرصاص. لم يكن قلبه في محله. كان قلبه في المقعد الخلفي. كان قلبه أينما كانت روز.

ـ أنت لا تفهم.

كانت خطوط الرؤية خالية من العوائق، وامتدت الحقول إلى البعيد بطريقتها المزعجة والمستمرة.

ـ لم أكن أعرف ماذا أفعل. لا أستطيع أن أفعل أي شيء من دون هاتفي. أنا رجل عديم الفائدة. ابني مريض وابنتي مفقودة ولا أعرف ما الذي يُفترض أن أفعله الآن في هذه اللحظة هنا، ليس لديَّ أي فكرة عما يجب فعله.

عيناه نديتان بشكل رهيب، حاول كلاي تمالك نفسه. ابتلع النحيب كما لو كان تجشؤًا. كان ضئيلًا جدًّا.

لم يثق جورج بالمكان. إذا كان لديه عارض قلبي، لكان قد دفع ثلاثة آلاف دولار لطائرة هليكوبتر عائدة إلى مانهاتن، حيث يؤمن الناس بإنسانية السود. هذا المكان لم يكن جيدًا بما يكفي بالنسبة إليه، فهو جميل كما كان. هنا، كان الناس متشككين، مستائين من الأغنياء الغرباء ومدينين لهم بالفضل. هنا، صلى الناس لأن يكون مايك بنس وكيلًا للأتقياء في النهاية الوشيكة. كل تلك الأبحاث التي جعلت الأطباء والممرضات يظنون أن السود يمكنهم تحمل الأمر، وحجبوا عنهم المسكنات الأفيونية الملطفة.

ـ أنا أعرف ما يجب فعله.

لم يستطِع كلاي أن يقول بصوت عالٍ إنه لا يعتقد أن الطبيب سيكون لديه أي شيء من أجلهم. لقد وضع أسنان الطفل في كيس ذاتي الغلق من إنتاج «زيبلوك». كانت في جيبه الأيسر، وكان قلقًا منها مثل مسبحة مريعة.

ـ ربما سيكونون قادرين على شرح كل شيء في المستشفى.

ـ قبل ذلك. علينا أن نتوقف. نحن ذاهبون إلى منزل داني.

ـ منزل من؟

لم يستطِع جورج أن يفسر إيمانه بأن داني، من بين كل الناس، سيفهم ما الذي كان يحدث، ولديه استراتيجية، إن لم يكن حلًّا. هذا هو نوع الرجل الذي كان. بإمكانهم أن يذهبوا إلى داني ويقولوا إن الفتاة مفقودة أو إن الصبي كان مريضًا أو إنهم كانوا جميعًا خائفين من الضوضاء في الليل، ويمكن أن يمنح داني، مثل ساحر «أوز»، صحة جيدة ومرورًا آمنًا.

ـ كان داني مقاولنا. إنه جار. إنه صديق.

بدا اليوم في الخارج طبيعيًّا جدًّا.

ـ علينا نقل آرتشي إلى المستشفى.

ـ سنفعل. عشر دقائق. سنتوقف لمدة عشر دقائق. أنا أقول لك، داني سوف يساعد، ستكون لديه فكرة.

كان من المفترض أن يتشاجر كلاي، بدا متأكدًا، لكنه هز كتفيه.

ـ إذا كنت تعتقد ذلك.

ـ أعتقد ذلك.

لقد صنع جورج حياته بهذه الطريقة. كانت للمشكلات حلول، وستكون لدى داني معلومات وقد يكون أيضًا قدوة يحتذى بها. يمكن أن يعود مع كلاي، ويشمرا أكمام قميص «شامبراي» القطني، ويحموا الأشخاص الذين يحبونهم.

ـ لا يوجد أحد في الجوار.

تساءل كلاي عما إذا كانوا سيرون تلك المرأة مرة أخرى. لقد اجتمع مع

عائلته في فراش ضخم مريح مع ملاءاته الجميلة الملطخة بالمني، وكانت تلك المرأة المكسيكية ـ لكنها ربما لم تكن مكسيكية ـ قد قضت الليلة... لم تكن لديه فكرة أين.

ـ بعيد جدًّا عن الشاطئ ليُعَد منزلًا على الشاطئ. ليس في الواقع في مزرعة، لذلك فهو ليس في مزرعة. ليس قديمًا بشكل خاص، لذا فهو ليس منزلًا تاريخيًّا. ليس جديدًا ومخادعًا، لذلك فهو ليس منزلًا فخمًا. مجرد مكان هادئ، على أطراف الأرض، مكان ما تكون فيه وحيدًا وهادئًا ومرتاحًا.

ألم يكسبوا رفاهية الابتعاد قليلًا عن الفقراء والجهلاء والأسوأ؟

ـ لكن هذا وهم حقًّا. إنها مجرد دقائق قليلة. بضعة أميال من هذا الطريق. المتاجر، السينما، الطريق السريع، الناس. سينما، مركز تجاري. المحيط.

ـ ذهبنا إلى هناك.

ـ «ستاربكس».

ـ توقفنا هناك.

ـ وسائل الراحة. وحيد لكن ليس وحيدًا حقًّا. إنها مجرد فكرة. إنه أفضل ما في العالميْن.

ـ لا توجد سيارات. هل سمعت طائرة؟

توقف كلاي عن توقع التعرف على الأشجار، والمنحنيات، والانعطافات، والارتفاعات.

ـ مروحية؟ صفارة إنذار؟

كان من الواضح أنهم سيضطرون إلى تعلم طريقة جديدة من خلال عالم جديد.

ـ لم أسمع أي شيء.

من المقعد الخلفي، أنصت آرتشي. راقب من النافذة، لكنه تمكن فقط

من رؤية السماء. فكر في روز والغزلان التي رأتها، لكنه لم يكن يعلم أنها جميعها ستبتعد كثيرًا، في الليل.

كان هناك معنى في زفرة جي إتش. جعلك العمر أكثر صبرًا.

ـ كل شيء مختلف. هل تدون هذا؟

نظر كلاي إلى الخريطة التي رسمها. كانت غير مقروءة وعديمة الفائدة. لذا فقد فشل أيضًا في العمل كرسام خرائط. قلت لنفسك إنك ستكون على دراية بـ«هولوكوست» تتكشف في عالم بعيد، لكنك لم تكن كذلك. كان الأمر غير جوهري، بفضل المسافة. لم يكن الناس مرتبطين ببعضهم البعض. حدثت أشياء فظيعة باستمرار ولم تمنعك قَطُّ من الخروج لتناول الآيس كريم أو الاحتفال بأعياد الميلاد أو الذهاب إلى السينما أو دفع الضرائب أو مضاجعة زوجتك أو القلق بشأن الرهن العقاري.

ـ أنا أدونه.

كان جي إتش متأكدًا من الأمر.

ـ داني سيعرف شيئًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

٣٨

فتحت روث باب السقيفة الصغيرة. اشتكى المفصل، لكن أماندا لم تستجِب.

ـ هيا، الآن.

لم تكن روث تريد أن تكون هذا الشخص. المساعد، اللاعب الداعم. كانت ابنتها مفقودة بالنسبة إليها أيضًا. من سيساعدها في العثور على حفيديها؟ من سيجعلها تصمد؟

ـ أين روز، أين روزي. ماذا علينا أن نفعل؟

كانت أماندا جالسة على دلو مقلوب.

ـ هيا. انهضي. اخرجي من هنا. في الضوء.

رائحة المبنى الصغير كريهة.

خرجت المرأتان. أكدت الشمس نفسها. فحصت روث الميقات على الهاتف. لقد مرت إحدى عشرة دقيقة. سيعود جورج في غضون تسع وأربعين دقيقة. لم تكن هذه مدة طويلة. بإمكانك تقليلها إلى ثوانٍ والبقاء متيقظًا، وحسابها بصوت عالٍ. كانت ستسمع اقتراب السيارة على الحصى. كانت ستراه مرة أخرى. قالت:

ـ هذا أفضل.

وكان الأمر كذلك. قدم الهواء النقي وعدًا من نوع ما.

ـ أخذوا آرتشي. كان مريضًا مرة أخرى.

لم تستطِع أماندا التفكير في هذا أيضًا.

ـ وضعنا خطة. ساعة واحدة. سيأخذونه. سيعود جورج من أجلك ومن أجلي ومن أجل روز.

ـ هل يجب أن نذهب إلى الغابة في الخلف؟ هل يجب أن نسير على الطريق؟ كم يبعد؟ هل هذا هو الطريق؟

أشارت أماندا، لكنها لم تكن متأكدة إلى أين.

ـ الطريق من ذلك الاتجاه. هل كانت لتذهب إلى هناك؟

لم يكن لهذا أي معنى بالنسبة إلى روث. لم تستطِع تخيل سبب تخلي الفتاة عن أمان المنزل الصغير المبني من الطوب.

ـ لا أعرف! لا أعرف لماذا قد تغادر. لا أعرف إلى أين قد تذهب.

لم تستطِع أماندا أن تقول ذلك، لكن ماذا لو لم تغادر الفتاة على الإطلاق، كانت ميتة بالفعل، في مكان ما في المنزل؟ لقد بدأ ذلك الأمر مع جونبيني رامسي كبحث عن طفلة مفقودة، لكن جثتها كانت في الطابق السفلي طوال الوقت. من قتل جونبيني رامسي، على أي حال؟ لم تستطِع أماندا التذكر.

ـ لنعُد إلى الداخل. لنمشِ داخل المنزل مرة أخرى.

كانت لدى روث رؤيا مروعة؛ الفتاة في الحمَّام الصغير عند المدخل الجانبي، بلا أسنان وواهنة؟

صرخت أماندا:

ـ روز!

كان اليوم صامتًا ردًّا على ذلك. لم يكن هناك شيء من أجلهما في الخارج.

ـ لنبحث في الداخل. لنكن منهجيتين.

احتاجت روث ذلك لفهم الأمور.

أسرعتا في الممر، والحصى يتدحرج تحت خطواتهما. تمكنت أماندا من الشعور بكل حصاة من خلال نعل حذائها المطاطي الرفيع. لم تتمكن

روث من التحرك بنفس سرعة المرأة الشابة، لكنها فعلت. كان هناك أمر طارئ للتعامل معه.

ـ لنذهب إلى الداخل.

قالتها أماندا كأنها كانت فكرتها.

ـ ربما تختبئ.

لم يكن هناك سبب لدى الفتاة كي تختبئ، لكن ربما كانت كذلك؟ كانت تغار من الاهتمام الذي حظي به شقيقها. كانت مستغرقة في كتاب. لم تكن تريد العودة إلى المنزل.

ـ هل تعتقدين أنهم وصلوا إلى المستشفى؟

ـ الوقت مبكر جدًّا. لكنهم في طريقهم.

دخلت روث إلى المنزل من الباب الجانبي. فتحت الخزانة الصغيرة حيث كان لديهم بعض الأحذية طويلة العنق المقاومة للماء، وكيماويات لتذويب الجليد من أجل درجات السلم، وإحدى مجرفتي الثلج البلاستيكيتين العريضتين، وحقيبة قديمة من القماش محشوة بأكياس قماشية أخرى. لا وجود لروز.

ـ إنهم في الطريق. سيكونون بأمان.

كانت أماندا تقنع نفسها.

ـ جورج سيترك كلاي وآرتشي. يمكنهم رؤية الطبيب. ثم سيعود إلينا مباشرة.

ـ لن أغادر من دون روزي!

فتحت أماندا باب الحمَّام الصغير. لا شيء.

ـ بالتأكيد. تلك هي الخطة. سيعود لنا.

كان أمرًا معقولًا فحسب.

ـ ثم ماذا؟ سنغادر؟ لم ننتهِ من حزم الأغراض!

كانوا بحاجة إلى أغراضهم.

ـ سنعود. سنهتم بكلاي وآرتشي. ثم لا أعرف ماذا.

أرادت روث أن تقول: لست بحاجة إلى أغراضك. لديك نحن. لدينا بعضنا البعض.

ـ روز!

تهاوى الاسم في المنزل الفارغ. لم يكن هناك سوى زفير كل تلك الأجهزة، لكن لم تعد أي من المرأتين تسمع ذلك بعد الآن.

ـ ثم ماذا؟ ماذا سيقول الطبيب؟ ماذا سيفعل الطبيب؟ هل أخذ كلاي الأسنان معه؟

وضعوها في كيس بلاستيكي. شيء مريع. هل سيثبتها الطبيب بمسامير في رأسه؟

ـ لا أعرف ماذا بعد ذلك.

ـ سنعود إلى المنزل؟ سنعود إلى هنا؟

لم يكن لأي من الأمرين أي معنى. فتحت روث باب المخزن. لن تختبئ أي فتاة تبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة هناك.

ـ لا أعرف!

كانت، في الواقع، تصرخ. كانت روث غاضبة أيضًا.

ـ أنا لا أعرف ماذا سنفعل، لا تسأليني كما لو أني أملك إجابات تجهلينها. لا أعرف ماذا سنفعل.

ـ أريد فقط أن أعرف ما الذي سيحدث بحق الجحيم. ما الخطة اللعينة. أريد أن أعرف أننا سنعثر على طفلتي وسنركب سيارتك اللعينة باهظة الثمن ونقود إلى المستشفى وسيخبرني الطبيب أن صغيري بخير، وأننا جميعًا بخير، وأنه يمكننا جميعًا العودة إلى منزلنا.

ـ أعرف ذلك. ولكن ماذا لو لم يكن ذلك ممكنًا؟

ـ أريد فقط أن أبتعد عن هذا المكان وعنك وعما يحدث أيًا كان...

كرهتها أماندا.

ـ هذا يحدث لنا جميعًا!

كانت روث حانقة.

ـ أعرف أن هذا يحدث لنا جميعًا!

ـ أنتِ لا تهتمين، أليس كذلك، أنا هنا وابنتي في ماساتشوستس...

بإمكانها أن تشعر بالعناق الشبحي، أيدي حفيديها الأربع الحلوة.

ـ أنا أهتم، لا أعرف ما الذي يجب أن أفعله حيال ذلك. ابنتي في... لا أعرف مكان ابنتي!

ـ توقفي عن الصراخ في وجهي.

جلست روث إلى الوحدة الوسطى في المطبخ. نظرت روث إلى وحدة الإضاءة الكروية المعلقة، التي شُرخت عندما حلقت الطائرات ـ لم تكن تعرف أنها طائرات ـ فوقها. لماذا لم تفهم هذه المرأة أنه مهما كان سوء حظهم، كانوا أيضًا محظوظين؟ أرادت روث أن تنام في فراشها. لكنها أرادت أن يبقى هؤلاء الناس.

ـ أنا آسفة.

هل كانت تعني ذلك؟ لا يهم.

ـ روز!

نظرت أماندا إلى المرأة وفهمت. ليس بوسعهم مغادرة هذا المنزل. ليس بوسعهم العودة إلى بروكلين. بوسعهم رؤية الطبيب وربما التوقف عند المتجر والعودة إلى هنا والاختباء وانتظار ما سيأتي أيًا كان. لم تكن هذه المرأة غريبة على الإطلاق. كانت خلاصهم.

ـ أنا آسفة. أنا فقط أريد ابنتي.

ـ أنا أيضًا أريد ابنتي.

استطاعت روث سماع صوتِ مايا، السجل الجميل لصبا الفتاة. لم تستطِع روث أن تتصالح مع كل ما هو مطلوب. أرادت أن تتأكد أن طفلتها وحفيديها في أمان، لكن بالطبع، لن تعرف روث ذلك أبدًا. أنت لا تعرف ذلك أبدًا.

طالبتَ بإجابات لكن الكون رفض. كانت الراحة والأمان مجرد وهم. المال لا يعني شيئًا. كل ما كان يعني أي شيء هو هذا... ناس، في نفس المكان، معًا. كان هذا ما تبقى لهم.

ـ روز!

لم تجلس أماندا لأنها لم تستطِع. عادت من خلال غرفة المعيشة، إلى غرفة النوم التي كانت لآرتشي، خلال الحمَّام حيث كان حوض الاستحمام فارغًا الآن، إلى غرفة النوم التي كانت لروز. ركعت أماندا على الأرض ونظرت تحت الفراش، حيث لم يكن هناك شيء، ولا حتى غبار. عادت إلى الحمَّام وسدَّت البالوعة بشكل صحيح وبدأت في ملء حوض الاستحمام بالماء.

خرجت إلى غرفة المعيشة.

ـ أنا آسفة. أنا آسفة لأنني صرخت. أنا آسفة لأنني فظيعة. أريد ابنتي، لا أعرف لماذا صرخت فيكِ. أعرف أنكِ تفهمين، لكنني أريد ابنتي. كانت هنا للتوِّ. لا أفهم ما يحدث.

أرادت أن تعانق روث، لكنها لم تستطِع.

لقد فهمت روث. فهم الجميع. كان هذا ما أراده الجميع، أن يكونوا بأمان. كان هذا هو الشيء الذي استعصى على كل واحد منهم. وقفت روث. لذلك، كانت ستبحث عن الفتاة، أو عن جثتها، إذا كانت ميتة. كانت ستفعل ما هو مطلوب، كانت ستفعل كل ما هو إنساني.

دفعت أماندا الأبواب لتفتحها إلى الشرفة الخلفية ونظرت إلى حمَّام السباحة. صرخت باسم ابنتها في الغابة. تحركت الأشجار قليلًا في مهب الريح، لكن هذا كان الشيء الوحيد الذي حدث.

٣٩

لم يكن حتى يبدو وكأنه ممر سيارات، ولكن من خلال أجمة صغيرة، اتسع الطريق، ثم كان ممهدًا. كان هناك عشب يبدو مشذبًا من مسافة بعيدة ولكنه في الواقع كان بريًّا، ومسعورًا. من بعيد، كان اللون الأخضر مبهرًا للغاية، لقد افترضت أنه يجب أن يكون من عمل الإنسان. كان هناك سياج، وكان هناك منزل، طراز استعماري، صدى مزيف للمثال الأمريكي الأصلي، بسبع غرف نوم، جاكوزي، أسطح مناضد من الجرانيت، تكييف هواء مركزي.

رأى جورج السيارة «رينج روفر» الفضية واطمأن. كان داني في المسكن. لقد كانوا مصيبين في المجيء. لم يقل سوى «لنذهب»، لكن حاجة كلاي كانت ملحة مثله، لأنه كان خارج السيارة بالفعل.

ـ آرتشي. ابقَ هنا. استلقِ.

نظر الصبي عاليًا إلى الرجل الأكبر سنًّا. كان يرى أن السماء أصبحت زرقاء الآن، وأنه سيكون يومًا مثاليًّا لتناول الغداء في الخارج، على الرغم من أنه لم يكن متأكدًا مما يمكن أن يأكله بفمه الخالي من الأسنان.

ـ حسنًا. سأنتظر.

كان الباب الأمامي أصفر مصقولًا وبهيجًا، شيئًا شاهدته كارين زوجة داني في إحدى المجلات. ضغط جي إتش جرس الباب. كاد يطرق الباب

ثم قال لنفسه أن يتحلى بالصبر. لن يصلح أن تظهر مثل المجنون. ربما أصيب العالم بالجنون، لكنهم لم يصابوا بذلك.

أمضى داني وكارين الليل مضطربين مثلهما مثل البقية. فراش الأسرة، إيما البالغة من العمر أربع سنوات فيما بينهما حين تلاشى الدوي بالأعلى. كارين شبه متخشبة، تفكر في ابنها هنري، الموجود في منزل أبيه في «روكفيل سنتر». لم تكن هواتفهم تعمل، وكان الصبي مرتبطًا بأمه بشدة، وكانت تعرف، وكلاهما يعرف، أنه ربما كان يناديها في ذلك الوقت، بلا جدوى. هل سيضعه أبوه في السيارة ويقودها إلى المنزل؟ حاولت كارين أن تتمنى أن يكون الأمر كذلك، ولكن من بين اختلافاتهما التي لا يمكن التوفيق بينها كان عدم قدرته على فهم ما تريد. كان داني في المطبخ، يجرُد ما بحوزتهم، وكان منزعجًا بسبب المقاطعة. كان هذا واضحًا عندما فتح الباب.

قال بعرفان ولكنه ليس بحرارة:

ـ جورج.

كان داني وسيمًا جدًا. كان هذا دائمًا أول انطباع يخلفه. التعرض المنتظم للشمس جعل بشرته ذهبية. الاستعداد الجيني أدى إلى ظهور خصلات شقراء وسط شعره البني. كانت وقفته عريضة مثل كتفيه، وضعيته واثقة، لأنه كان يعرف أنه وسيم، لذا وقف كما عرف. قدم نفسه للعالم، وشَكَره العالم. لقد تفاجأ لكنه لم يكن متفاجئًا أيضًا.

ـ داني.

لم يخطط جي إتش لما سيحدث بعد ذلك. ولكن كان هناك بعض الراحة في مجرد رؤية إنسان آخر. يبدو أنه قد مضى وقت طويل منذ تلك الليلة في الحفلة الموسيقية، المصافحة والثناء على الفنانين المؤدين.

ذكَّرت رؤية الرجل داني بالعمل. كان ذلك مجرد رسم ابتسامة، وطمأنة

الناس، والصياح بالأوامر، وتحصيل شيك، لم تكن له علاقة بحياته الحقيقية. المرأة في الطابق العلوي تقرأ كتابًا عن التنانين لفتاة صغيرة خائفة ولكنها أيضًا غير مبالية. بمجرد أن رأى التنبيه الإخباري، كان داني قد خرج من أجل الإمدادات والأخبار. لقد عاد إلى المنزل ومعه أغراض البقالة ولكن القليل من الأشياء الأخرى.

ـ هذه مفاجأة.

استطاع جي إتش أن يرى أنه أخطأ التقدير. لقد فهم وضعية الرجل. كان يجب أن يعرف أن ما كان يعتقده دائمًا عن الناس كان صحيحًا، سمح ذلك النظام الاجتماعي لمعظمهم بالاعتقاد بأنهم ليسوا حيوانات اجتماعية.

ـ أنا آسف لإزعاجك في المنزل بهذا الشكل.

نقل داني نظره من جورج إلى الغريب بجانبه. هل أحب جورج قَطُّ؟ ليس فعلًا. لا يهم. لم يكن ذلك هو السؤال. لم تكن لذلك علاقة بالأمر. لذا لم يحب أوباما أيضًا. كانت للأمر علاقة فقط بالتبختر، بمصافحة القبضتين، بالبشاشة. لقد أهانه، استهزاء بالعالم كما فهمه.

ـ ماذا... ما الذي يمكنني فعله من أجلك؟

أوضح أنه كان خارج وقت العمل، وليس مهتمًّا بفعل أي شيء للكثيرين.

شعر جي إتش ببداية ابتسامة، تكتيك رجل مبيعات.

ـ حسنًا، هناك شيء ما يحدث.

لم يكن غبيًّا.

ـ كنا نقود السيارة على مقربة، واعتقدت أنني سأتفقدك. أرى ما إذا كنت هنا. إذا كنت بخير. إذا كنت قد سمعت أي شيء.

نظر داني من فوق كتفه، وعاد إلى المنزل، متجاوزًا التفاف الدرابزين. رأى غبارًا دقيقًا يتراقص في ضوء الصباح من نوافذ غرفة المعيشة مزدوجة

الارتفاع. رأى كل شيء كما يجب أن يكون، لكنه لم يثق بالأمر. لم يثق بأي شيء. تقدم نحو الرجلين وأغلق الباب من ورائه.

ـ هل سمعتُ أي شيء؟ تقصد، إلى جانب ما سمعناه بالأمس؟

ـ أنا كلاي.

لم يكن يعرف ماذا يقول غير ذلك. تساءل كلاي عما إذا كان هذا الرجل سيمشي معهم حتى يقابلوا روز. هل سيكون لديه دواء لآرتشي؟ هل سيكون لديه اتصال بالإنترنت؟ هل سيرحب بهم في هذا المنزل الوسيم، بحجم فندق، وهل سيكون الأمر مثل حفلة، وإذا كان كذلك، فهل لديه حمَّام سباحة؟ تخيل أن المرأتين قد استعادتا روز، تلعب في ظل الغابة. تخيل أن آرتشي كان يشعر بتحسن، جرثومة مؤقتة في المعدة. ربما لم يكونوا بحاجة إلى أي شيء من هذا الرجل وكان كل شيء على ما يرام، ربما سيقولون مرحبًا فحسب، يواسون، يسألون عما إذا كانت الضوضاء ـ متى كان ذلك؟ ـ كسرت أيًّا من نوافذه.

تابع داني:

ـ أنا مندهش من خروجكما يا رفاق.

ـ ماذا تعني؟

كان جي إتش يحاول الحصول على شيء، أي شيء.

ـ ماذا أعني؟

كانت ضحكة داني قاسية وغاضبة.

ـ بعض الهراء الحقيقي يحدث هناك يا جورج. ألا تعرف ذلك؟ لا يمكنك سماعها من منزلك الجميل ذاك؟ قام رجالي بعمل جيد، لكنني أعرف أنك سمعت ذلك الليلة الماضية.

ـ عائلتي تستأجر منزل جورج. نحن هنا من المدينة.

لم يعرف كلاي لماذا كان يحاول تفسير وجوده. لم يستطِع فهم مقدار ضآلة اهتمام داني.

ـ هذا من حظ عائلتك السعيد.

عرف داني أن الرجل من المدينة. كان ذلك واضحًا. لم يهتم.

ـ هل يمكنك أن تتخيل إلى أي مدى لا بد أن يكون الوضع كارثيًّا؟

ـ ماذا تعرف؟ هل سمعت أي شيء؟

سأل جورج.

ـ أنا أعرف ما تعرفه على الأرجح.

تنهد داني، نافد الصبر.

ـ تقول «آبل نيوز» إن هناك إعتامًا. أعتقد، حسنًا، نحن بأمان هنا. الهاتف معطل. ليس لديَّ كابل. لكن لديَّ كهرباء. لذا أقود السيارة إلى المدينة لإحضار بعض الأشياء. أعتقد أن المتجر سوف يتعرض للسرقة، أليس كذلك؟ لا. هدوء. ليس كالذي قبل عاصفة ثلجية، وإنما كالذي يعقب وقع قدم. لا أحد يعرف ما الذي يحدث. إنه مجرد يوم آخر. أعود إلى المنزل، وأسمع هذه الضوضاء، وأفكر، هذا كل شيء، لن نغادر. ثم الليلة الماضية؛ الضوضاء مرة أخرى. ثلاث مرات. قنابل؟ صواريخ؟ لا أعرف، لكنني سأبقى مكاني حتى أسمع أنه لا ينبغي عليَّ ذلك.

ـ ذهبت إلى المتجر.

أراد جورج أن يكون واضحًا.

ـ جمعت المؤن للتخزين. عدت للمنزل. لا أشعر أن هناك في الخارج المكان المناسب.

ـ ابني مريض.

لم يعرف كلاي كيف يشرح أن شيئًا ما قد أطاح بالأسنان من فم آرتشي البالغ من العمر ست عشرة سنة. لم يكن الأمر منطقيًّا.

ـ كان يتقيأ. يبدو أنه بخير الآن.

كان كلاي لا يزال متفائلًا.

تدخل جي إتش:

ـ لقد فقد أسنانه. خمسًا منهم. لقد سقطت للتوِّ. لا يمكننا تفسير ذلك.

ـ أسنانه.

كان داني هادئًا لبرهة.

ـ هل تعتقد أن الأمر له علاقة بتلك الضوضاء؟

لم يكن داني يعرف أن الأسنان في فم زوجته كارين كانت متقلقلة، وستتساقط قريبًا.

سأل جورج:

ـ هل كُسرت النوافذ؟

ـ باب كابينة الاستحمام. الحمَّام الرئيسي.

اعتقد داني أنه كان واضحًا.

ـ إنه شيء ما. يجب أن تكون طائرة. لا أعتقد أن هناك أي معلومات تُنشر، لذلك أفترض أنها حرب. بداية حرب.

ـ حرب؟

بطريقة ما لم يخطر هذا ببال كلاي. بدا هذا محبطًا تقريبًا، خيبة أمل.

ـ يجب أن يكون هجومًا على ما أعتقد؟ كانوا يتحدثون عن الإعصار الفائق على شبكة «سي إن إن». خطَّط الإيرانيون ـ أو أيًا كان ـ الأمر بشكل صحيح. الوضع الكارثي المثالي.

كان داني قد شاهد بثًا لمذيع محلي في واشنطن على متن قارب لإظهار المياه الراكدة داخل نصب «جيفرسون» التذكاري.

ـ هل تعتقد أننا نتعرض للهجوم؟

لم يعتقد جي إتش ذلك، لكنه أراد أن يسمع.

ـ لقد كانوا يقولون إن هناك ثرثرة، لا بد أن هذا ما كانوا يثرثرون بشأنه.

أشفق داني على أي شخص لا يستطيع أن يرى مدى وضوح ذلك.

كان هذا الرجل صاحب نظرية المؤامرة. كان مجنونًا. كان كلاي أستاذًا.

ـ ثرثرة؟ ماذا حدث في المتجر؟ نحن بحاجة للذهاب إلى المستشفى.

ـ عليك أن تقرأ الصحف. أعمق من الصفحة الأولى. استدعى الروس موظفيهم من واشنطن، هل لاحظت ذلك؟ كُتب الخبر بخط عريض، وُضع تحت وصف «عاجل». شيء ما يجري على قدم وساق يا رجل.

سعل داني ووضع يديه في جيبيه.

ـ نحن ذاهبون إلى المستشفى.

قالها كلاي مرة أخرى، لكنه كان أقل يقينًا.

ـ ما تفعله هو شأنك. ما سأفعله هو البقاء هنا.

أراد داني أن يرحلا.

ـ هذا ما تعتقده يا داني؟

رمى جي إتش الكرة في ملعبه.

ـ لا شيء يحمل الكثير من المنطق في الوقت الحالي. إذا كان العالم غير منطقي، فما زال بإمكاني فعل ما هو عقلاني. المكان ليس آمنًا في الخارج.

أومأ داني برأسه نحو العدم الفسيح، الذي لم يبدُ مختلفًا، لكنه لم يُخدع.

ـ آرتشي مريض.

احتاج كلاي إلى إجابة.

فهم جورج لماذا لم يرغب داني في التفكير في الأمر. توقع جورج تواصلًا بشريًا، لكنه نسي ما كان عليه البشر بالفعل.

ـ اعتقدت أن ذلك كان الفعل الصحيح. التماس العناية الطبية.

لم يبتسم داني.

ـ هذه هي الطريقة القديمة، يا جورج. أنت لا تفكر بوضوح.

ـ ابنتي مفقودة. استيقظنا هذا الصباح، وكانت قد اختفت. كانت في الغابة

مع أخيها، يلعبان، عندما سمعنا هذه الضوضاء. ثم الليلة الماضية، أسنانه.

لم يكن كلاي يعرف كيف ينهي قصة بهذا السخف الشديد.

ـ لا أعرف ما ينبغي عمله.

خرجت منه باعتبارها اعترافًا.

لم يكن الأمر أن داني لم يشعر بالسوء. كان هناك كثير مما يمكن أن يفكر فيه فحسب.

ـ إنه ابنك. لديك قرار صعب لتتخذه.

ـ إنه في السادسة عشرة من عمره.

كان كلاي يقول، ساعدنا، بطريقته.

لا توجد مساعدة، هذا ما كان داني يقوله. لقد أساءوا فهم أي نوع من الأشخاص كان. لقد أساءوا فهم الناس.

ـ أنا لا أعرف ماذا ستفعل. سأفعل أي شيء أضطر إليه من أجل ابنتي. لذا هذا ما أفعله. أقفل الأبواب. أخرج بندقيتي. أنتظر. أراقب.

هل كان ذكر بندقية تهديدًا؟ فهمها جي إتش كذلك.

ـ لا ينبغي لنا الذهاب إلى المستشفى.

ـ ليس لديَّ أي إجابات من أجلكم يا رفاق. أنا آسف.

كان هذا الاعتذار في الغالب غريزة أمكن تذكرها. لكن داني آسف، لهم جميعًا. شارك المعلومات التي كانت لديه.

ـ بالأمس، رأيت الغزلان من المطبخ.

أومأ جي إتش. كانت الغزلان في كل مكان في الخارج.

أوضح داني:

ـ ليست غزلانًا، وليست عائلة من الغزلان. هجرة. أنا لم أرَ الكثير في حياتي. مائة؟ مائتين؟ لم أستطِع حتى أن أخمن.

كانوا أكثر من ذلك. تعذر على العين أن تستوعبها جميعًا، لا يمكنهم

العثور عليها في ظلال الأشجار. فقط الأشخاص الذين عرفوا مثل هذه الأشياء عرفوا أنه كان هناك نحو ستة وثلاثين ألف غزال في المقاطعة. لم تكن الغزلان التي رأتها روز لكنها كانت في طريقها للانضمام إلى تلك. هجرة جماعية. استجابة لكارثة. مؤشر الكارثة. كارثة تتكشف.

أراد كلاي أن يخبره أنهم شاهدوا في الليلة السابقة سربًا من طيور الفلامنجو، لكن الأمر كان سيبدو وكأنه مزايدة.

تابع داني:

ـ الحيوانات، يعرفون شيئًا ما. إنهم مسكونون. لا أعرف ما الذي يحدث، ولا أعرف متى سنكتشف ما هو. ربما هذا هو. ربما هذا كل ما سنعرفه على الإطلاق. ربما علينا فقط الجلوس في أماكننا والبقاء آمنين والصلاة أو أي شيء ينفع بالنسبة إليك.

كانوا حيوانات أيضًا. كانت هذه استجابتهم الحيوانية.

شعر كلاي أنهم كانوا يتحدثون لمدة ساعة.

ـ أخبرتَ روث أنك ستعود.

مكتبة
t.me/t_pdf

ـ لدينا وقت.

سوف يفي جي إتش بوعده.

شعر داني أنه لا جدوى من الاستمرار هكذا.

ـ يا رفاق، سأذهب إلى الداخل الآن. سأقول وداعًا وحظًّا سعيدًا.

كان يعني ذلك الجزء الأخير قليلًا. جميعهم يحتاجون إلى ذلك.

ـ إذا خرجت مرة أخرى. إذا كنت... حسنًا، يمكنك المرور والتوقف قليلًا. لكنني لا أستطيع أن أقدم لك أكثر من مجرد محادثة. أنت تفهم.

شعر جورج بالحماقة. بالطبع هذا ما سيكون داني عليه. الأمر كله مجرد عمل. لم يكونا صديقين، وحتى لو كانا، كانت هذه ظروفًا غير عادية.

ـ أعتقد أن هذا هو الأمر إذن.

عرض داني بعض النصائح.
ـ أعتقد أن عليك العودة إلى سيارتك والقيادة إلى منزلك.
ارحل، أيضًا دعني وشأني.
ـ هذا هو الشيء الوحيد الذي لديَّ لك. اتخذ ملجأ، اقفل الباب، و...
لم تكن لديه خطة أبعد من ذلك.
ـ املأ حوض الاستحمام. خزِّن المياه. اجرد مخزون طعامك. انظر ما الإمدادات التي لديك.
ـ أعتقد أننا سنفعل ذلك.
أراد جي إتش العودة ليكون بين أغراضه.
أومأ داني، نوع من قذف ذقنه إلى الأمام، سلطوي. مد يده للمصافحة. كانت قبضته حازمة كما كان دائمًا. لم يقل أي شيء أكثر من ذلك، عاد إلى الداخل. لم يقفل الباب. لكنه وقف في الداخل مباشرة للاستماع إلى الرجلين وهما يسيران بعيدًا.
في السيارة، جلس آرتشي. بدا أفضل أو على طبيعته. بدا ضعيفًا أو قويًّا. كانت تلك اللحظة هي الأكثر أهمية.
جلسوا في السيارة المطفأة لمدة دقيقة. ربما اثنتين. ربما ثلاث. كان كلاي هو الذي كسر الصمت.
ـ جورج. ماذا نفعل؟
لقد كان جي إتش أحمق. الناس محبطون. سيقوم بما هو أفضل. سيظلون صالحين، عطوفين، بشريين، محترمين، معًا، آمنين.
ـ لا أعتقد أننا نستطيع الذهاب إلى المستشفى، أيها السادة. هل نحن متفقون؟ لا أعتقد أننا نستطيع الذهاب.
فهم آرتشي. كان آرتشي يستمع.
ـ سأكون بخير. لا أعتقد أننا يجب أن نذهب.
قال كلاي ذلك:

ـ أريد العودة إلى المنزل. هل يمكننا الذهاب إلى المنزل؟ لنذهب إلى المنزل. إنه ليس بعيدًا. نحن قريبون جدًّا. هيا بنا.

كان يعني منزل جورج، بالطبع، ولذا ذهبوا، عادوا بخير قبل أن يخبرهم المنبه على هاتف روث أنه مرت ساعة. أقل من ساعة، وتغير كل شيء.

٤٠

استيقظت روز بإيمان راسخ. هذا هو ما كان الأمر عليه لكونك طفلًا، ولكن كانت لديها أيضًا مهمة. شحذت عيناها تركيزهما: منضدة بجانب الفراش، ومصباح خزفي أخضر، وصورة مؤطرة لم تكلف نفسها عناء النظر إليها بعد، وقدمها الشاحبة تبرز من تحت أغطية السرير، وأضواء الشروق تذوب على الحائط. أفواه ثقيلة رطبة، وأكتاف وردية، وشعر متشابك. يوم آخر، وكانت تلك هدية. انطلقت روز متحررة من عائلتها وعلى السجادة. اعتاد الطفل الأصغر على عدم ملاحظته.

غادرت الجناح لأنها لم ترغب في إيقاظهم. لم يأخذها أحد على محمل الجد لأنها كانت طفلة، لكن روز لم تكن غبية. كانت تلك الضوضاء الليلة الماضية هي الإجابة التي كان والداها يتظاهران بعدم انتظارها. لكن روز كانت قد قرأت كتبًا، ورأت روز أفلامًا، وعرفت روز كيف ستنتهي هذه القصة، وعرفت روز أنه لا ينبغي عليهم الذعر، بل الاستعداد. في الحمَّام خارج غرفة نومها تبولت واستغرق الأمر وقتًا طويلًا. غسلت روز يديها ووجهها. على الرغم من أن روز لم تكن هادئة على وجه التحديد ـ ترك مقعد المرحاض يُدوي بعنف، وجريان المياه، وإغلاق الباب بضجة أكبر مما كان ضروريًا ـ كل هذا بدا وكأنه خفي.

ربْط الحذاء، رشة من «أوف!» على الكاحل لأن البعوض بلا رحمة،

ماء. دفعت زجاجتها البلاستيكية القابلة لإعادة الملء في الموزع المدمج بالثلاجة. قشرت روز موزة واستمعت إلى الصوت الرطب الناتج عن مضغها. كانت القمامة تفيض: سيلوفان مجعد، ومناشف ورقية ملطخة، وبقايا الليمون التي لم يفكر أحد في استخدامها كسماد عضوي. تقريبًا لم يبقَ لديهم شيء للأكل. عرفت روز أنهم بحاجة إلى أشياء، لكن أكثر من ذلك، كانوا بحاجة إلى ناس. سوف تجد كلًّا من ذلك في المنزل الذي في الغابة. وضعت روز ثمرة خوخ في حقيبتها، ستهتز في النايلون الرخيص، تتعرض للصدمات وتنز بحلول الوقت الذي ستصل إليها فيه. أخذت كتابًا، لأنك لن تعرف أبدًا متى ستحتاج إلى كتاب.

تذكرت روز. في الغابة وفي هذا الاتجاه تمامًا، هناك، من هذا الطريق، هناك تمامًا، نوعًا ما إلى اليسار، بشكل مستقيم، تحت الأشجار وفوق ذلك التل الصغير. كان لديها حدس بأن حياة المدينة لم تبهت. حيوان، واهن على أصابع قماشية، خطواتها بالكاد تركت علامة على الأوراق، ليست سوى أقل احتجاجًا وسط أصوات العصافير والنسيم. عرف جسدها أنه لا يوجد حيوان مفترس قريب.

كان روز وآرتشي يرتجلان فقط، لكن ربما لم يفعلا ذلك. كان الطفلان يعرفان شيئًا ما، والمعرفة التي لديهما كانت مضمرة أو لا يمكن وصفها. تعرفت روز على كل علامة: انتفاخ الأرض، تفسخ جذوع الأشجار، أغصان معينة ساقطة. لو نظرت إلى الخلف، مثل زوجة لوط، لربما رأت روز طائر فلامنجو، ورديًّا وغاضبًا، يطير في الهواء. الحقيقة: لقد اندفع على متن الريح. إحدى حيل التطور القديمة. السحالي المتخفية على جذوع الأشجار، التي تنجرف إلى البحر مثل نوح وامرأته إمزارا، قد يصل الطائر إلى اليابسة على شاطئ جديد، وينشغل بحياته، وتدمر سلالته الخضرة المحلية. كانت طيور الفلامنجو غاضبة مثل البشر لوجودها هناك. لكن عليها أن تدبر أمرها. سيكون عليها التخلص من بعض الطحالب. اتخذت عشًّا مرة واحدة في

العام، ولكن هذا كل ما استلزمه الأمر، وربما ستكون آلاف الأجيال منذ ذلك الحين طبيعية ولها بعض الألوان المجنونة الأخرى (أزرق مضاد للتجمد بسبب الارتشاف من حمَّامات السباحة)، بعض الأجناس الجديدة. ربما ستكون كل ما تبقى.

غنت روز لنفسها، في رأسها أولًا، ثم شعرت أنها جريئة، أو مختلفة، أو بخير، أو سعيدة، وغنت بصوت عالٍ، إحدى أغاني فريق «اتجاه واحد»، وهو أحد الأمور التي كان من الممكن أن يسخر منها آرتشي بسبب إعجابها بها، ولكنه استمتع بها سرًّا. شعرت روز بالوضوح الذي كان من حقها تمامًا. فهمت أنها بمجرد وصولها إلى ذلك المنزل الآخر، ستتمكن من الإجابة عن الأسئلة التي بدت مهمة للجميع. سيكون هناك أشخاص وسيحصلون على إجابة، أو على الأقل لن تشعر أسرتها بالوحدة إلى هذه الدرجة.

كان الصباح باردًا، لكن يمكنك معرفة أن اليوم سيكون حارًّا. كانت الأوراق تحت الأقدام رطبة بالكاد؛ كانت قمم الأشجار كثيفة. على بُعد منطقة زمنية، ما زال الظلام سائدًا، ولكن بعد ذلك كان الظلام سائدًا في كثير من الأماكن. كان بعض الناس ينتحرون. كان بعض الأشخاص يحزمون أغراضهم في السيارات ويأملون أن يتمكنوا من قطع مسافة ميل أو ميلين أو عشرة أو أي شيء يتطلبه الأمر للوصول إلى أي مكان تدوم فيه السلامة. اعتقد بعض الناس أنهم سيعبرون الحدود، ولم يدركوا أن مثل هذه الخطوط كانت خيالية. لم يعرف بعض الناس أن أي شيء كان معتلًّا. كانت هناك مدن في نيو مكسيكو وأيداهو حيث لم يحدث شيء حتى الآن، على الرغم من أنه كان من الغريب كيف أنه ليس بإمكان أحد التحدث إلى الأقمار الصناعية بالأعلى. لا يزال الناس يذهبون إلى وظائف كانوا يرون أنها عديمة الفائدة تمامًا في الوقت المناسب، أو يبيعون أصص النباتات أو يرتبون أسِرَّة الفنادق. أعلن المحافظون حالات الطوارئ لكن لم يتمكنوا من معرفة كيفية إخبار أي شخص. كانت الأمهات في المنازل منزعجات لأن كارتون «دانييل تايجر»

لم يكن متاحًا. بدأ بعض الناس يدركون أن لديهم إيمانًا ساذجًا بالنظام. حاول بعض الناس الحفاظ على هذا النظام. أمكن تبرئة بعض الأشخاص لأنهم خزَّنوا الأسلحة والماصات المرشحة التي تجعل أي مياه صالحة للشرب. مهما حدث الكثير، فسيحدث أكثر. عُزل زعيم العالم الحر تحت البيت الأبيض، لكن لم يهتم به أحد، وبالتأكيد لن تهتم به فتاة صغيرة تتعثر في الغابة وتفكر في المطرب الشاب «هاري ستايلز».

لم تكن روز شجاعة. كان الأطفال صغارًا جدًّا فحسب، إلى درجة أنهم لا يعرفون الابتعاد عما لا يمكن تفسيره. يحدق الأطفال في مصاب الفصام الذي يهذي في قطار الأنفاق بينما يلقي الكبار بعيونهم إلى الأسفل ويفكرون في البودكاست. سأل الأطفال أسئلة لم يعرفوا أنها عُدَّت غير مهذبة؛ لماذا لديك هذا النتوء على رقبتك؟ هل هناك طفل ينمو في بطنك؟ ألم يكن لديك شعر دائمًا؟ لماذا أسنانك فضية؟ هل ستظل الأفيال موجودة عندما أكبر؟ عرفت روز ما هي الضوضاء، لكن لم يسألها أحد. كانت الضوضاء صوت الحقيقة. كانت التغيير الذي تظاهروا بأنهم لا يعرفون أنه قادم. كانت نهاية نوع من الحياة، لكنها كانت أيضًا بداية لنوع آخر من الحياة. واصلت روز المشي.

كانت روز ناجية ولسوف تنجو. عرفت، بغريزة من نوع ما (ربما مجرد صلة إنسانية)، أنها كانت ضمن الأقلية. في مكان ما في الجنوب، تخلت السدود عن النهر. ارتفعت المياه إلى غرف نوم الطابق الثاني وشق الناس طريقهم إلى العليات وأسطح المنازل. في فيلادلفيا، شعرت امرأة تلد للمرة الثالثة ـ ابنًا، سيُطلق عليه اسم شقيقها، الذي قُتل أثناء وجوده في طهران ـ بالطفل على صدرها بمجرد انقطاع الكهرباء عن المستشفى، لذلك بدا الأمر كما لو أن الإعتام كان بسبب صدمة من جلده على جسدها. مات جميع الأطفال في وحدة العناية المركزة لحديثي الولادة في غضون ساعات. اجتمع المسيحيون في كنائسهم، وكذلك فعل غير المؤمنين، معتقدين أن جيرانهم

المخلصين قد يكونون أفضل استعدادًا. (لم يكونوا كذلك، للأسف). في بعض الأماكن، كان الناس يصابون بالهلع بشأن الطعام، وفي أماكن أخرى كانوا يتظاهرون بعدم فعل ذلك. شوى الموظفون في مطعم سلفادوري في هارلم الطعامَ في الشارع، ووزعوه مجانًا. بعد أربع وعشرين ساعة فقط، توقف معظم الناس عن الاستماع إلى أجهزة الراديو العتيقة وعن توقُّع الفهم. هل كان هذا اختبارًا للإيمان؟ أكد ذلك فقط إيمانهم بجهلهم. أغلق الناس الأبواب والنوافذ ولعبوا الألعاب اللوحية مع عائلاتهم، على الرغم من أن إحدى الأمهات في سانت تشارلز بولاية ميريلاند أغرقت كلتا ابنتيها في حوض الاستحمام، الأمر الذي أثر عليها بشكل منطقي أكثر بكثير من جولة للعبة السلم والثعبان. تلك اللعبة لا تتطلب مهارة ولا استراتيجية، كل ما كان عليها أن تعلمه هو أن الحياة كانت في الغالب ميزة غير مكتسبة أو سقوطًا مدمرًا. لقد تطلب الأمر شجاعة لا يمكن تصورها لقتل أطفالك. تمكن قليل من الناس من النجاح في ذلك.

تابعت روز السير، وبلل على رقبتها، وجبينها، وشفتها العُليا بشاربها الناشئ. على بُعد أميال قليلة، وجد قطيع الغزلان الذي رآه داني قطيعًا آخر، القوة في الكثرة، وكان يسير في الاتجاه الذي أخبرته به الغريزة، مشهد مذهل، مثل الجاموس في السهول قبل أن يقضي عليه البيض. لم يستطِع الناس في المنازل المجاورة تصديق ذلك تمامًا، لكنهم كانوا أكثر استعدادًا للتصديق مما كانوا عليه قبل أسبوع. سيولد الجيل القادم من هذه الغزلان أبيض مثل وحيد القرن في تلك المنسوجات الفلمنكية التي لن تراها روز وعائلتها أبدًا. ليس المَهَق، كما سيكتشف عالم الوراثة الوحيد الذي درس الغزلان، ولكن الصدمة بين الأجيال. هكذا كانت الحياة، كانت الحياة تتعلق بالتغيير.

استقل بعض السكان المحليين القريبين سياراتهم وتوجهوا نحو المدينة. لم تكن هناك شرطة، لذلك أسرعوا. رائحة بروكلين كريهة؛ العطب في

صناديق التبريد أصبح دافئًا، والقمامة تتراكم في الأركان أو في أي مكان، بالإضافة إلى المسافرين اليوميين المحاصرين ـ الرجل المشرد المصاب باكتئاب ثنائي القطب، والسكرتير الصحفي للحاكم، والمتفائلون الذين كانوا يتجهون إلى مقابلات عمل في «جوجل» ـ أصبحوا ببطء جثثًا لا يطالب بها أحد.

هناك، في الغابة، كان الهواء عذبًا وفاسدًا، كما مال هواء الصيف إلى أن يكون. تساءلت روز: هل سيكونون أمًّا وأبًا وطفلًا أم طفلين؟ هل سيكونون من البيض مثل عائلتها، أو من السود مثل عائلة واشنطن، أو من الهنود مثل عائلة سابينا، أو من السعودية أو تايبيه أو جزر المالديف؟ هل كانوا يعرفون، في السعودية وتايبيه وجزر المالديف، ما كان يحدث في مدينة وايكروس بولاية جورجيا، حيث ترك طاقم العمل المكون من أربعين سجانًا ألفًا وخمسمائة رجل لعوامل الطقس العنيف؟ حرية غير متوقعة؛ السقف الغارق بالبلل يذعن، ويحاصر الجثث تحت الأنقاض، إلى الأبد خلف القضبان، لكن ربما خرجت أرواحهم؟ لم يعتقد أي من هؤلاء الأربعين أن بإمكان الرياح والمطر إلغاء عمل الإنسان. لا أحد من هؤلاء الأربعين حزن على أولئك الذين ماتوا ولو قليلًا. قالوا لأنفسهم إنهم كانوا رجالًا سيئين، غير عالمين بمدى ضآلة الأمر فيما إذا كنت قد قضيت حياتك صالحًا أو طالحًا.

كانت روز سائرة لمدة ساعة أو طوال حياتها. فتحت سحَّاب حقيبتها وقضمت ثمرة الخوخ المصابة بالصدمات. بعض الحشرات الطائرة، التي استشعرت الحلاوة، حلقت في مكان قريب. أكلت روز اللحم الأبيض بقضمة واحدة، اثنتين، سبع، أربع عشرة قضمة. سُحبت الثمرة بعناية شديدة من البذرة الموجودة في وسطها. كانت بذرة الفاكهة تشبه المعجزة، مثلَّمة وخشنة. تركتها تسقط على الأرض، على أمل أنه بعد سنوات من الآن، قد تنتج شجرة.

لم تكن غبية. لم تتوقع الخلاص. لقد فهمت أنهم وحدهم، لم يكن لديهم شيء. الآن سيكون لديهم شيء، وسيكون ذلك بفضل روز. لقد رأت السطح من خلال الغابة، في المكان الذي عرفت أنه سيكون به.

لكن المنزل كان مثل منزلهم! بدا أن ذلك يعني شيئًا ما، حتى لو، بطريقة ما، كانت جميع المنازل تبدو متشابهة. تشجعت روز بهذا، صدى منزل عائلة واشنطن، الطريقة التي تبدو بها ثرثرة الطفل كأنها كلام مطمئن. شجاعة، شقت طريقها نحو الباب الأمامي. سارت روز مباشرة على الطريق المبني من الطوب المخصص للزوار. طرقت بقوة، قبضتها مشدودة وواثقة.

حرصت على عدم تحطيم الشتلات، وقفت على الغطاء الواقي للتربة وألصقت وجهها بالنوافذ. حيز من ورق الحائط المزخرف بالزهور، لوحة زيتية لحصان بني، شمعدان نحاسي، باب مغلق، مرآة تعكس وجهها فحسب. وجهها، عازم ومتفائل. لم تستطِع أن تعرف، ولن تعرف أبدًا، أن عائلة ثورن، التي عاشت هناك، كانت في مطار سان دييجو، غير قادرة على اتخاذ الترتيبات نظرًا لعدم وجود رحلات جوية محلية بسبب حالة طوارئ عامة على مستوى البلاد ليست لها سابقة، كما لو كانت الحالة السابقة مطلوبة. لن ترى عائلة ثورن هذا المنزل مرة أخرى في حياتها، على الرغم من أن نادين، الأم، كانت تحلم به في بعض الأحيان قبل أن تستسلم لمرض السرطان في أحد المخيمات التي تمكن الجيش من إقامتها خارج المطار. لقد كانوا سيحرقون جسدها، قبل أن يكفوا عن تكبد عناء ذلك، حيث فاق عدد الجثث عدد الأشخاص الذين تركوا ليقوموا بالحرق.

سارت روز إلى الجزء الخلفي من المنزل وطرقت الباب الزجاجي المنزلق. كانت الغرفة مختلفة عن غرفة واشنطن؛ الأثاث أثقل، والجدران أغمق. لم يُبنَ المنزل لاستقبال المصطافين ولكنه جُهِّز وفقًا لأذواق

الأشخاص الذين يعيشون هناك. ربما كان هؤلاء الناس محتشدين في القبو، ينتظرون بالأسلحة، ربما سمع هؤلاء الأشخاص الصوت وركبوا سيارتهم وقادوا بأسرع ما يمكن. ذهبت روز إلى المرأب المنفصل ووجدت صناديق من الورق المقوى وألواحًا مثقبة وأدوات معلقة عليها ولكن لا توجد سيارة. كان هناك، مع ذلك، قارب مغطى بقماش متسخ.

«لستم في المنزل» قالت ذلك بصوت عالٍ، لكنها كانت تتحدث مع نفسها. ضغطت جرس الباب، وسمعت رنينه عبر الباب المجوف الرخيص. لم تكن لتعود من دون ما أتت من أجله. كانت هناك أحجار زينة تحدد حوض الزهور على طول المنزل. كانت روز تختبر بيدها مدى ثقل أحدها لتلقي به على الباب الخلفي، ثم لاحظت أن اللوحين على جانبَي الباب الأمامي متشققان بالفعل. وقفت وألقته. تناثر الزجاج داخل المنزل، وسقط الحجر عند قدميها. كانت الضوضاء قصيرة. كان هناك فقط صوت العدم. سحبت روز كُم قميصها على يدها، وأمسكت بصخرة أصغر كما لو كانت مقلاة ساخنة، وانقضت على نقاط الزجاج التي تشبثت بالإطار. وصلت إلى الداخل، وكان المزلاج الميت هناك. كان الأمر بهذه البساطة.

تفوح من المنزل رائحة قطة. كانت ستعثر على طعام القطط وصندوق الفضلات، ولكنها لم تجد الحيوان نفسه، الذي ذهب ليفعل ما تفعله الحيوانات. أشعلت الأضواء كإقرار بمخاوفها. عرفت روز، بتلك الطريقة التي تعرفها، أنها كانت وحيدة. لكنها دخلت كل غرفة، وفتحت كل خزانة، وسحبت ستائر الدش، وركعت لتنظر تحت الأسِرَّة. كانت هناك غرفة نوم مغطاة بالسجاد الوردي، والسرير الخشبي مع انتشار الأزهار بزاوية لالتقاط المنظر الكامل لقمم الأشجار. كانت هناك حجرة هوايات، خزائن مليئة بألعاب الطاولة والألغاز، أريكة مجزأة عريضة في مواجهة مع أكبر تلفزيون رأته روز على الإطلاق. كانت هناك غرفة طعام،

ومسار المكنسة الكهربائية محدد على السجادة الزرقاء شديدة النظافة، والطاولة مصقولة ولامعة.

كانت الثلاجة عبارة عن نشاز من الأشكال المغناطيسية والملاحظات والوصفات وبطاقات العطلات، عائلات مبتسمة حافية القدمين على الشاطئ أو واقفة على أوراق الخريف. فتحت روز الباب، وكان هناك أكثر ممَّا في منزل واشنطن؛ توابل السلطة، والكاتشب، وبرطمان زجاجي من الخيار المخلل، وصلصة الصويا، وواحدة من تلك العلب الكرتونية التي تفرقعها لتكشف عن عجينة البسكويت. كانت هناك زجاجات بلاستيكية صغيرة لبعض الأدوية، وقالب مفتوح من الزبدة، وبعض عصير التوت البري الأبيض. كانت هناك أكواب نظيفة على رف الأطباق، وقامت بالأمر بنفسها.

جالسة إلى الوحدة الوسطى في المطبخ، رأت روز الهاتف، وعاء الفاكهة به ليمونتان، خليط الأوراق والبريد. فتحت درجًا في المطبخ، وكان ذلك الدرج: الأربطة المطاطية، عملات صغيرة فئة ١٠ سنتات، بطارية قديمة، مقص، بعض القسائم، مفتاح ربط. في الحمَّام الصغير خارج الرواق، أعجبت روز بطبق الصابون الصغير المصبوب على شكل صدفة.

عادت إلى حجرة الهوايات وشغلت التلفزيون. كانت الشاشة زرقاء. فتحت روز الخزانة تحتها ووجدت جهاز «بلاي ستيشن»، وعشرات الصناديق البلاستيكية التي تحتوي على الألعاب المختلفة، وعشرات من الأسطوانات المدمجة. لم يكن لديهم مشغل أسطوانات في منزلهم، ولكن كان هناك واحد في الفصل، ولم تكن غبية. قررت أن تشاهد مسلسل «فريندز»؛ كانت لديهم المجموعة بأكملها. كانت تلك هي الحلقة التي راودت روس فيها تخيلات عن الأميرة ليا.

جعلها صوت التلفزيون تشعر بتحسن كبير. لقد رفعت الصوت عاليًا ليرافقها أثناء نهبها. ضمادات، «أدفيل»، مجموعة من البطاريات. كانت هذه

كنزًا لكنها مقصودة كإثبات. كانت هناك غرفة نوم ذات جدران زرقاء، ممتلئة بشكل مبعثر، من الواضح أن ساكنها المراهق قد غادر المنزل. اعتقدت روز أن هذه يمكن أن تكون لآرتشي. لم تكن تمانع في غرفة الضيوف، بساطتها البيضاوية الرصينة، وستائرها الرقيقة المزخرفة. كان المنزل حيث كنت، في النهاية. كان فقط المكان الذي وجدت نفسك فيه.

لم تعرف أن أمها كانت، في تلك اللحظة، تجلس بهدوء في كوخ بيض فارغ تفوح منه رائحة الطيور. عندما رأت أماندا ابنها مرة أخرى، استغرق الأمر بعض الوقت لتجد صوتها. صدمة. ثم، لاحقًا، كانت ترى ابنتها مرة أخرى، ولا تزال غير قادرة على الكلام. كانت ترتجف فقط.

عرفت روز طريق العودة ـ فوق ذلك المرتفَع، ثم إلى أسفله، بعناية، تصحيحًا للجاذبية ـ بعد هذه الشجرة المألوفة وتلك الشجرة المألوفة والبقعة الخالية الصغيرة بشعاع ضوئها المقدس. لقد رأت ذات مرة، على الإنترنت، أن الأشجار تعلمت ألَّا تنمو لتتداخل مع بعضها البعض، بل أبعدت نفسها بمسافة عن جاراتها. عرفت الأشجار أنها تحتل فقط رقعتها الممنوحة لها من الأرض والسماء. كانت الأشجار كريمة وحذرة، وربما سيكون في ذلك خلاصها.

ستعود. ربما افتقدوها، بالفعل، وشعرت ببعض الذنب لعدم تركها ملاحظة. لكنها ستريهم حقيبتها، والأشياء التي عثرت عليها، وستخبرهم عن المنزل في الغابة مع مشغل الأسطوانات المدمجة وغرف النوم اللطيفة الثلاث ومستلزمات التخييم في الطابق السفلي والمخزن المليء بالعلب. كانت مجرد فتاة، لكن العالم لا يزال يحمل شيئًا، وهذا مهم. ربما كان والداها سيبكيان على ما لم يعرفاه وما عرفاه، وهو أنهم كانوا معًا. ربما ستفرغ روث غسالة الأطباق وسيخرج جي إتش القمامة، وربما يبدأ اليوم حقًّا، وإذا كان الباقي منه ـ شيء لتناول الغداء، أو السباحة الهادئة، أو عوامات حمَّام السباحة تلك، أو معرفة الأخبار من المجلة، أو محاولة حل تلك الأحجية

المعقدة؟ ـ غير واضح، فليكن. إذا لم يعرفوا كيف سينتهي الأمر ـ بليل، بضوضاء مروعة من قمة جبل «أوليمبوس»، بالقنابل، بالمرض، بالدم، بالسعادة، بالغزلان أو أي شيء آخر يراقبهم من الغابة المظلمة ـ حسنًا ألم تكن تلك حقيقة كل يوم؟

مكتبة
t.me/t_pdf

شكر وتقدير

إنني مدين بشدة لمحرري هذا الكتاب ـ هيلين أتسما، وسارة برمنجام، وميجان لينش ـ وكذلك لجميع زملائهن في دار نشر «إيكو برس»، وكالعادة، لجولي بار ونيكول كننجام. أنا شديد الامتنان لكرم لورا ليبمان ودان تشون وجيسيكا وينتر وميجان أوكونيل ولين ستيجر سترونج. ليس من المبالغة القول إن هذا الكتاب ما كان ليظهر إلى الوجود من دون ديفيد لاند. ديفيد، آمل في سنوات عديدة من الإجازات («الدونت» المغطاة بالفتات، حمَّامات السباحة، كعكة معلبة في الأيام الممطرة) معك.

الكاتب

رمان عَلم، كاتب أمريكي وُلد في عام ١٩٧٧ . درس الكتابة الإبداعية في كلية «أوبرلين». كتب ثلاث روايات: «اترك العالم خلفك»، و«الأم الحنون»، و«غني وجميل». نُشرت كتاباته في «نيويورك تايمز»، و«نيو ريبابليك»، و«نيويورك ماجَزين»، و«ول ستريت جورنال»، و«بوكفورم»، و«نيويوركر»، وفي مطبوعات عديدة أخرى. يعيش في بروكلين بنيويورك مع عائلته.

المترجمة

سها السباعي مترجمة مصرية، وُلدت في القاهرة عام ١٩٧٤. حصلت على درجة الليسانس من كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة. ترجمت: «رحلة هاملت العربية ـ أمير شكسبير وشبح عبد الناصر» تأليف مارجريت ليتفين، و«قراءات في أعمال نوال السعداوي» تأليف إرنست إيمونيو وMورين إيك، ورواية «حُب» تأليف هانة أورستافيك (ترجمة مشتركة مع شرين عبد الوهاب). صدرت لها لدى دار الكرمة رواية «حرائق صغيرة في كل مكان» لسيليست إنج، و«الاعتذار» لإيف إنسلر.

ترجمات الكرمة

١. صونيتشكا - لودميلا أوليتسكايا. ترجمها عن الروسية: عياد عيد.
٢. سالباتييرًا - بيدرو مايرال. ترجمها عن الإسبانية: مارك جمال.
٣. أصوات المساء - نتاليا جينزبورج. ترجمتها عن الإيطالية: أماني فوزي حبشي.
٤. النورس جوناثان ليفنجستون - ريتشارد باخ. ترجمها عن الإنجليزية: محمد عبد النبي.
٥. جاتسبي العظيم - ف. س. فيتزجرالد. ترجمها عن الإنجليزية: محمد مستجير مصطفى.
٦. الاعتداء - هاري موليش. ترجمتها عن الهولندية: أمينة عابد.
٧. صباح ومساء - يون فوسه. ترجمتها عن النرويجية: شرين عبد الوهاب وأمل رواش.
٨. الإوزَّة البريَّة - أوجاي موري. ترجمها عن اليابانية: ميسرة عفيفي.
٩. عشيق الليدي تشاترلي - د. هـ. لورانس. ترجمها عن الإنجليزية: أمين العيوطي.
١٠. الوعد - فريدريش دورِنمات. ترجمها عن الألمانية: سمير جريس.
١١. طيف ألكسندر ولف - جايتو جازدانوف. ترجمها عن الروسية: هفال يوسف.
١٢. رسائل إلى شاعر شاب - راينر ماريا ريلكه. ترجمها عن الألمانية: صلاح هلال.

١٣. قلب الظلمات - جوزيف كونراد. ترجمتها عن الإنجليزية: هدى حبيشة.
١٤. تقرير موضوعي عن سعادة مدمن المورفين - هانس فالادا. ترجمه عن الألمانية: سمير جريس.
١٥. أرض البشر - أنطوان دو سانت اكزوبيري. ترجمها عن الفرنسية: مصطفى كامل فودة.
١٦. ملحمة أسرة فورسايت: صاحب الملك - جون جالزورذي. ترجمها عن الإنجليزية: محمد مفيد الشوباشي.
١٧. اعتراف منتصف الليل - جورج دوهاميل. ترجمها عن الفرنسية: شكري محمد عياد.
١٨. الأمريكي الهادئ - جراهام جرين. ترجمها عن الإنجليزية: شوقي جلال ومحمود ماجد.
١٩. الأمير الصغير - أنطوان دو سانت اكزوبيري. ترجمها عن الفرنسية: محمد سلماوي.
٢٠. أربطة - دومينيكو ستارنونه. ترجمتها عن الإيطالية: أماني فوزي حبشي.
٢١. مليون نافذة - جيرالد مُرْنين. ترجمها عن الإنجليزية: محمد عبد النبي.
٢٢. البحيرة السوداء - هيلا هاسه. ترجمتها عن الهولندية: أمينة عابد.
٢٣. حلم - أرتور شنيتسلر. ترجمها عن الألمانية: سمير جريس.
٢٤. حرائق صغيرة في كل مكان - سيليسْت إنْج. ترجمتها عن الإنجليزية: سها السباعي.
٢٥. مذكرات شرلوك هولمز - آرثر كونان دويل. ترجمها عن الإنجليزية: أمين سلامة.
٢٦. كتاب المقبرة - نيل جايمان. ترجمها عن الإنجليزية: أحمد خالد توفيق.
٢٧. نحن نعرف ما سيأتي - كريستا فولف. ترجمها عن الألمانية: صلاح هلال.

٢٨. ظلام مرئي: مذكرات الجنون - وليام ستايرون. ترجمها عن الإنجليزية: أنور الشامي.

٢٩. المنزل الريفي (هواردز إند) - إ. م. فورستر. ترجمها عن الإنجليزية: محمد مفيد الشوباشي.

٣٠. اعتراف - ليف تولستوي. ترجمها عن الروسية: الأرشمندريت أنطونيوس بشير.

٣١. جسور مقاطعة ماديسون - روبرت جيمس والر. ترجمها عن الإنجليزية: محمد عبد النبي.

٣٢. الحرب والتربنتين - ستيفان هيرتمانس. ترجمتها عن الهولندية الفلامندية: أمينة عابد.

٣٣. سولاريس - ستانيسواف لَم. ترجمها عن البولندية: هاتف جنابي.

٣٤. الاعتذار - إيف إنسلر. ترجمته عن الإنجليزية: سها السباعي.

٣٥. شخص نعرفه - شاري لابينا. ترجمتها عن الإنجليزية: منى عبد الغني.

٣٦. خلف هذه الأبواب - روث وير. ترجمتها عن الإنجليزية: إيناس التركي.

٣٧. احتضان - كلير كيجن. ترجمها عن الإنجليزية: أنور الشامي.

٣٨. اترك العالم خلفك - رمان عَلم. ترجمتها عن الإنجليزية: سها السباعي.

مكتبة
t.me/t_pdf

قالوا عن هذه الرواية

«عَلم في الصدارة. هذه واحدة من أكثر القصص التي قرأتها منذ فترة غرابةً، وأكثرها إزعاجًا. لم يُضف عَلم فحسب الدقة الفريدة والذكاء المدمر لأحداث روايته، ولكنه غامر أيضًا بدخول منطقة جديدة مضطربة، حيث قد تكون ملامح كل شيء قابلة للتمييز، ولكن ما بداخلها مشوش تمامًا» ـ موقع «ريفايناري ٢٩»

««اترك العالم خلفك» من الروايات الأشد ندرة، مكتوبة بشكل جميل، مشوِّقة وموحية عاطفيًا. تستكشف عالم الأفكار المعقدة عن الامتياز والقَدَر بذكاء ورشاقة خارقين» ـ جيني أوفيل، مؤلفة رواية «طقس»

«هذا استقراء استثنائي للعِرق والطبقة، وما يبدو عليه العالم عندما ينتهي؛ لا يختلف على الإطلاق عن العالم الذي نحن فيه الآن» ـ روكسان جاي مؤلفة رواية «جوع»

«سترغب في قراءة «اترك العالم خلفك» بسرعة كبيرة، وسترغب أيضًا في قراءتها ببطء شديد وفي تذوُّق كل كلمة. تبدو رواية رمان عَلم الرائعة والمكتوبة بشكل بارع وكأنها نبوءة واستجابة معاصرة لعصرنا القلِق. كل ذلك البناء يؤدي إلى خاتمة مثالية» ـ لورا ليبمان، مؤلفة رواية «سيدة في البحيرة»

«في كل مشهد بليغ، يكشف عَلم شيئًا جديدًا عما تعنيه الأسرة في القرن الحادي والعشرين» ـ إيدرا نوفي، مؤلفة رواية «هؤلاء الذين عرفوا»

«تركتني هذه الرواية متوترة، ومتأثرة، ومفعمة بالإعجاب. رمان عَلم

كاتب لامع، ومصمم نثر جميل، لديه موهبة باهرة في رسم الشخصيات؛ حيث خصوصياتها الفردية، ونقاط ضعفها، والتدرجات الدقيقة للطبقة والظروف الخاصة بها. في هذه الرواية يجمع بين تلك المواهب، والإيقاع الرائع تمامًا، والتحكم في الأجواء، كما يوازن بين الكوميدي والمأساوي، والحقيقي والسريالي، والانتقادي والمتعاطف، والفردي والجماعي. رواية أبهرتني» ـ ليديا كيسلينج، مؤلفة رواية «الدولة الذهبية»

«تُعد رواية «اترك العالم خلفك» لرمان عَلم بمثابة حصان طروادة ذكي، وأيضًا صندوق باندورا» ـ ميجان أبوت، مؤلفة رواية «أعطني يدك»

«استعد للنوم والأنوار مضاءة» ـ موقع «بوبشوجر»

«سوف تتذكر هذا الكتاب» ـ «مينابوليس ستار تريبيون»

«تجنبت قصص نهاية العالم لأشهر. ثم أصبحت رواية «اترك العالم خلفك» أعظم راحة لي. قرأت الكتاب في جلسة واحدة، وفكرت فيه كل يوم منذ ذلك الحين» ـ مجلة «تايم»

«إذا كان هناك كتاب واحد سيطاردك في عام ٢٠٢٠ فهو هذا الكتاب. توازن بين الخيال الأدبي والتشويق، إن رواية «اترك العالم خلفك» نظرة مقلقة ومثيرة للفكر إلى الشأن العالمي المحفوف بالمخاطر، وأيضًا إلى العلاقات الطبقية والعِرقية. في هذا العام عندما يبدو أي شيء ـ بما في ذلك نهاية العالم ـ ممكنًا، تقدم هذه الرواية لمحة واقعية عن الكيفية التي يمكن أن ينتهي بها العالم كما نعرفه. رواية ستتركك مضطربًا» ـ موقع «بازفيد»

«في رواية «اترك العالم خلفك»، يتساءل القراء كيف تنبأ عَلم بقلقنا الدستوبي المعاصر، بتفاصيل وافرة تتغلغل تحت جلدك. هذه رواية يبقى تأثيرها طويلًا» ـ «نيويورك أوبزيرفر»

«يُظهر عَلم مهارة رائعة ويرينا ما في عقول شخصياته، كما يعلن عن تعاطفه معها بسبب أوجه القصور الأخلاقي والقيود العاطفية وفشل الخيال. النتيجة هي رواية مثيرة تنبض بالتشويق ولكنها في النهاية لا تقدم إجابات سهلة؛ مخيبة آمال أولئك الذين يتوقون إلى تلك الإجابات حتى

وهي تعكس زمننا بشكل مناسب. بمناقشة قضايا العِرق، والمخاطر، والآثار المتتالية لحالة طوارئ وطنية، جاءت رواية عَلم في الوقت المناسب لهذه اللحظة» ـ «كيركوس ريفيوز»

«رواية آسرة، يتمثل إنجاز عَلم في رؤية أن أسلوب سفينة نوح التقليدي للنوع الأدبي الذي يكتبه، والذي يعتمد على فكرة ما بعد الكارثة، لم يعد منطقيًّا. اليوم، تستدعي روايات الكوارث شيئًا مختلفًا، اعترافًا بأننا لن نجد وضعًا طبيعيًّا جديدًا» ـ «النيويوركر»

«إيقاعها مثالي، ذكية ومؤرقة، لذا من السهل أن تكون أفضل شيء قرأته طوال العام» ـ كيلي ريد، مؤلفة رواية «يا له من عصر مسلٍّ»

«ها هي بين يديك، ملفوفة بنسيج شهي من التشويق، تتوسل إلينا رواية «اترك العالم خلفك» أن نطرح أهم الأسئلة: كيف نسمح للآخر بالدخول؟ أين نرسم حدود الوطن؟ إنه كتاب ذو بصيرة، بُني لهذه الأوقات الغريبة، من المؤكد أن يسحر قارئه ويشوِّقه» ـ سامانثا هانت، مؤلفة المجموعة القصصية «العتمة المظلمة»

مكتبة
t.me/t_pdf

رواية ممتعة، عن عائلتين، غريبتين إحداهما عن الأخرى، أُجبرتا على قضاء عطلة نهاية أسبوع طويلة معًا، وسلكت الأمور منحى فظيعًا!

عمل أدبي شائق، مثير واستفزازي بشأن العالم الذي نعيش فيه الآن، ويتوافق بشدة مع تعقيدات الأبوة والعِرق والطبقة. تستكشف رواية «اترك العالم خلفك» كيف يُعاد تشكيل روابطنا الأقرب، وتشكيل روابط جديدة غير متوقعة في لحظات الأزمات، وكيف أن المواقف الأكثر رُعبًا ليست بعيدة عن الواقع أبدًا.

تتوجه أماندا وكلاي إلى ركن بعيد من لونج آيلاند، متوقعَين إجازةً: فترة راحة هادئة من الحياة في مدينة نيويورك، ووقتًا ممتعًا مع ابنهما وابنتهما المراهقَين، وطعم الحياة الهانئة في المنزل الفاخر الذي استأجراه لقضاء الأسبوع. لكنَّ طرقة على الباب في وقت متأخر من الليل تُبطل السحر. روث وجي إتش، زوجان أكبر سنًا - إنه منزلهما، وقد وصلا في حالة من الذعر - ينقلان الأخبار التي تفيد بأن إعتامًا تامًّا مفاجئًا اجتاح المـدينة. ولكن في هذه المنطقة الريفية، مع توقف التلفزيون والإنترنت الآن، وعدم وجود خدمة هاتف محمول، من الصعب معرفة ما يجب تصديقه.

هل ينبغي لأماندا وكلاي الوثوق بهذين الزوجين، والعكس صحيح؟ ماذا حدث في نيويورك؟ هل منزل العطلات، المنعزل عن الحضارة، مكان آمن حقًّا لعائلاتهم؟ وهل هم في مأمن، بعضهم من بعض؟

««اترك العالم خلفك»، هو العنوان المثالي لكتاب يبدأ بوعد المدينة الفاضلة، ثم يرتحل بعيدًا عن هذا الحلم إلى حيث يمكن أن تأخذنا أسوأ مخاوفنا. إنه واحد من أندر الكتب؛ إثارة حقيقية، وتلخيص عبقري لزمننا القلق، وعمل ذو جدارة أدبية عالية، يستحق مكانًا بين كلاسيكيات الأدب الدستوبي» - «الواشنطن بوست»

ISBN 978-977-6743-85-4

9 789776 743854 >

الكرمة

مكتبة | سُر مَن قرأ
t.me/t_pdf